الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية

الطفولة في مجتمع عربي متغير

الكتاب السنوي الأول
١٩٨٣ ـ ١٩٨٤

تولى مهمة تحرير هذا الكتـــــــــاب

الدكتور

محمد جـواد رضـا

عضو اللجنة الاستشارية للجمعيـة

مقـدّمَـة

بهذا الكتاب الذي نضعه بين ايدي الجمهرة المعنية بشؤون الطفولة في العالم العربي تستنُّ الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية سنة جديدة في مجال العمل العلمي الطوعي بان تنقل الى الجمهور ما تديـره بين اروقتهـا من درس اصولي مستيقن متوثق وموثق لمشاكل الطفولة العربية المعاصرة ، درسا لا نقول لم يسبقنا اليه أحد من الناس ، ولكننا نقول انا جعلناه غاية مبتغاة ، السعي إليها مرسوم والبحث فيها منظم بعيدا عما يعجل الناس عن انفسهم فيجعلهم يمـرون بأكـثر قضاياهم تعقيدا مرورا سريعا يحجب عنهم عناصر الاعضال في الوضع المشكل الذي يعانون منه . لهذا السبب بالذات أنشأت الجمعيـة برنـامجها السنـوي من الندوات العلمية المتخصصة في دراسة شؤون الطفولة العربية دراسة يحتكم فيها إلى الخبرات الانسانية الواسعة في هذا الحقل الغني بمعهوده من الاشكالات وبموعوده من الحلول المستخلصة مما كشفت عنه الحركة العلمية العالمية المعاصرة من حقائق الطفولة واسرارها . وعلى مدى ستة أشهر من كل عام تدعو الجمعية رجالا ونساء ، ذوي فضل وسابقه في مجال التعامل العلمي مع واقع الطفولة العربية من داخل الكويت وخارجها وتوفر لهم فرص درس مشكلات هذه الطفولة درسا مبرءا من الحدود والقيود الاعتبارية في أطر الاجتماع العـربي المعاصـر . وقد أثبتت هـذه التجربة بعد آمادها في الكشف عن امهات العقبات التي تعوق التنشئة السليمة المبدعة لاطفال هذه الأمة . وكان الاسلوب الذي يسود مجالس الدرس العلمي هذه اقرب الى مشرط الجراح في التعامل مع الورم الخبيث منه الى المخدر الذي يسكت الألم زمنا قصيرا ليعود بعد زوال فعل التخدير يوجع ويؤلم .

من خلال مجالس الدرس العلمي هذه وضحت وضوحا قويا حقيقة ان مصدر المعاناة في الواقع الانساني للطفولة العربية المعاصرة كون هذه الطفولة كتب لها أو عليها أن توجد في مجتمع عربي متغير قلق لم يكتشف هو نفسه موقعه من حركة التاريخ الحديث ، مجتمع يعاني هو نفسه من اعضالات الانسلاخ من وضع تاريخي قديم للدخول في وضع مكتسب جديد تدفعه اليه وتغمسه فيه موجة زاحفة من التبدل المادي السريع والمستعار وما يصاحب ذلك من تحولات نفسية واخلاقية في انماط العلاقات الاجتماعية وما تفرضه من مواقف جديدة للراشدين نحو اجيالهم الجديدة ، الأمر الذي يكتب على العلاقة بين الكبار والصغار حالة من التوتر يقف الطفل منها في نقطة الشد Stress Point محتملة الانكسار ، وإذا كانت معاناة الكبار مرجعها إلى التعلق بالرؤية التي ثبتوا فيها بحكم العمر ونوع الخبرة المتراكمة ، فإن معاناة الاطفال مرجعها إلى كونهم غير مكتملي الوجود وغير راشدي الوعي لذواتهم وللاشياء من حولهم وان كثيرا من سلامة نشئتهم يعتمد بالضرورة على نوع المعونة التي يقدمها لهم الراشدون من حولهم ، وإذا كان فاقد الشيء لا يعطيه ، فإن محنة الطفولة في المجتمع العربي المعاصر تكتسب درجة أكبر من التعقيد بحكم الوضع المترجرج الذي يمر به مجتمع الكبار نفسه واصطراع القوى المادية والاخلاقية التي تحاول اعادة توجيه هذا المجتمع .

طرحت في الموسم الاول من الندوات العلمية المتخصصة (١٩٨٣ - ١٩٨٤) ست قضايا كبرى هي :

١ ــ الطفولة والتنشئة في علم النفس الاجتماعي مع تطبيقات خاصة على مركز الطفل في المجتمع العربي المعاصر .

٢ ــ شخصية الطفل والتنشئة العائلية .

٣ ــ الطفل العربي المعاصر ومشكلة الاغتراب الثقافي .

٤ ــ طفل المرأة العاملة .

٥ ــ التلفزيون والاطفال .

٦ ــ رجولة الصغار أم طفولة الكبار .

إن هذه القضايا تنتظمها وحدة عضوية داخلية تتوحد في صنعها كل العناصر المتنافرة التي تتسابق لاعادة تشكيل المجتمع العربي المعاصر . وستواصل الجمعية مواسمها السنوية من هذه الندوات العلمية وستختار في كل عام خطا رئيسا من اشكالات الطفولة في المجتمع العربي وتتدارسه من وجوهه المختلفة ثم تخرجه في كتاب سنوي جديد وهي تأمل أن تصبح هذه الكتب السنوية مرجعا عربيا اصيلا في مشاكل الطفولة العربية يرجع إليها الباحثون والمربون وغيرهم من المعنيين بهذا الامر .

يبقى من الدين الواجب الوفاء علينا أن نقرر ان هذه الندوات ما كان لها أن تتحقق وان هذا الكتاب ما كان له أن يكون لولا التضحيات الرفيعة بالجهد والوقت التي احتملها الباحثون والمعقبون والمشاركون في هذه الندوات ، هذه التضحيات التي كانت من العمق والغنى والجدية بما لا يعدله ثمن أو جزاء وليس للجمعية إلا أن تسجل لهؤلاء الافاضل والفضليات شكرها وامتنانها على ما احتملوا في سبيل قضية نبيله هي قضية اثارة وعي موضوعي بمشاكل الطفولة العربية والاشارة الى ما يمكن أن يلتمس لها من الحلول .

الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية

الندوة الأولى

الطفولة والتنشئة
في
علم النفس الاجتماعي

تشرين الثاني - نوفمبر - ١٩٨٣

النـــــدوة الأولـــــى ٢٨/١١/١٩٨٣

موضوع الندوة : الطفولة والتنشئة في علم النفس الاجتماعي .

المتحدث الرئيسي : د. خلدون النقيب جامعة الكويت

المعقب : د. محمد جواد رضا جامعة الكويت

رئيس اللجنة : د. عدنان شهاب الدين مدير عام معهد الكويت للأبحاث العلمية

المشاركون

١ ــ د .	ابراهيم عثمان	جامعة الكويت
٢ ــ د .	احمد بستان	جامعة الكويت
٣ ــ د .	احمد عبدالله	جامعة الكويت
٤ ــ د .	باسم سرحان	جامعة الكويت
٥ ــ د .	بدر العمر	جامعة الكويت
٦ ــ د .	حسن الابراهيم	رئيس الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية
٧ ــ د .	عبدالله الدنان	جامعة الكويت
٨ ــ د .	قاسم الصراف	جامعة الكويت

المقـــدمـــة

نمـــــاذج الانســـــان

تكتسب التنشئة الاجتماعية في مرحلة الطفولة أهمية خاصة لانها (من بين امور اخرى) :

أ ــ تعكس القابلية الاستثنائية على تعديل السلوك الانساني وتشكيله حسب المواصفات المطلوبة .

ب ــ تنطوي على العمليات الاساسية اللازمة لاستمرارية الحضارة وتراكم حصيلة المعرفة الاجتماعية عبر العصور ومن جيل إلى جيل آخر .

ج ــ تقرر المهارات والتجارب اللازمة للمعيشة في جماعة حضارية واللازمة للنجاح في الحياة اللاحقة ـ الراشدة . ولذلك فليس من المستغرب اذن أن نرى الاباء والمربين ورجال الدين والمشرعين والعلماء الاجتماعيين يجمعون على اهمية التنشئة في مرحلة الطفولة ، واجماع هؤلاء جميعاً هو دون شك حالة نادرة .

ولكننا سنرى بعد قليل بأن الامور ليست بهذه البساطة واليسر . فليست القابلية على تعديل السلوك بلا نهاية ، بل هي محدودة بضغوط حضارية وبيولوجية . وسنرى بأن هذه الضغوط Constraints تجعل من تمسكنا بفكرة كون الطفل صفحة بيضاء (أو تابولا راسا) لا مبرر لها . كما لم يعد من المقبول تصوير السلوك الانساني على أنه مجرد سلسلة منتظمة من المثيرات ـ الاستجابات . وليس انتظام الحياة الاجتماعية المفترض في (ب) بهذه السلاسة ولا هذه الرتابة ، فهناك

الكثير من التناقض وعدم الانتظام في الحياة الاجتماعية نضطر إلى التكيف والتعايش معه باستمرار . وكذلك فليس هناك ما يبرر الافتراض الضمني الوارد في (جـ) بأن تجارب الطفولة المبكرة تنعكس بشكل آلي « في مظاهر ايجابية (تبني) أو مظاهر سلبية (تهدم) » على مرحلة النضج والكهولة . فهذه القناعة بوجود استمرارية غير منقطعة Connectivity بين الطفولة والكهولة تحتاج إلى توضيح وتحديد .

فقد لاحظ دنيس رونك في دراسة نشرها سنة ١٩٦١ بأن نماذج الانسان التي تدور حولها التنظيرات في العلوم الاجتماعية تولد انساناً مغرقاً في الاجتماعية Oversocialized وقد انصب نقد رونك على التفسيرات الاجتماعية للانتظام Order على المستويين : المجتمعي ، والعلم نفس ـ اجتماعي . فعلى المستوى المجتمعي أثار ماركس مسألة الكيفية التي بواسطتها يمكن ضبط وتنظيم الصراعات ذات الامكانيات المدمرة بين الجماعات والطبقات . وعلى المستوى النفس ـ اجتماعي تتمثل مسألة الانتظام بتساؤل هوبز : اذا اعتبرنا ميل الانسان للنزوات والعنف والخداع . فكيف استطاع هذا الانسان اذن ان يؤثر في المعايير الاجتماعية والقيم المشتركة ؟ لماذا بدلاً من حرب الجميع ضد الجميع ـ هناك كثير من الانتظام والاجماع في المجتمع كما هي الحالة الآن ؟

ففي الحالة الأولى ، انصبت التفسيرات على المسألة البنائية في الانتظام التي تعرض لها ماركس ، خذ مثلاً مفهوم تماسك الجماعة وتفسير ظاهرة الانتحار عند دوركايم (التي تجد اصلها دون شك عند ابن خلدون في مفهوم العصبية) والتأثير المستمر الذي خلفه هذا النوع من التفكير . اما فيما يتعلق بالمسألة على المستوى العلم نفس ـ اجتماعي فان هناك مبالغة في الاغراق في التنشيء . فحسب تعبير فيلد هناك نموذجان للانسان يمكن استخلاصهما من التنظيرات المختلفة للتنشئة الاجتماعية : النموذج العلم اجتماعي أو Homo Sociologicus كما يقول

داهرندورف ، والنموذج الرمزي .

ينتقد رونك تصوير عملية التنشئة في النموذج الأول على انها مجرد آلة استدخال Internalization لمعطيات معايير وقيم في الحضارة ، بحيث تتحول هذه القيم والمعايير إلى جزء من التكوين النفسي للانسان وليست خارجاً عنه . بهذه الطريقة يظهر الانسان وكانه لا حول له Passive وعاء فارغاً يعبأ بما تعطيه حضارته من خلال عملية الاستدخال Rote Internalization .

وقد تعرض نموذج الانسان هذا إلى نقد متواصل لعدم واقعيته وآليته . وتلافياً لهذا النقد يقدم لنا الانسان في النموذج الثاني الرمزي على العكس من الحالة الأولى : يقدم على انه فاعل مشغول ببناء الواقع المحيط به كما يبدو له من خلال تطوراته وتفاؤلاته الرمزية ـ بدءاً باكتساب اللغة التي تحدد التوقعات والتعريفات المشتركة للواقع . ولذلك فالانتظام حسب هذا النموذج الرمزي مستمد من انصياعه Conformity الطوعي للمعاني المشتركة . اذ ان الواقع هنا ما هو الا حصيلة مشتركة من المعاني . ولذلك فهذا الانسان ـ على العكس من الانسان في النموذج الأول ـ غير قادر بالمرة على ادراك أو تفسير عدم الانتظام Disorder الموجود في المجتمع لأنه ينصاع إلى التوقعات المعيارية بسبب رغبته العميقة في الحصول على رضى الآخرين .

وهكذا « يذوب » الانسان في البناء الاجتماعي في النموذج الأول ، وفي النموذج الثاني « يذوب » الانسان في عملية التواصل الرمزي . واضح اذن أن هذين النموذجين غير قادرين على تفسير امكانية أن يشط الانسان أو يجنح قليلاً عن المسار الذي تحدده المعايير الاجتماعية حسب المواصفات الحضارية ـ أن يكون شاذاً أو غير طبيعي . ان المسألتين المتصلتين بتفسير الانتظام اللتين اثارهما ماركس وهوبز ، أي مركزية الصراع في العلاقات الاجتماعية دون دمار المجتمع ، وامكانية الحضارة مع وجود الخطر المحدق المهدد بالعودة إلى شريعة الغاب ، ما

زالتا قائمتين . ويبدو انهما تصوران حالات دائمة لا حالات انتقالية .

فليس اذن المطلوب هو الوصول إلى حالات ينتفي فيها الصراع ولا هو مطلوب تصور حضارة يكون فيها البشر نسخاً عن بعضهم بعضاً . فالمطلوب في تصوري هو محاولة تفسير التطور الانساني بدون المبالغة في التنشئة خلاف الواقع وبدون الافتراض بأن حالة الانتظام يمكن أن تختفي بالتمني . ولا يقل عن خطر الافتراض الأول خطر وقوع تفسيراتنا في مأزق التشيؤ Reification والاغراق في التعليل النفسي .

المطلوب في اعتقادي هو طرح عملية الاستدخال كاشكالية دائمة في الحضارة .

نحو نظرية للتطور الانساني

ان السعي للوصول إلى تفسير نظري للتطور الانساني ما زال في بداية الطريق . وقد شهدت الثلاثين سنة الاخيرة كثيراً من التقدم خاصة في ميدان البحوث الميدانية والتجريبية . وربما بسبب ذلك بدأنا بالتخلي إلى حد كبير عن التفسيرات « الطبيعية » (من الانواع البيولوجية ـ الغريزية) للسلوك . كما أن فكرة وجود طبيعة انسانية قبلية a priori مقررة مقدماً لم تعد تقبل بدون نقاش وتذمر ، بل اصبح بالامكان رفضها لانها تؤدي إلى تفسير غيبي ضيق للسلوك الانساني . اما التفسير الاشراطي الكلاسيكي الذي ساهم إلى درجة كبيرة في اضعاف التفسيرات « الطبيعية » قد انتهى هو ايضاً حتمية بينية غير واقعية . ويشترك التفسيران السابقان في كونهما لا تاريخيان يقللان من دور الحضارة والقيم في صياغة الاسس المادية التي يقوم عليها السلوك .

بمعزل عن هذين التيارين يفترض جيروم برونر بأن تعامل الانسان مع الآلات والأدوات Implement الخارجية لابد أن يولد على المدى الطويل مقابلاتها

الداخلية الذاتية المناسبة ـ وهذه هي المهارات الملائمة لاداء أنواع مختلفة من الافعال ، وهي في حقيقة الأمر قدرات Capacities تم اختيارها تطورياً وببطء فمن الآلات والأدوات ما تضخم الطاقات الحركية في الانسان مثل آلات القطع والعجلات وغيرها . ومنها ما يضخم القدرات الحسية كما في استعمال رسائل الدخان وغيرها من المدركات التي تختزل التجربة الحسية بشكل تصورات . واخيراً هناك الالات والادوات التي تضخم القدرات الاستنتاجية ـ الاستدلالية كالنظم اللغوية والاساطير والنظريات .

ان المقابلات الذاتية للآلات والأدوات (بمعناها الواسع كطرق لاداء الأفعال) تقوم بتمثيل البيئة عن طريق عملية الاستدخال بحيث تصبح جزءاً من ذات الانسان وتكوينه النفسي . هذه التمثيلات Representations يطلق عليها برونر الاسماء التالية : (أ) المحركة Enactive ، (ب) الايقونية Iconic ، واخيراً (جـ) الرمزية .

في الحالة (أ) لا نستطيع عادة لو سئلنا أن نعطي وصفاً دقيقاً للارض والارصفة التي نمشي عليها ، ومع اننا لا نملك صورة عقلية image عنها فاننا نمشي ونتجول دون أن نتعثر ودون أن نجد حاجة للتحديق في الارض والارصفة التي نمشي عليها . وهذا ينطبق على كثير من النشاطات الحركية كقيادة السيارات وركوب الخيل وركوب الدراجات .

اما في الحالة (ب) فاننا نختصر الاحداث والتجارب بانتقاء وتنسيق مدركات وصور عقلية عنها بواسطة الزمان والمكان والابنية النوعية للمجال الادراكي ، فاللوحة مثلاً تمثل المنظر أو الوجه المرسوم عليها . وهكذا في كل صور المحسوسات في الادراك .

واخيراً فان التمثيل الرمزي للبيئة (جـ) يتصل بملامح تتضمن البعد

والعشوائية . فالكلمات (كنظام رمزي) لا تشير إلى ما هو مقصود بها Referent هنا والان ، ولا هي تشبهه كما في حالة اللوحة .

ان الوصول إلى المرحلة الاخيرة يدل على الوصول إلى مرحلة النضج المتمثلة بالقابلية على تكامل Integration المجال النفسي الذي يتعدى الاضافات الادراكية . وهكذا يظهر تدريجياً « التكنولوجي » الذي يترجم التجربة إلى نظام رمزي يوسع بشكل كبير مدى الحلول للمشكلات Problem Solving التي يتعرض لها الانسان . وقد لخصنا منهج برونر في النمو العقلي في شكل رقم (١) .

تأثير نظم الادوات Technologies	انماط تمثيل البيئة Representation	فئات نمو القدرات الذاتية Capacities	السلوك التجميعي Grouping Behavior	مرحلة النضج Stages
القدرات الحركية	تمثيل حركي	الفعل	اكوان	اقل
القدرات الحسية	تمثيل ايقوني	التصور	مركبات	تمركز حول الذات
القدرات الاستنتاجية	تمثيل رمزي	اللغة	مفاهيم عليا	٤ سنوات
				لا تمركز حول الذات
				اكثر

شكل رقم (١)

منهج برونر في النمو العقلي والمؤثرات البيئية

من الواضح أن برونر يتبع منهجاً مستمداً من بياجية وفيكوفسكي بحيث يجعل النضج محصلة تراكمية للانتقال من المرحلة الأولى إلى الاخيرة ويجعل من التمثيلات متغيرات تتوسط بين المثيرات والاستجابات ، سواء اسميناها النظام الاشاري الثاني أو الحكم الخلقي . ولكنه يتميز عن العالمين المذكورين بتفسيره « التكنولوجي » على انه علاقة تبادلية بين الانسان وبيئته .

وهذا العنصر يتيح لنا كذلك ان ندخل العنصر التاريخي في تفسير التطور الانساني ـ هذا العنصر الموجود في مفهوم قوى الانتاج الاجتماعية Social Force of Production كما يستعمله ماركس ـ الوعي الاجتماعي كمحصلة لتطور قوي الانتاج .

لا شك أن مفهوم قوى الانتاج كما طرحه ماركس (في الايديولوجيا الالمانية وفي الكروندريسه مثلاً) بحاجة إلى صياغة اكثر دقة ، وقد حاول بعض الباحثين من امثال اوسكار لانكه ان يعيد صياغته بشكل قوانين ثلاثة اساسية لعلم الاجتماع : (١) التجانس الضروري بين علاقات الانتاج وقوى الانتاج الاجتماعية ، (٢) التجانس الضروري بين البناء الفوقي والقاعدة الانتاجية ، (٣) التطور التقدمي لقوى الانتاج الاجتماعية .

بطبيعة الحال لا أدعي بأن من الممكن تقديم تفسيرات دقيقة للسلوك والتطور الانساني باستعمال هذه القوانين بصياغتها الحالية العامة المجردة غير المحكمة . ولكنني ارى أن من الممكن من خلال متابعة مفهوم « التكنولوجي » مثلاً الوصول إلى تفسيرات امبريقية اقل تجريداً ، بشكل اجدى من المنهج الذي شاع مؤخراً ذلك المنهج الذي يزاوج بين ماركس وفرويد .

النضـــج ومراحـــل التطـــور

مع أن هناك اتفاقاً على الملامح العامة للنضج بين علماء النفس الاجتماعي ، الا انهم قد يختلفون في التفاصيل . فجيروم كيكان مثلاً يعتبر ان الاعتمـاد على النفس ـ الاستقلالية والعقلانية على انها علامات لا تخطأ للنضج . وبرونر يهتم بتناغم المكونات والقدرات (المذكورة في شكـل رقم ١) في تسلسل متكـامل . واريكسون وماكندلز يعتبران النضج هو الاعتماد على النفس والمثابـرة في العمل واشباع الحاجات في حدود تترك للآخرين مجالاً .

ولكن من المهم في هذا السياق أن لا نخلط بين التجربة وبين النضـج . فعندما يقـوم الاطفال باداء العاب معينة فانهم يتعلمونها من التجربة ولا عـلاقة للنضج بذلك . فالنضج لا يتسبب في حدوث أو قيام وظيفة نفسية ، ولكنه يحدد ابكر اوقات حدوثها أو قيامها . فدماغ طفل عمره اشهر لا يسمح له بفهم وتكلم اللغة بغض النظر عن درجة تعرضه لها . ولكن دماغ طفل عمره سنتان ناضج بما فيه الكفاية لفهم اللغة وللتعبير عن نفسه (بشكل بدائي لا شك) بواسطتها ، ولكنه لن يتكلم اذا لم يخالط الآخرين الذين يتكلمونها .

وهذا يوصلنا إلى قضية بالغة الخطورة وهي أن الانسان نتاج حضارته التي استدخلت وتحولت إلى جزء من ذاته . فالانسان هو نتاج العلاقات الاجتماعية التي تنشأ في الجماعات . والوعي الذي هو صفة ملازمة للنضج هو وظيفته العليا .

ولذلك فالتناقض الذي يطرح في بعض الاحيان في علم النفس الاجتماعي بين الفرد والجماعة (باعتبار أن الجماعة تهدد فردانيته) هو تناقض لا وجود له في الواقع ، لان الفرد بلا جماعة هو فرد بلا وعي . ولنفس السبب نحن لا نستطيع أن نتصور أن يكون هناك مقياس ذكاء متحرراً من الحضارة Culture-Free لان التحرر من الحضارة معناه التحرر من الذكاء Intelligence Free .

لقد شاع الاعتقاد في الخمسين سنة الاخيرة (تحت تأثير فرويد من جهة وبياجية من جهة أخرى) في علم النفس الاجتماعي بأن هناك مهمات Tasks تؤدي في مراحل عمرية معينة . وبالرغم من أن هذا الاعتقاد لم يثبت قطعياً تجريبياً ولا ميدانياً الا انه يصبغ كثيراً من التفسيرات النظرية للتطور الانساني . على سبيل المثال : نحن لا نعرف لماذا يبدأ الاطفال باكتساب اللغة في السنة الثانية ، ولا لماذا يبدأون باللعب المتبادل Reciprocal في السنة الثالثة ، ولا لماذا يبدأون بتكوين المفاهيم في السنة السابعة . كما أن افتراض وجود مراحل تحددها الواجبات يتبعه افتراض آخر ، وهو أن هناك تسلسلاً وتتابعاً في الخبرات Sequence وهو امر غير ثابت أيضاً ويرفضه السلوكيون قطعياً .

ان افضل مثال على هذه المراحل وعلى تتابع الخبرات وبالتالي المهارات هو المنهج الذي نقدم تلخيصاً له في الشكل رقم (٢) ويطرحه اريك اريكسون مستمداً من ماكندلز .

يعتبر اريكسون (من منطلقات فرويديه) كل مرحلة من المراحل الخمس على يمين الجدول عبارة عن ازمة نفسية ـ اجتماعية يتبعها سكون أو موارتوريوم . ومقابل كل مرحلة تبدو الخبرات الملائمة لها أي مؤشرات النضج في الخط المائل المتمثل بالقيم الوسطية Diagonal . وقد وضع اريكسون هذا الجدول بحيث يقرأ على شكل الحرف الاغريقي psi (ψ) . مثلاً : اذا حدث (في المرحلة عمود ٢ ـ سطر ٢) وكان تدريب الطفل على ضبط عادات الاخراج Toilet Training متسامحاً وبدأت عملية الضبط بعد أن تعلم الطفل الوقوف والتعبير عن نفسه رمزياً ، واذا كان تدريبه موجهاً بالحب Love-Oriented ومتناسقاً بدون مبالغة ، فان الطفل يتعلم كيف يسيطر على بواعثه للتبول والاخراج ويدخل مرحلة الاعتماد على النفس والاستقلالية وهو واثق من سيادته Mastery على جسده ، والا فالعكس سيحدث أي الخزي والعار عندما يعرض نفسه وهو متسخ « نجس » إلى عيون

الناس واستهزائهم . وهكذا يصبح « مشروع ضحية » لعالم لا يرحم .

وحسب هذه الخطة فان الانسان ينتقل من مرحلة إلى اخرى متجاوزاً هذه الازمات النفسية ـ الاجتماعية متدرجاً في مراحل النضج في استمرارية لا تنقطع من الطفولة إلى الكهولة ، حتى يصل في النهاية إلى حالة الاهلية Competence أي انتظام وكفاية التنشئة ، أو إلى حالة الاحباط . وهنا لا يقصد بالاحباط ان يكون جيداً أو رديئاً وانما هو دائم الوجود Omni Present .

ولكن هل افتراض هذه الاستمرارية غير المنقطعة بين الطفولة والكهولة هو افتراض واقعي ؟ في الحقيقة أن الصلة بين الطفولة قبل سن المدرسة وبين الكهولة أي الحياة الراشدة هي قناعة غير مثبوتة بشكل قاطع ، اي اننا لا نستطيع أن نقيم الدليل على وجود علاقة سببية بين احداث معينة تقع في الطفولة وتتسبب في ظهور اعراض نفسية فيما بعد في مرحلة الكهولة . ولكن لهذه القناعة أسباباً .

احد هذه الاسباب ايديولوجي بحث يتلخص اما في تثبيت مبدأ المساواة الوهمي ، أي : اذا تساوت الفرص في الطفولة تساوت امكانية النجاح في الحياة فيما بعد . أو في تبرير حالة حاضرة ، كما في : اننا نساق أو نخضع لنزوات وشهوات السلاطين والحكام لاننا جبلنا على ذلك منذ الصغر .

وثاني هذه الاسباب الاعتقاد بأن التربية (أو التنشئة بشكل عام) الصحيحة في الطفولة كالتطعيم ضد الامراض الاجتماعية (بالضبط كما يعمل التطعيم ضد امراض الجسد) . وكأن العلاج اذا حدث خلل ما هو ليس اصلاح الاوضاع القائمة التي ادت اليه ، وانما اصلاح اوضاع العائلة .

وثالث هذه الاسباب هو الاستعمالات اللغوية التي تؤكد بصورة ضمنية غير واعيةهذه الاستمرارية التطورية ، فالصفات التي تستعمل لوصف سلوك الكهول الراشدين هي نفسها التي تستعمل لوصف الاطفال : ذكي ـ خبيث ـ قنوع ـ

شكـل رقـم (٢)

سكيماتا مراحل الانسان الثماني كما لخصها ماكندلز

	عمود رقم ١	عمود رقم ٢	عمود رقم ٣	عمود رقم ٤	عمود رقم ٥
سطر رقم ١ الطفولة الأولى	الثقة (مقابل) عدم الثقة				وحيد القطب (مقابل) تميز الذات غير الناضج
سطر رقم ٢ الطفولة المبكرة		الاستقلالية (مقابل) الخزي ـ الشك			ثنائي القطب (مقابل) الهروب من الواقع
سطر رقم ٣ مرحلة اللعب			روح المبادرة (مقابل) الشعور بالذنب		التوحد باللعب (مقابل) الهويات الادويبية المتخيلة
سطر رقم ٤ مرحلة المدرسة				المثابرة على العمل (مقابل) الشعور بالنقص	التوحد بالعمل (مقابل) الانغلاق القبلي للهوية
سطر رقم ٥ مرحلة المراهقة	منظور الزمان (مقابل) تشتت الزمان	اليقين الذاتي (مقابل) الوعي بالهوية	تجريب الادوار (مقابل) الهوية السلبية	توقع النجاح في العمل (مقابل) الشلل في العمل	الوعي بالهوية (مقابل) تشتيت الهوية

مراوغ ـ كريم ـ بخيل . . . الخ . وقس على ذلك تصنيف الاطفال على مقاييس الصفات المجيدة وكأنها تجد اصولها في مرحلة الطفولة .

وقد تكون الاستنتاجات من التجارب على الحيوانات وتعميمها على البشر مصدراً آخر من مصادر هذه القناعة . خذ على سبيل المثال الصدى الذى خلفه مفهوم Lorenz في « التبصيم » الادراكي Imprinting عند الميلاد والطفولة الأولى في بعض الطيور . أو تجارب هارلو مع القردة كتلك اذا ربى فيها القرد في قفص مظلم بمفرده يشب وهو شديد الخوف كثير العدوانية . أو التجارب العديدة مع الفئران اذا حقنت انثى الفأر بهرمونات الذكورة في مرحلة الطفولة أبدت أشكالاً رجولية من السلوك عند التزاوج .

بالرغم من أننا بطبيعة الحال لا نستطيع ان ننكر بأن تجارب الطفولة والاتجاهات التي تكتسب اثناءها يمكن أن تنتج آثاراً دراماتيكية على شخصية الانسان ونوازعه ، ولكننا مع ذلك نرى ان اغلب هذه الآثار يمكن تعديلها وتغييرها واخضاعها لمؤثرات عديدة أخرى تتوسط بين الطفولة والكهولة وتتدخل في عملية التنشئة بدرجات متفاوتة كما سنرى .

عمليـــات تنشئـــة الاطفـــال

ان محاولة الوصول إلى تفسير للتطور الانساني عبر مراحل النضج السابق ذكرها تنصب على عدد محدود من العمليات الاساسية تبلورت في البحوث النظرية والتجريبية في الخمسين سنة الاخيرة ، وهي :

(١) الاستدخال ـ الاستخراج Internalization, Externalization .

(٢) الاتكالية ـ التعلق بوسيط Dependence - Attachment .

(٣) التقليد ـ التوحد مع مثال Imitation, Identification .

(٤) لعب الادوار ـ تكون مفهوم الذات Role Playing - Self Concept .

من الـواضح أن المجـال لا يتسع هنـا للدخـول في شـرح مفصـل لهـذه العمليات . الا أن هناك عدداً من الامور يجب أن تذكر بشكل سريع . أولاً : ان جميع هذه العمليات تنطوي على اشكال مختلفة من التعلم الاجتماعي . أحد هذه الاشكال من التعليم الاجتماعي ما اصطلح على تسميته بالتعلم الارتباطي Asso-ciative Learning الذي يتحول فيه ارضاء الوسيط (الاب ـ الام ـ المدرسة . . . الـخ) من دافـع محـدد إلى دافـع أولي ـ كـما في تعلم السلوك الحميـد ارضـــاء للوالدين ، لأن ارضاء الوالدين كان قد ارتبط في السابق باشباع حاجـات أولية للطفل . وهذا النـوع من التعلم يحاول فيـه المنظرون مـلء الفجوة بـين التعلم الشرطي في المجتمع وبين الاوضاع في البيئة الحياتية (علما بأن البيئة لهم عبارة عن المثيرات الوظيفية فقط ـ تلك التي يوفرها البشر) .

كما أن التقليد ـ التوحد مع مثال ينطوي على تعلم عن طريق محدود لدى الطفل مطابقة استجاباته مع الارشادات ـ الارشادات CLUES التي تولد استجابات

شخص آخر (المثال ـ النموذج) . بينما في التوحد مع مثال التعلم عندما تتولد في الطفل الرغبة في اكتساب الخصائص السلوكية للعيش بحيث يكون في النهاية تشابه في نمطي السلوك .

أما في حالة الاتكالية ـ التعلق بوسيط فـان التعلم يتصل بـالسيطرة عـلى مجـالات واسعة من الاستجـابات للفـرد بواسـطة مثيرات يـوفرهـا مجموعـة من الاشخاص (الاتكالية ـ الاعتماد على الغير) أو بواسطة شخص معين (الوسيط) يمتلك خصائص استثنائية .

أما في لعب الادوار ـ تكون مفهوم الذات فان مجالات التعلم الاجتماعي واسعة جداً لأن الادوار الاجتماعية هي قوالب سلوكية جاهزة مكونة من اتجاهات وقيم ومكونات معرفية تتصل بالوظيفة موضوع الدور . وتكوّن مفهوم الذات يمثل القمة التي تتوج البروفات التي مارسها الشخص في لعبة للادوار باعتبارها ـ اي الذات ـ اتجاهاً مركزياً .

ويعتقـد بعض المنـظرين من بـين علماء النفس الاجتمـاعي ان عمليتي (التقليد ـ التوحد مع مثال) و (الاتكالية ـ التعلق بوسيط) هما عمليتان متتابعتان متعاقبتان . كما يعتقد بعضهم أن لعب الادوار هو في حقيقة الامر مطابق للتوحد مع مثال (اي أن لعب دور الاب مثلاً هو في الحقيقة التوحد مع الاب) . ومن هذا المنظور فان أخذ الادوار Role Taking متصل اتصالاً جذرياً بتكون مفهوم الذات الذي يتم عن طريق اكتساب اللغة والتي هي وسيلتنا لمعرفة العالم من حولنا .

ان العملية المركزية الاساسية في التنشئة الاجتماعية هي الاستدخال ، اي عندما يصبح السلوك العلني الخارجي ممثلاً بنموذج أو خطة معرفة داخلية كما في نظريات فيكوفسكي وبياجية ، أو بشكل أوسع المقدرة على ترجمة التعلم إلى المقدرة على التحكم بالسلوك ذاتياً . ان وجود هذه المراقبات الداخليـة الذاتيـة المتمثلة

بالضمير هي التي تغنينا عن وجود شرطة اخلاق أو رقباء في كـل الاوقات وكـل الحـالات . وهي العملية التي يكـون انتظامهـا المؤشر الحقيقي لانتـظام عمليـة التنشئة . وهي ايضاً العملية التي ما زلنا إلى حد الان لا نعـرف الا القليل عن منظماتها وضوابطها .

وكذلك يختلف المختصون في علم النفس الاجتماعي في تفسيراتهم لانماط التعلم الاجتماعي التي مر ذكرها . ولما كان موضوع نظريات التنشئة الاجتماعية يحتاج إلى معالجة خاصة ، أود فقط أن أشير إلى أنـه بالـرغم من التعدد الكبـير والاختلاف في التفاصيل فان هذه التوجهات النظريـة يمكن جمعها ـ تحت ثـلاثة عناوين رئيسية من حيث درجة التركيز على مفهوم مركزي معين :

(١) الاتجاه العقلي ـ التطوري
المبني على التمثيل الرمزي للعالم . Cognitive Developmental

(٢) اتجاه التعلم الاجتماعي المبني
على فكرة التدعيم . Social Learning

(٣) اتجاه التحليل النفسي المبني
على مبدأ الدافعية الليبيدية . Psychoanalytic

وبامكاننا باتباع أي من هذه الاتجاهات ان نتوصل إلى تحديد مجموعة من المؤثرات المتنوعة التي تتدخل في تنشئة الاطفـال . وتتفاوت معلومـاتنا عن هـذه المؤثرات من الحقائق التي تولدت في البحوث التجريبية إلى القناعات العامة إلى مجرد تكهنات . واذا ما حاولنا وضع قائمة بهذه المؤثرات فمن الممكن ان تشتمل على الموضوعات التالية :ـ

(١) تأثير متغيرات العائلة .

(٢) تأثير جماعات الصحة .

(٣) تأثير الطبقة الاجتماعية .

(٤) تأثير المدرسة (التدريب المباشر)

(٥) تأثير البيئة الحضرية .

(٦) تأثير التواصل الجمعي .

(٧) تأثير الدين .

(٨) تأثير السياسة (التنشئة السياسية) .

انه لمن المؤسف حقاً أن نذكر بأن معلوماتنا عن هذه المؤثـرات في المجتمع العربي ما زالت محدودة ، ولذلك سأقتصر فيما يلي على ذكر بعض اشكاليات تأثير العائلة والطبقة بشكل عام .

تأثير العائلة والطبقة على التنشئة

لابد أن نحذر منذ البداية من أن ميدان دراسة مؤثرات العائلة والطبقة على التنشئة مليء بالتحيز القيمي والايديولوجي . وخير مثال على ذلك الطريقة التي تعالج بها كثير من المشكلات الاجتماعية وربطها ربطاً ساذجاً بالعائلة إلى درجة أصبحت العائلة الوسيلة التي تفسر بها مشكلات معينة مثل الادمان على المخدرات ، الجريمة ، والفشل في الحياة . وهنا أيضاً تبرز هذه القناعة التي صادفتنا من قبل بأن هنالك استمرارية لا تنقطع من الطفولة إلى الكهولة .

صحيح ان الوالدين يتواصلان مع ابنائهم (بين أعمار ٣ إلى ١٣ سنة) حول الأمور التي يجب ان يخافوا منها اكثر من أي شيء آخر في الحياة : اغضاب الوالدين ، اعراض الاصحاب والاصدقاء ، الفقر وعدم وجود الكفاية من المال ، الاستغلال ، عدم التأهل للنجاح في الحياة in Competence ، التعرض للاذلال بسبب انتهاك معايير الجماعة . وكما جاء في الحديث : « تعوذوا بالله من الفقر والقلة والذلة ، وان تظلم أو تظلم » .

هذه المصادر من عدم اليقين من الممكن ان تبقى مع الانسان بقية حياته ما لم تتح له فرصة إثبات عدم صدقها وتنظيم حياته لحماية نفسه منها . وكذلك فاننا لا نرجع النجاح في الحياة والسعادة في الزواج . . . الخ إلى العائلة وانما إلى الصدفة والمقدرة العصامية .

يقسم تأثير الوالدين على التنشئة في أدبيات علم النفس الاجتماعي إلى قسمين : (أ) نوع ومصادر التدعيم الوالدي ، (ب) وممارسة الوالدين للقوة Exercise of Power . ففي القسم الأول من التأثيرات هناك التدعيم الموجه بالحب والتدعيم الموجه بالعقاب ، أو Love Oriented vs. Thing Oriented .

وفي هذا السياق فان انقطاع الحب ، أو مجرد التهديد بقطعه هو بحد ذاته واسطة تنشيئية ووسيلة للعقاب النفسي . ولكن حسب هذا المنطلق اذا زاد الحب عن حده انقلب إلى اداة مدمرة . وتصبح عملية استدخال الضمير أو الشعور بالذنب من الشدة بحيث تدفع الطفل إلى الشلل النفسي . وهنا يجب التفريق بين الشعور بالذنب والشعور بالخزي (العار) ، اذ تتمثل الحالة الاخيرة بالخوف من التلبس أو توقع العقوبة من الآخرين . بينما الشعور بالذنب هو العقوبة الذاتية . اما التدعيم الموجه بالعقاب فهو مشروح جيداً في الدراسات عن التدعيم بواسطة العقاب والثواب .

والقسم الثاني من تأثيرات الوالدين على التنشئة يتصل بممارسة القوة وهو ميدان غير واضح جيداً حتى الآن ولم يعالج معالجة نظرية وافية ، ويحفل بتداخل كبير بين تأثير العائلة وتأثير الطبقة . ومنبع أهمية القوة هنا ـ القوة الجسدية في التنشئة ـ هو منبع حضاري كما في ادوار الانوثة والرجولة Sex Typing ، ولذلك يبدو الأب لأبنائه قوياً مهيمناً ثم تقل أهمية هذه الخاصية في الآباء كلما كبر الاطفال . ويتضح من بعض الدراسات ان مزاوجة القوة الجسدية بالتحكم الدكتاتوري (الاستبداد الابوي) يزيد أو يقل من طبقة اجتماعية إلى اخرى ومن جماعة حضارية إلى اخرى . وهذه احدى الطرق لتفسير البناء « المفكك Loose للعائلة في الطبقات الفقيرة . ويحصل أحياناً أن يجمع ابناء الطبقات الفقيرة بين القوة الجسدية والطاقة الجنسية Sexuality كما في سمعة الماجيزمو أو « الحماشة » في العامية المصرية أو الرجولة الطاغية في صفة « السبع » .

ومن الممكن في حالات أخرى ان يجمع بين الصفات الثلاث : القوة الجسدية ، الطاقة الجنسية ، والعدوانية . وكثيراً ما يكون هذا الجمع الطريق المؤدي إلى جنوح الاحداث والسلوك الاجرامي . وهنا يبدو التأكيد على دور الأب واضحاً بينما يبقى دور الام في التنشئة أقل وضوحاً في مثل هذه الدراسات .

من كل ما سبق عرضه نود الوصول إلى الجدال الذي اثارته دراسات ادورنو وجماعته عن الشخصيةالتسلطيةالتي كان منشؤها في الاصل البحث في ظاهرة التحيز لاكتشاف الميول المعادية للسامية، وما تبع ذلك من دراسات، خاصة (روكيج) عن الفكر المغلق والفكر المفتوح (مقياس التعصب ومقياس الرأي الحر) ، لأن لهذا الجدال صلة بالاعتقاد الشائع هذه الايام بأن بناء العائلة العربية هو بناء تسلطي يمثل احد أهم مصادر التسلطية في المجتمع العربي .

لنبدأ بفحص الافتراض القائل بأن العرب اكثر من غيرهم تقبلاً للشخصية التسلطية لان الطابع الغالب للتنشئة في المجتمعات العربية هو الطابع التسلطي . اذا كان المقصود بأن هذا الافتراض ينطبق على الاوضاع القائمة الآن فهو افتراض لم تثبت صحته ميدانياً ولم يقـم عليه دليل . اما اذا كان المقصود بهذا الافتراض تأثير الارث الحضاري والسياسي على التنشئة فان اغلب المجتمعات التقليدية تتصف بهذه الاعراض التي تصاحب التسلطية : الخضوع التسلطي للقيادة ، عدم احتمال الغموض ، التعصب الشرس للجماعة . . . الخ .

ولكننا لا نستطيع القول أننا نقبل الخضوع التسلطي للقيادة لمجرد اننا نشئنا على ذلك ـ بقدر ما ان القيادة التسلطية مفروضة علينا بالقوة والبطش والارهاب . كما أنه لا يتبع بالضرورة (حسب منطوق فرضية استمرارية الخبـرة في الطفـولة والكهـولة) ان التربية التسلطية في الطفولة تقود آلياً إلى الهروب من الواقع في الكبر بشكل الاسقاط الهروبي Autistic Projection .

ان كثيراً من هذه الدراسات عن تأثير العائلة على التنشئة تقع في اخـطار التأويل غير الموضوعي ـ حسب رأي جيروم كيكان ـ بسبب عدم حساسية المناهج التي تعتمـد عليها في جمـع وتحليل المعلومـات . فمعظم هـذه الدراسـات يهمل تفسيرات الاطفال انفسهم وأساليب ادراكهم . ولكن طالما ان ليس هناك دراسات لمعرفة افعال الوالدين كما تترجم وتقيم في وعي الاطفال ، فليس معنى ذلك اننا

نستطيع الانكار بأن هذه الافعال تلعب دوراً مهماً في تنشئة الاطفال .

أما الدراسات التي تبحث في الفروقات في التنشئة التي يمكن تفسيرها بواسطة اختلاف الطبقة (والمقصود هنا المستوى الاجتماعي ـ الاقتصادي وليس الطبقة بتعريفها الكلاسيكي) فقد تركزت على الممارسات التنشيئية التالية : (١) تغذية الاطفال وفطامهم ، (٢) العادات الاخراجية ، (٣) الحاجات والممارسات الجنسية ، (٤) الحاجات والممارسات المتصلة بالعدوانية ، (٥) الحاجات النابعة من الاتكالية . ومصدر الاهتمام بهذه الممارسات يرجع إلى معرفة درجة التزمت ـ المرونة ، درجة قسوة العقوبة عند الشذوذ عن القاعدة ، وتطور القلق Anxiety المتصل بها .

ليس هناك ما يدعو إلى الخوض في التحيزات القيمية والايديولوجية التي تسود في هذا الميدان من البحث ـ خاصة وأن أغلب علماء النفس والاجتماع ينتمون إلى الطبقة الوسطى وقد استدخلوا تحيزات طبقتهم ضد الطبقات الاخرى . (وقد تطرق بعض الباحثين من أمثال سي رايت ميل وزايتلن ومؤخراً بيليكز إلى الكشف عن البعد الايديولوجي في النظريات الاجتماعية) . ولا يخفي ان واحداً من اهم وظائف التنشئة في النهاية هو تهيئة كل طبقة من الطبقات الاجتماعية ان تقبل بمكانها « الطبيعي » في السلم الاجتماعي ، وان تتعلم بأن التمرد والثورة مكلفان مادياً ونفسياً .

خاتمـــة : النضـــج وتفسيراتـــه

يستخدم علماء النفس مصطلح عادة دون أن يقصدوا ـ بالضرورة ـ التعلم . فغالباً ما يكون المقصود بالنضج هو نمو الجهاز العصبي المركزي الذي يخضع إلى « سيناريو » دقيق لكل المخلوقات ، وما يصاحب هـذا النمو من ظهـور ميزات وصفات نفسية كتلك التسلكات والاعتقادات والقيم التي تظهر عند الاطفال في محيط الجماعات . وهذا ما يسميه ارنست ماير النظام المغلق . اما النظام المفتوح فهو عبارة عن الاحداث التي تتحكم بتنوع التجارب الحياتية وزمان ظهور المهارات الموروثة . . . الخ . يجب ان لا يفوت القارىء ملاحظة ان هذه هي صياغة جديدة للقضية الازلية اياها : المفاضلة بين البيئة والوراثة .

في اعتقـادي ان هناك القليـل الذي يمكن ان يجني من فهم النضـج بهذه الطريقة . والانسب هو الربط بين النضج بالمعنى الوارد اعلاه وبين التعلم والتنشئة ربطاً عضوياً . ما هي إذن مؤشرات النضج من هذه الزاوية ؟

لنفترض في الوقت الحاضر ـ جدلاً ـ ان الصفات المذكورة في الخط المائل من سكيماتا اريكسون في شكل رقم (٢) (السابق) هي المؤشرات المناسبة للنضج : (١) الثقـة بـالنفس ، (٢) الاعتمـاد عـلى النفس (الاستقـلاليـة) ، (٣) روح المبادرة ، (٤) المثابرة على العمل ، (٥) العقلانية . وعكس هذه الصفات هو عدم النضج وهو تهمة تنطوي على تهديد للموصوم بها .

ان من الواضح بأن هذه الصفـات هي ليست صفات بيـولوجيـة مستقرة Innate غير فاعلة ، وانما هي صفات تنطوي على قيم اجتمـاعية متغيـرة ونسبية (تختلف من حضارة إلى اخرى مثلاً) . ومن الواضح أيضاً أن هذه الصفات قد تبلورت تدريجياً عبر فترة تاريخية طويلة ، ولكننا مع الأسف لا نملك تاريخاً اجتماعياً

من هذا النوع ، خاصة وأن علماء النفس الاجتماعي يحجمون عن الخوض في أمور لا تدخل في دائرة تخصصهم المباشر .

لماذا الثقة بالنفس ؟ لان تحكم الانسان في تصرفاته في محيط الجماعة اجباري . لماذا الاعتماد على النفس ـ الاستقلالية ؟ لان على الانسان ان يكسب رزقه ـ لانه لا يستطيع ان يعيش عالة على غيره ـ لان عليه ان يكون لنفسه مكانة خاصة به . لماذا المثابرة على العمل ؟ لان الناضجين هم الذين يعملون ، وغير الناضجين يلعبون ـ لان اللعب مكافئة على العمل وليس بديلا عنه (تستطيع ان تلعب بعد ان تقوم بعملك) ـ لان عدم المثابرة واشباع الحواس هو عيش الانسان ليومه وليس لغده . . . لماذا الاصرار على العقلانية ؟ لان الحدس في محيط العائلة والاقارب ممكن ، ولكن في محيط الغرباء لابد من الاتفاق على أسس عامة مشتركة يتم بواسطتها حل النزاعات وتغليب رأي آخر .

كثيراً ما يذكر بلاغياً ان حصيلة التنشئة هو انتاج المواطن الصالح ، ولكن العمليات التي تدخل في انتاج المواطن الصالح دقيقة ومعقدة . ولذلك فانه من المنطقي والمعقول ان يطلب من علماء النفس والاجتماع ان يقدموا المعلومات التي تساعد على فهم وحل الاشكالات التي تحدث في هذه العمليات . وفي حالات كثيرة قدم هؤلاء فعلاً المعلومات المطلوبة . ولكن في احيان اخرى ـ لعدد من الاسباب ـ يضطر هؤلاء العلماء ان يقدموا معلومات قائمة على الحدس أو تلك التي يريد الناس سماعها .

العلم ، كما يقول جيروم كيكان ، يستطيع ان يقدم طرقاً لتنفيذ قرارات قيمية Value Decisions يتخذها الآخرون . فاذا تقرر بأن القراءة شيء جيد فاننا نتوقع من العلم ان يخبرنا كيف نعلم هذه المهارة بشكل أفضل ، وأن يعيننا على الكشف عن معوقات القراءة . واذا تقرر بأن ادمان الكحول شيء مضر فاننا نتوقع من العلم ان يوفر المعلومات عن العلاج .

العلم نشاط ثمين ولكنه ليس من القوة بحيث يـولد المبـادىء الاخلاقيـة Morality . المبادىء الاخلاقية تكمن في وجدان الجماعة ، ووجدان الجماعة ليس منطقياً بالضرورة .

تعقيـــــب
الدكتــور محمــد جــواد رضــا

سأبدأ من حيث انتهى الاستاذ المحاضر فليس لي ما اضيفه إلى هذه الورقة الغنية المفعمة بالاسئلة المثيرة للفكر حول معنى التنشئة . ليس لدي ما اضيفه من حيث الايضاح أو النقد . غير ان نهاية الورقة ومختتمها يثيران اسئلة جوهرية في ذهن من يبحث عن تفسير صلد لمعنى التنشئة كما يثيران كثيراً من القلق اللطيف حول قضيتين طرحهما الدكتور المحاضر في عبارته الاخيرة الختامية حيث يقول (ان العلم نشاط ثمين ولكنه ليس من القوة بحيث يولد المبادىء الاخلاقية . المبادىء الاخلاقية تكمن في وجدان الجماعة ووجدان الجماعة ليس منطقياً بالضرورة) .

مصدر الخطورة في القسم الأول من هذا النص هو وصف العلم بالسلبية . فهل العلم سلبي إلى هذا الحد حقاً ؟ ألم يغن العلم من قيمنا الاخلاقية بصورة أو أكثر ؟ ووجدان الجماعة هل هو « لا منطقي » إلى هذا الحد أيضاً ؟ ان وصف وجدان الجماعة باللامنطقية يستدعي نوعاً من القلق اللطيف كما قلت خوفاً من التسليم بهذه اللامنطقية المفترضة في وجدان الجماعة أو الاستسلام لها وهي امر مشكوك فيه أصلاً . ففي اسوأ الاحوال . . . هناك في وجدان الجماعة منطق الامل والرجاء بما هو أفضل . الامل والرجاء هما اللذان اعطيا الانسانية القوة لمواجهة أشد الظروف بؤساً وقسوة انتظاراً لمولد العدل ومجيء الخير وتحقق التقدم . ولنذهب إلى صموئيل بيكيت ومسرحيته (في انتظار جودو) . فرغم كل العبثية الظاهرة في انتظار جودو . . . هناك العنصر الايجابي في الموقف . . . الامل بمجيء جودو والذي يجعل انتظاره محتملاً على الاقل . ولعل المسلمين كانوا اكثر من غيرهم تمسكاً بفكرة (الامل) كعنصر ايجابي في الوضع الانساني حين ابتكروا فكرة المهدي المنتظر الذي سيأتي يوماً ليملأ الارض عدلا بعد ان ملئت جوراً . صحيح ان

المهدي لم يأت خلال الالف واربعمائة السنة الماضية ولكن الرجاء بمجيئه ما يزال قائماً عند من يؤمنون به . ان من يستعرض التاريخ يجد ان الجماعات الانسانية حاولت دائماً ان تعطي لوجدانها منطقا معيناً . وقد تنوعت هذه المحاولات بتنوع الظروف المادية والاخلاقية التي وجد الانسان نفسه فيها عبر مراحل الزمن .

ومن الامثلة القوية في هذا الصدد حركة وضع الدساتير السياسية التي بدأها الاغريق قبل غيرهم . فمن دستور دراكو عام ٦٢١ ق . م إلى دستور صولون عام ٥٨٠ ق . م إلى دستور كلايستينوس عام ٥٠٩ ق . م هناك خط واضح ومتواصل في محاولة اعطاء وجدان الجماعة منطقاً اجتماعياً واخلاقياً من نوع ما ، ورسم خط واضح بين الحق والواجب . كذلك كانت وثائق حقوق الانسان بدءاً من شريعة حمورابي،على الرغم من بساطتها،إلى وثيقة حقوق الانسان للامم المتحدة ، هذه الوثائق هي محاولة غير مستورة لاعطاء وجدان الجماعة منطقاً خاصاً . والاديان السماوية هي الاخرى محاولة لاعطاء ضمير الجماعة منطقاً من (الغائية الروحية) ومن ثبات الهدف من الحياة كلها (أيحسب الانسان ان يترك سدى ـ قرآن كريم) . وجدان الجماعة اذن ليس (لا منطقياً) من حيث الاساس ولكن الانحرافات عن منطقية هذا الوجدان واردة قطعاً .

والمسألة الاخرى التي اثارها الباحث الفاضل في مختتم حديثه هي قضية سلبية العلم . احب ان اتساءل هل العلم فعلاً سلبي ؟ ألم يعطنا العلم اخلاقيات جديدة مشتقة من منطقه هو ؟ ولاضرب مثلاً واحداً هو موقفنا من المرأة والقناعة بمساواتها مع الرجل في الحقوق والواجبات . هناك ثلاثة علوم حديثة ساهمت في مساعدة الانسان المعاصر على قبول هذه القناعة هي علم الحياة (البايولوجي) وعلم النفس وعلم الاجتماع . ولولا هذه العلوم لكان منطقنا ازاء المرأة منطق العصور الوسطى أو ما قبل العصور الوسطى . العلم اذن قوة من قوى التبدل الاخلاقي في المجتمع الحديث ويبقى على المجتمعات ان تختار طريقة التعامل معه .

والآن انتقل إلى ما لم تمسه الورقة من قضية التنشئة . الورقة عمل رائع في نقد النظريات المطروحة لمسألة التنشئة وهي ـ أي الورقة ـ تقودنا إلى أن قضية النضج هي قضية نسبية تختلف داخل المجتمع الواحد من زمن إلى زمن كما تختلف من مجتمع إلى مجتمع . وهذا كله حق لا ريب فيه . ولكن البحث الاجتماعي المعاصر كشف عن معوقات لعملية النضج حتى داخل الوضع النسبي هذا . الاستاذ ستاجنر Stagner في كتابه Psychology Of Personality يضرب مثلاً على هذه (النسبية داخل النسبية) بالانحرافات السلوكية أو الاضطرابات النفسية عند المراهقين ، والناس عموماً في الولايات المتحدة القائم مجتمعها على الحرية والمبادرة ، ويعزو ستاجنر هذا الانحراف والاضطراب إلى الازدواجية في القيم الاخلاقية الامريكية وهو يقدم النماذج التالية كأمثلة عليها :

١ ــ ان هذا عالم يعمل فيه كل فرد لنفسه وليأخذ الشيطان من يأتي في آخر القافلة . ولكن . . . لا انسان يعيش وحده ، وانت يجب ان تحب جارك كما تحب نفسك ونحن جميعاً يجب ان نعمل كأمريكيين طيبين .

٢ ــ ان الديمقراطية هي أفضل أنواع التنظيم الاجتماعي التي ابتكرها الانسان ، وكل الناس خلقوا احراراً متساوين .

ولكن . . .

أغلب الناس أغبى واكثر جموداً من أن يؤخذ رأيهم في تذليل المشاكل الصناعية أو حتى في الحكومة احتمالاً .

٣ ــ ان اداءك لعملك على الوجه الافضل اينما كنت هو أهم بكثير من كسبك للمال الكثير . ولكن . . .

المال هو القوة التي تحرك العالم .

٤ ــ الدين واجمل الاشياء في الحياة هي ما يجب علينا تثمينه اكثر من اي شيء آخر . ولكن . . . .

الدين والتجارة لا يمكن أن يخلطا ببعضهما .

٥ ــ ان من الذكاء والاناقة ان يمتلك الانسان احدث انواع السيارات والمنتجات الصناعية واخر المعدات الميكانيكية .

ولكن . . . .

أي شخص يحاول التحرش بمؤسساتنا الاساسية في الحكومة أو الصناعة هو شخص ثوري يجب ان يرسل إلى البلد الذي جاء منه .

٦ ــ الفقر شيء يدعو إلى الاسف ويجب أن نقضي عليه هنا في امريكا .

ولكن . . .

اينما تكونوا . . . يكن الفقراء معكم .

٧ ــ العمل الدائب والاقتصاد في النفقات من علامات الشخصية السوية وهما طريقان مضمونان إلى النجاح .

ولكن . . . .

الشخص الذكي هو الذي يعرف كيف يكسب المال ويتلذذ بالحياة دون أن يرهق نفسه بالعمل .

هذا أول معوق من معوقات النضج . معوق آخر يتمثل في دور الآلة والماكنة في تسريع نبض الحياة اليومية وتعب الانسان من ملاحقة هذا النبض المتسارع . وللاستاذ ارنولد توينبي نظرة متشائمة إلى علاقة الانسان المعاصر الاحباطية بهذا التسريع لنبض الحياة وهو يقول في كتابه (Experiences) :

(ان الفردية التنافسية المميزة للمجتمع الرأسمالي . . وتعاونية النمل أو النحل الشيوعية ، والقومية ذات الطبيعة القبلية . . . كل واحدة منها تمثل الاخرى وكلها تمثل التكنولوجيا في . . . لا شخصيتها Impersonality . وان تنظيماً اجتماعياً ذا طبيعة لا شخصية يناقض جوهر الطبيعة الانسانية . ولهذا فهو تنظيم مقدر على الطبيعة الانسانية ان تثور ضده . وعندما يستجاب احتجاج الطبيعة الانسانية المبرر جيداً سواء بشكل صوري موروث أو بالصمت الخالص فان الكائن البشري يجد نفسه مسوقاً إلى استنتاج انه لا عمل غير العنف المادي سيكون قادراً على جلب الانتباه له كانسان وسط العلاقات اللاشخصية التي يجد نفسه فيها . ان الكائن البشري سيصر على ان يعامل كشخص . . . كانسان حتى لو كان الطريق الوحيد للظفر باهتمام شخصي هو الاصطدام بالشرطي وحمله على ان يهوى بهراوته على رأسه ثم يأخذه إلى المحكمة في اليوم التالي ليمثل امام القاضي كمذنب . أن هذا فيما اعتقد هو السبب الكامن وراء المظاهرات المتفجرة واعمال العنف التي تقع بشكل موجات تطفو على سطح العالم المفرغ من الانسانية) . وللاستاذ هربرت ماركوزه في كتابه (انسان البعد الواحد) رأي مقارب لرأي توينبي . وماركوزه في معالجته لمسألة هيمنة الصناعة Industry على السلوك الانساني وعجز الانسان في كثير من الاحيان عن ان يتقبل ـ قناعة وضميراً ـ الانسجام مع الوضع الصناعي الجديد ـ وان تكيف له ظاهرياً لارتباط عمله وامنه الاقتصادي به يؤكد ما ذهب اليه توينبي قائلاً :

« ان التقدم التقني حين ينسحب على نظام كامل للسيطرة والتنسيق يخلق انماطاً من الحياة والسلطة التي تمتص قوى المعارضة للنظام القائم ، أو تفند أي احتجاج ضده باسم التطلعات التاريخية للتحرر من الكدح والسيطرة . حتى الفكر يتم اخضاعه بحيث لا يعود مصدراً لنقد الحياة الاجتماعية » .

ومن معوقات النضج الكبرى في الازمنة الحديثة ظاهرة النزعة الفردية

الطاغية في سلوك الراشدين نحو الاطفال . ويسجل الاستاذ آرنولد من جامعة فارزبورغ احد وجوه هذه الظاهرة المأساوية في المجتمع الحديث فيقول :

« يجب التذكير بحالات مأسويةومرضيةفي المجتمع الحديث . في جلسات الارشاد النفسي غالباً ما يسمع الواحد منا عبارات تصدر عن الاطفال الصغار . . . ان امي لم تكن ترغب في مجيئي إلى هذا العالم وهي حتى الآن تعبر عن ضيقها بوجودي معها . . » .

ثم يعقب الاستاذ ارنولد على هذا بقوله :

« . . أن هذه الصرخة الانسانية تعلن عن قلق وجودي ، وهي دعوة للبحث عمن يمكن الوثوق به ، انها التماس للشفقة والحب ولامكانية الاعتماد على شخص ما . ان كل الاخلاقيات النفسية القديمة قد تلاشت من الوجود الاجتماعي تقريباً . كثيرون يشعرون بأنهم وحيدون ومهجورون . واذا كان الاطفال والشباب يحسون انهم مرفوضون وغير مرغوب فيهم من قبل اولياء امورهم ومن امهاتهم على وجه التخصيص فانهم يقفون على أرض بور ، في حالة من القنوط الكامل من اي رجاء » .

هنا نحن امام نموذج الانسان المرفوض . ثم هناك ظاهرة التعصب التي تبتلى بها كثير من المجتمعات الحديثة سواء كان التعصب دينياً أم مذهبياً أم سياسياً . ومجتمعاتنا العربية بالذات يمثل التعصب احد اكبر بلاواها وهذا الوضع يجعلها موضوعاً مهماً للدراسة العلمية من هذه الناحية .

هذه نماذج من معوقات النضج في المجتمع الحديث . ونتيجة لهذه المعوقات فان (النضج) اكتسب مضموناً خاصاً عند بعض المفكرين المعاصرين ، مضموناً هو رفض الواقع الثقافي والاخلاقي المتناقض . عندما وقعت ثورة الطلاب في فرنسا اواخر الستينات وجد سارتر في احداث هذه الثورة هذا المعنى الجديد للنضج ،

الثورة على الواقع وليس مسالمته أو التسليم به . وقد بارك سارتر العنف الطلابي على انه هو النضج الحقيقي الذي كانت البشرية تنتظره منذ زمن طويل . قال سارتر :

« . . ان العنف هو الوسيلة الوحيدة الباقية امام الطلاب الذين لم يتحولوا بعد الى شريحة من النظام الاجتماعي الذي اقامه آباؤهم للاحتجاج على هذا النظام . ففي مجتمعاتنا الغربية المترهلة صار الطلاب قوة النضال اليسارية الوحيدة . وما العنف اليساري نفسه الا رداً على العنف الدائم الذي يمارسه المجتمع الرأسمالي ضد كل أفراده . واذا ما حكمنا ـ بناء على أكثر التقارير الصحفية حياداً ـ نجد أن شرطة القمع الفرنسية تصرفت بشكل غريب من الوحشية عند محاولة احتواء ثورة الطلبة في مايو ١٩٦٨ . ولم يكن ذلك العنف الا نموذجاً لما يمكن ان تكون عليه الحرب الطبقية في فرنسا من عنف وفظاعة . . . » .

وإلى نتيجة مشابهة توصل الاستاذ لويس فيور Lewis Feuer في كتابه الموسوم « صراع الاجيال Conflict of Generation » عام ١٩٦٩ . فقد تبين للاستاذ فيور من خلال سلسلة الدراسات التي نظمها حول تمرد الطلبة « ان هناك ميلاً ثابتاً في سلوك الشباب إلى الرغبة في تحطيم هيمنة الآباء على الابناء والتحرر منها ، وذلك من خلال الثورة على القيم الثقافية القائمة على التعليم بهذه الهيمنة اخلاقياً وفعلياً . وهم حينما يقومون بالثورة على الوضع الاجتماعي القائم وعندما يحاولون تحطيم قيمه ومؤسساته فكأنهم يقولون لانفسهم . . . حسناً . . . . هذه كلها من صنع آبائنا واجدادنا وهي قيودهم التي يمسكوننا بها ويفرضون ارادتهم من خلالها علينا . . . ونحن لا نستطيع ان نتحداهم أو نثور عليهم مباشرة ، ولا ان نفلت من قبضتهم عنوة فلا أقل من ان نحطم ما بنوه من قيم ومؤسسات ، ونسفه ما التزموا به من مثل وانماط في العيش ولهذا لن نبقي لهم شيئاً يسيطرون به علينا .

النضج هنا هو رفض الواقع وليس قبوله .

عموماً . . .

المسألة ما تزال غير محسومة والتفاسير الاحادية لأعضالات النضج غيركافية ولا نهائية والسبيل إلى فهم هذا الاعضال تكمن في التوليف بين كل معوقات النضج على انها عناصر تكوينية في نسيج واحد .

مناقشات

د . عدنان شهاب الدين :

اعتقد بعد هذا التقديم من المحاضر الرئيسي والمعقب ربما تكونت لدينا بعض الملاحظات والاستفسارات التي يود الزملاء الافاضل المشاركون بهذه الندوة ان يتقدموا بها .

فأدعو الدكتور حسن الابراهيم إلى التحدث ، فليتفضل .

د . حسن الابراهيم :

أحب ان اهنيء د . خلدون على هذا البحث وعلى هذا التعقيب الرائع من قبل الدكتور جواد . أتمنى ان يكون الوقت المتبقي للحوار محاولة لتبسيط ما جاء في المحاضرة وفي التعقيب لربطها بالواقع الذي يعيشه الطفل العربي ، لذلك سؤالي موجه للدكتور خلدون وأود أن يتفضل بعض الأخوة بالتعليق عليه فيما بعد . أن امتنا العربية تمر في الوقت الحاضر بأشد الازمات وأشد وأخطر الفترات بالواقع في تطورها . فبجانب وجود الاساطيل الاجنبية على سواحلنا والتهديد المستمر الخارجي هناك المخاطر الداخلية وأعتقد انها في نفس العنف وفي نفس الخطورة . على سبيل الفرضية موضوع الديمقراطيات والحريات في الوطن العربي واستلاب حقوق الانسان في هذا الوطن الشاسع . نضيف إلى ذلك أيضاً موضوع الطائفية والتعصب واثارة النعرات القبلية والعائلية وغيرها .

السؤال في الواقع هو هل تعتقد د . خلدون أو أي احد من الأخوة الموجودين

نظراً لاني لست مختصاً في هذا الحقل أن هناك دوراً للتنشئة الاجتماعية للطفل سواء على مستوى المنزل أو على مستوى البيئة المحيطة تستطيع تأصيل روح الديمقراطية وروح الحرية في ضمير ووجدان الطفل العربي حتى تصبح جزءاً لا يتجزأ في شخصيته العامة عند بلوغ النضج . هذا هو الشطر الأول من السؤال أما الشطر الثاني فهو ما دور التربية والتنشئة في القضاء على التعصب والطائفية والقبلية والعائلية المنتشرة في فئات المجتمع المختلفة اذا كان ذلك ممكناً ؟

د . عدنان شهاب الدين :

أرجو من الدكتور خلدون أن يجيب مباشرة بدقائق معدودة على هذا الاستفسار حتى نتيح أيضاً بعض المجال لباقي الاخوة .

د . خلدون النقيب :

سأحاول الاختصار لاتاحة المجال للأخوة ، هذا الموضوع الذي اثاره الدكتور حسن وتطرق له الدكتور جواد للنقاش هو فعلاً الموضوع الذي يتردد دائماً والذي نسمعه دائماً انه هل اذا كانت التربية والتنشئة في محيط الاسرة تسلطية فكيف ينعكس هذا على الطفل ؟ وهل بالامكان تغييره اذا كان بناء الاسرة تسلطياً ؟ بطبيعة الحال ممكن . وهنا أقول أنا اذا حدثت بعض الخبرات في فترة الطفولة ستنعكس في فترة الكهولة ، صحيح لكن بامكاننا الان من خلال البحوث التجريبية ان نغير ونعدل في هذه التأثيرات ، ما عادت المسألة آلية ، لم يعد تأثيرها آلياً فقضية الطائفية على سبيل المثال تتناقض مع قضية أساسية هي القضية العقلانية ونحن اتفقنا ان العقلانية واحدةمن مؤشرات النضج فهل الطائفية دلالة على عدم النضج ؟ وهنا يأتي وجدان الجماعة ـ ان نغرس في وجدان الجماعة قضية التعصب الشرس اللاعقلاني للقبلية ، للطائفة ، للعائلة ، فاذا كانت العقلانية من مؤشرات النضج فهذا اذاً ليس من مؤشرات النضج .

هناك عنصر من عناصر النضج لم يكتمل . وضعه د. جواد في اطار من الثورة . وهذا بطبيعة الحال هنا يتغير . انما بدون شك للتنشئة دور كبير في موضوع غرس روح الديمقراطية وغرس روح العقلانية لان الديمقراطية اؤكد للدكتور حسن والاخوان ان الديمقراطية هي العقلانية . واساس الديمقراطية هو الفكر العقلاني المبني على ان هناك مبادىء مشتركة خارجة عن ذات الانسان يمكن بالاحتكام لها أن نغلب رأياً على رأى آخر . وهو خلاف الحدس . الحدس مسألة ذاتية . أريد اجتهادي أريد ان أربي ابنائي بهذه الطريقة .

الموضع اذا لو كان بالامكان أن اكون سلوكياً أو واحد من زملائي الموجودين يعتبر نفسه سلوكياً Behaviorist لكان الاتجاه الذي يأخذونه :

انه اعطني طفلاً في أي فترة من الفترات وقل لي المواصفات التي تريد أن يكون هذا الطفل عليها عندما يبلغ سن الرشد وأنا بامكاني ان اجعله كذلك .

د . عدنان شهاب الدين :

النقطة د . خلدون ان الدكتور حسن تطرق إلى شق مهم من الموضوع عندما طرح السؤال . لكن يمكن أنا من متابعتي للمحاضرة فهمت أنه التنشئة وعملية النضج ليست هي مثلاً المدرسة وليست هي برامج التعليم وليست هي الوالدين وليست هي الاقران وانما مجموعة العوامل هي التي تفرز وتؤثر على مراحل النضج وتؤثر كما عرفتها في الورقة . يبقى السؤال الذي يتبادر إلى ذهن الشخص العادي انه كيف نخرج من هذا الواقع سواء في الشق الذي طرحه الاخ حسن الابراهيم أو في عدة تساؤلات نطمح لها أن اجيالنا القادمة واطفالنا عندما يكبرون يتخلصون من بعض الأمراض التي تعكس نفسها على الواقع الحالي كيف هذا التحليل للتنشئة الاجتماعية التي هي مجموعة العوامل هذه بمراحل النضج المختلفة تأثيراتها ؟ طبعاً بشكل متوسط وليس بشكل مطلق لكل شخص . هل قضية

التعصب وقضية الديمقراطية سندرسها بالمدارس . عامل واحد صغير من عملية التنشئة الاجتماعية المدرسة ، الاب ، الاقران ، التفكير ، الدين كل الامور هذه ، أقصد لو تطرح على بساط النقاش هذه القضية الجوهرية لانه ربما لا تستطيع ان نصل إلى اجابة نهائية اليوم يمكن نحاول بحيث أنا افتراضي انا ان الاجتماعيين وغير الاجتماعيين يجب أن يساهموا في تلمس الحلول هذه . يمكن اذا سمح لي الدكتور خلدون أن أشوف اذا كان لبقية الاخوان المشاركين في هذه الندوة رأي خاصة ليس من الناحية النظرية بل من الناحية المستقبلية في طرح الاجابات عن كيف نصل بأطفالنا وتنشئتهم إلى وضع افضل في هذا الاطار هذا الذي تفضل فيه المحاضر والمعقب .

د . ابراهيم عثمان :

بالواقع يمكن أن اطرح الموضوع بصورة مبسطة وأرجو ان لا تكون بالمعنى السطحي من حيث الجهات التي تؤثر على بناء شخصية الطفل في المجتمع وأنا سأتناولها بشكل مبسط . هناك عدة مستويات في علاقاتنا الاجتماعية مع هذه الجهات المستوى الاول الذي أحاول أن اركز عليه هو الاسرة وجماعات اللعب وجماعات الصداقة . المستوى الرسمي وهو المؤسسات الرسمية التي تدخل في اطارها تنشئة الطفل عند نعومة اظفاره ، منذ الان في وقتنا وخاصة في وسائل اعلامنا الحديث وفي البيت وتشارك الاسرة في نفس الوقت في عمليات التنشئة . والمستوى الثالث وهو مستوى نفسي وهام وهو المستوى المرجعي ويتعلق بهوية الانسان . اي عندما يتساءل الانسان العربي الطفل أو الحدث من انا ومن نحن ، فهل من السهولة ان يجيب الانسان العربي على هذا السؤال . هل المستوى الفكري واضح ؟ وهل المستوى الحضاري واضح لهذا الانسان ، هل الايديولوجيات المطروحة واضحة له ؟ وهل يستطيع أن ينتمي اليها بسهولة ؟ وهل على المفكر العربي عملية أو عمل توضيح مثل هذا الفكر والمعرفة ؟ الشيء الاخر

هو عندما نتكلم عن الطفل، ما هو نوع هذا الطفل الذي نريده ؟ ولاي زمن نريد أن ننشئه له ؟ هل ننشؤه لهذا الوقت ؟ ام لسنة ٢٠٠٠ وما بعد وبالتالي ما هي أنواع المعرفة وما أنواع الخبرات ؟ ما هي انواع المهارات ؟ ما هي انواع الاتجاهات ؟ القيم التي يجب أن نولدها في هذا الطفل ؟ التي يجب أن يتمثلها هذا الطفل ؟ وبالتالي لابد لكل مجتمع ان تكون له اهداف واضحة حتى يستطيع أن يختار الوسائل التي من خلالها يستطيع تحقيق هذه الاهداف في هذا الانسان . حتى الان مع الاسف بالنسبة للبلدان العربية لا يوجد شيء من هذا القبيل الا بعض انطباعات أو خبرات خاصة مثل : (مقدمات في المجتمع العربي) للدكتور هشام شرابي الصفات التي يعممها لا تنطبق على جميع الفئات ولا على جميع الطبقات العربية ولا على جميع الاقاليم العربية وانما هي تجارب خاصة وبالتالي نحن بالواقع بحاجة إلى دراسات عن واقع الطفل العربي وبحاجة إلى الالتفاف على اهداف مستقبلية لنا حتى نستطيع ان ننتج جميع هذه الفئات الرسمية والمبدأية والمرجعية والاولية مع الطفل الذي نريده .

د . بدر العمر :

في العصر الذي نعيشه اجد نفسي متشائماً في بعض الشيء . في الواقع عندما نحدد أو نريد أن نحدد اطاراً مرجعياً لما هي نوعية التنشئة الاجتماعية التي ننشدها وما افضل الوسائل التي نريد بواسطتها أن نقضي عليها او نقضي فيها على بعض انواع التعصب أو الوسائل التي تعين على بث روح الديمقراطية . في الواقع هناك حقيقة لا يمكن لاحد أن ينكرها وهي عدم ثبات المفاهيم بحد ذاتها من حيث أن كل جيل يكون مفهوماً أو وعياً أو ادراكاً نحو صفة معينة ولتكن الديمقراطية أو التعصب فاذا جئنا نحن كمربين بهذا المفهوم وأردنا أن نغرسه في جيل من الاجيال انا اعتقد عندما يأتي الجيل هذا ويكون في نفس مرحلتنا يكون له تصور آخر وهذا التصور يفرسه في جيل قادم وبالتالي لا يكون هناك ثبات في هذه المفاهيم ولن ننجح

في هذه المرحلة . الشيء الآخر الذي أحب ان اقوله ان العملية فعلاً معقـدة ، لايمكن النظر اليها بهذه البساطة سواء كانت مدارس أو مؤسسـات رسمية عـلى المستوى المحلي . في الواقع نحن مجتمعات غير معزولة نحن مجتمعات في الواقع مسيطر عليها ، متأثرة بكثير من الافكار سواء شرقية أو غربية وهذا مهم انما نحن تحت تأثير قوي ومن هذا المنطلق لا توجد عندنا في الوقت الحاضر قيم نابعة من المجتمع . كل ما هو سائد انما هو وليد أو ثمرة مجتمعات اخرى . نخلص إلى شيء واحد ومهم بالواقع الهوية التي تنشدها مجتمعاتنا ضائعة ، اختلاف بين الاجيال المختلفة نتيجة التطور السريع القائم ونتيجة اننا ندرك ان هناك مجتمعات افضل منا بكثير ونحاول ان نقتبس منهم كل شيء . فبالتالي فان شخصيتنا أو شخصية اطفالنا لا تعبر عن صدق شخصيتنا العربية .

د . عدنـــان شهـــاب الديـــن :

هناك نقطة احببت ان اعلق عليها وهي ان الانسان له رغبات معينة ربما ترجع الى اننا مستائين من واقعنا فان طموحـاتنا ومـا نريـده من اطفالنـا عندمـا ينضجون قد لا يتلاءم بالضبط مع ما يريده اطفالنا لكن هذا لا ينفي في الوقت نفسه حتمية أن نوجه أو ندرس عملية التنشئة الاجتماعية والعوامل الديناميكية التي تؤثر فيها على الاقل في المباديء الرئيسية التي يمكن على مدى أجيال في الالتفاف عليها انه ما هو الخير ما هو الشر ما هو الجيد وما هو غير الجيد بعمومياته وليس بخصوصياته وهذا لا يعني أنه الجيل الذي سوف ينشأ بعدنا سيأتي مطابقاً بالذات للوصف . لا . بالعكس سيكون لديه بعض الخصوصيات التي يحاول تحقيقها في الجيل الذي يليه .

وهذه العملية مستمرة ولا أعتقد على مدى تـاريخ البشـرية أن جيـلا من الاجيال استطاع ان ينشيء الجيل الذي يليه بالضبط ليوائم رغباته وانما لايمنع أن

نحاول وبالذات اذا ركز في اهدافه على الاشياء التي فيها على الالتفاف على الاشياء التي هي جيدة .

د . بـــدر العمـــر :

بالواقع اذا تناولنا الموضوع كمحتوى انا اختلف معك .

لكن اذا تناولنا الموضوع على وسائل معينة أو وسائل معينة يعني انه مجرد ان ننشيء أو نحاول تنمية شخص قادر على أن يفكر وينتقد . فنكون قد نجحنا وهذا الشخص قادر على ان يستوعب ما هو الجديد في المجتمع .

د . عبـــدالله الدنـــان :

في الواقع ليست المشكلة في نظري اننا لم نضع اهدافاً تربـوية ، لا . . . الهدف موضوع . توجد أهداف تربوية رائعة في كـل منهـج من المناهج عندنا وفي الدساتير العربيـة كلها . هنـاك توجـه ممتاز نحـو تنشئة المـواطن الصالـح على الديمقراطية لكن اعتقد ان هناك خللاً رئيسياً في ثلاثة امور :

أولاً : اختلال ميزان التطبيق والنظريات . نضع النظرية ولا نطبقها ليس فقط لا نطبق ، بل نطبق بشكل يغاير النظرية . سأضرب مثلا من الواقع . كتاب السنة الثالثة الابتدائية المدرس في الكويت حالياً يروي قصة عن الاسد والذئب والثعلب الذين اصطادوا ثوراً وغزالاً وارنباً وطلب الاسد من الذئب ان يحكم فقال له : الثور لك والغزال لي والارنب للثعلب . فضربه الاسد ضربة فأطاحت رأسه عن جثته فقال للثعلب احكم فقال له اطال الله عمرك . . . القسمة واضحة . . . الثور لفطورك والغزال لغذائك والارنب لعشائـك وانا آكـل ما تبقى . قـال له الاسد . . . . ما أعدلك . . . . من علمك هذا العـدل . قال لـه رأس الذئب الطائر عن جثته . فمثل هذا ازراء بكل نظريات التربية التي نحاول ان ننشيء

عليها طفلنا . تمجيد القوى ، والخروج عن العدل يصبح عدلاً ويحفظها طلبتنا غيباً ، هذه القصة ليست موجودة في كتاب الكويت انما موجودة على مستوى العالم العربي ، هذا مثال على النظرية والتطبيق . مثال في الحقيقة اننا نقول بالشيء وكلنا نقول به ولا احد يطبقه . كلنا يحاول الثورة على الظلم ، لكن من منا ثار فعلاً على الظلم . من قال ان هناك ظلماً في الناحية الفلانية وانا شخصياً لا اريد ان امارس هذا الظلم . نحن نفعل باستمرار مثل الذي من يوجعه رأسه فيمسك المسبحة والمسبحة لها رمز ويبدأ يقول اسبرين اسبرين إلى ما شاء الله . لن يشفى رأسه الا اذا أخذ حبة الاسبرين فعلاً . النقطة الثانية المختلفة في تنشئة اطفالنا هي عدم النمو المعرفي ، هنالك فرق كبير جدا بين طفلنا ابن ١٢ سنة الذي هو على مرحلة نهاية الطفولة وبين الطفل غير العربي ولنقل في المجتمعات الصناعية ابن ١٢ سنة يكون قد قرأ اضعاف ما قرأه طفلنا العربي فتتكون عنده مفاهيم كثيرة جداً عن ما هوالعدل،كيفية اصدار الاحكام ومعارف اخرى تعينه في حياته . عندنا ايضاً غير النمو المعرفي وهذا علاجه لا نتطرق للعلاج . اختلال في اسلوب اصدار الاحكام . تأتي للشخص تطلب منه ان يصدر حكماً في قضية معينة فيقول لك رأياً . تأتيه في اليوم الثاني ويكون قد جاءه شخص آخر وبين له هذا ضد مصلحته فيصدر حكماً مختلفاً مغايراً لحكمه الاول . فاذاً نحن بحاجة إلى ترسيخ عملية اصدار الاحكام . لان العملية تتطلب جمع معلومات اولاً ثم عدم تأثر الحكم بمصالحك الشخصية والذاتية . نحن بالحقيقة الان امام الورقة التي قدمها الدكتور خلدون وهي رائعة جداً لانه ابرز نواحي الطبقية والتعصب. أقول نحن الآن ذاتيون حتى القبيلة حتى العائلة نحن ذاتيون نحن خطوط متوازية . الفرد منا يصل إلى مستوى انه خط متوازٍ مع الاخر يشترك في هذا البيت والمدرسة أيضاً . فقط بقيت نقطة اخيرة اريد ان اعلق على قضية الثلاثة اسطر الاخيرة التي هي وجدان الجماعة ومنطقية وجدان الجماعة أي وجود النظام . النظام موجود . هنالك نظام موجود في الجماعة لكننا ننظر اليه من ناحيتين . الناحية الاولى هل هو

منطقي ، لا . ليس من الضروري ان يكون النظام منطقياً ليس من الضروري - اللغة منظمة ولكن لا ليست منطقية ليست هناك منطقية باننا نضع واو ونون لكلمة معلم ونقول جاء المعلمون ليس منطقاً اطلاقاً ولكن نقول جاء المعلمـون ، جاء الماهرون والى آخره . يوجد نظام وليس هناك منطق وراء كلمة ما لا يوجد منطق لكن يوجد نظام . لكن هذا النظام الاجتماعي في الحقيقة الموجود عندنا نظام مختل متأثر بعمليات ذكرتها وتوجد عمليات اخرى ارجو ان تتاح فرص اخرى لنناقش هذا الموضوع باستفاضة أكثر . وشكراً .

د . عدنـــان شهـــاب الديـــن :

د . عبدالله تطرق إلى عامل القدوة على حسب ما فهمت . . . اي . . . أهمية عامل القدوة في عملية التنشئة الاجتماعية . ان لم اكن مخطئاً انكم نقدتم انه كيف نتوقع ان يكون هناك تنشئة اجتماعية جيدة اذا كان الفرد منا يعلم ابناءه أو المدرسة تعلم الابناء شيئاً والواقع العملي شيء آخر .

د . عبـــدالله الممـــان :

هذا هو اختلاف النظرية والتطبيق . وانا باعتباري لمدة ٣٥ سنة قد مارست التعليم من الـــروضـــة إلى الجـــامعـــة احس هـــذه المشكلة ، الآن المشكلة ان المعلم نفسه يدخل ويطلب من الطلبة أن يكونوا نظيفين ـ جيد ـ ثم يبدأ بالكتابة على اللوح وبعد ذلك يريد أن يمسح بعض ما كتبه يمسحه بيده .

د . عدنـــان شهـــاب الديـــن :

أنا قصدت ان هذه النقطة تطرقت اليها الورقة لكنكم وضحتموها بشكـل أمثلة عملية ، هي عملية اختلال النظرية والتطبيق واهميتها في عملية التنشئة . وتتضح اهمية الموضوع من تشعب النقاش فيها . عندما يعالج المرء الموضوع يجد

نفسه يعالج نقداً للمجتمع وهذا معناه انه لا يكفي ان نفكر في منهج تعليم الاطفال سواء في المدرسة ، البيت التأثيرات الاجتماعية . لان جزءاً من تنشئة الاطفال هو تعديل واقعنا . طبعاً تعديل واقعنا لن يغير الامور مائة بالمائة إلى الشيء الـذي نطمح له . لكنه جزء مهم من عملية التنشئة الاجتماعية هي التغيير الذاتي حتى نكون جيلاً متطورا .

د . محمـــد عـــودة :

أنا آسف جداً لانه في الحقيقة لم تتح لي الفرصة للاطلاع على هذه الورقة الا في الدقيقة التي وصلت فيها . ولهذا سيكون تعليقي بشكل عام وليس بشكل دقيق في صلب الموضوع . استمعت طبعاً إلى الاستاذ محمد جواد رضا وهو يعقب يشير إلى أن الورقة قد انتهت بنوع من التشاؤمية . قلت بنفسي انني ساستمع إلى نوع من التفاؤلية . وبشكل خاص في موضوع النضج . هذا هو الذي أريد أن اؤكد عليه . وانتهى الدكتور المعقب إلى تعريف النضج بانه الثورة على الواقع وفي الحقيقة انني ازددت تشاؤماً . اذا كان مقياس النضج لمستقبل ابنائي هو أن يثوروا على الواقع فـان هذا يخيفني من المستقبـل بشكل واضـح تمامـاً . ولهذا انـا اريد ان اطـرح الموضوع مرة ثانية في نواقص النضج . لابد أن نحدد . فلكل الدراسات الميدانية والنظرية لابد ان تحدد المصطلح لانه بناء عليه سنضطر إلى تقسيمه إلى مراحل . وبناء على التقسيم إلى مراحل سأكون قادراً على وضع عملية التنشئة الاجتماعية على شكل عمليات اجرائية .

هذه الاجرائيات للطفل هي لمـا بعد الـطفولـة وبالأحرى لمـا بعد مـرحلة المراهقة . وقـس على هذا . فاذا اردت أن أرجع السؤال مرة ثانية للدكتور خلدون أقول لابد ان نعيد النظر في مفهوم النضج اذا كنا نعتبره معياراً أو نقطة فاصلة في فترة زمنية معينة وما قبلها وما بعدها وما الذي يلي لان هذا يساعدنا (أولاً) في وضع منظور جديد في سيكولوجية النمو . (وثانياً) هو سيساعدنـا في وضع بـرنامـج

اجرائي لعملية التنشئة الاجتماعية . النقطة الثانية تتعلق بالمؤثرات الهامة فيما يتصل بالتنشئة الاجتماعية . وهنا أرجو ألا يكون لاختيار الدكتور خلدون لاول عاملين عامل العائلة وعامل الطبقة الاهمية المطلقة . قد نتفق ان العائلة مهمة جداً ولكن هناك عوامل أخرى على الاقل في مجتمعي أناأيضاً هامة كالدين والسياسة . نحن في الوقت الحاضر ننام ونقوم بالسياسة ، نحن نأكل ونشرب بالسياسة في الوقت الحاضر . أرجو ان لا تكون القضية قضية اهمية وانما جاءت هكذا بهذه الكيفية .

د . باسم سرحان

أهنيء الباحث على هذا الاستعراض النظري المعمق جداً لنظريات الطفولة والتنشئة الذي هو ضروري لمعالجة واقع التنشئة العربي وايضاً اشيد بتعقيب الدكتور جواد رضا . لي ملاحظتان . اولاً . . . ان النضج من منظور الوعي النفسي والسلوكي قضية محددة ولكن اذا اخذنا البعد الاجتماعي كما دارت الندوة فان معنى النضج هو تحديد عملية التنشئة وكيفيتها . هناك نقطة تتعلق بمستوى الوعي غاية في الاهمية وخاصة ان ثلاثة ارباع المجتمع العربي من الاميين . فالمدرسة اداة مهمة فبالتالي بالنسبة لسؤال الدكتور حسن الابراهيم عن كيفية كسر هذا الطوق ، أنا اعتقد ان المدرسة العربية هي اداة التحرر والوعي الاجتماعي العربي هو اداة التنشئة الاساسية لان العائلة العربية يتم فيها وخاصة في الفلاحين اعادة انتاج الوعي المختلف ، أي على المدرسة أن تتولى هذه المهمة فالاحظ هنا أننا في المدارس نتكلم فقط عن المثاليات وحتى في الجامعة فنخشى أن نتطرق إلى قضايا راهنة . حتى مشاكلنا الاجتماعية الراهنة باعادة تنشئة الاطفال لا يجرؤ أي مدرس أن يتحدث عن قضية تحرر المرأة العربية ولا عن قضية الطائفية في لبنان أو غير لبنان ومضارها ولا عن قضية الانحراف الاجتماعي ، بينما نجد انهم في الغرب نجحوا

اساساً بفعل المدرسة بالتحدث عن كافة هذه القضايا وربما علينا كمربين ان نطرح اسس الديمقراطية في المدارس والجامعات والكليات وايضاً من خلال تحدي مشاكلنا الراهنة والا فلن يعاد صياغة وعي اولادنا . بالنسبة للتنشئة العربية ينبغي ان تدور حول ستة محاور اساسية بسرعة : الوطن ، علاقة الفرد بالوطن ، الانتاج والعمل ، دور الانتاج ، أهمية الانتاج وأهمية العمل والمثابرة إلى آخره ، دور الفرد ومسؤوليته كفرد في بناء مجتمعه ثم أهمية التعاون الاجتماعي ، ثم الاخلاقيات طبعاً ، الاخلاقيات بشكل عام . ثم الديمقراطية وايضاً عملية تحرر الانسان أي اعداد الانسان للتنشئة . وهنا في رأيي ـ العائلة تلعب دوراً أساسياً جداً في رفع هذا الوعي ولكن المدرسة العربية هي الاساس في المرحلة هذه على الاقل .

د . احمد بستان :

أشكر د . خلدون على البحث القيم و د . جواد على التعليق الرائع .

المدرسة كمؤسسة اجتماعية مسؤولة مباشرة عن التنشئة الاجتماعية . ولو أخذنا مفهوم المدرسة الحالي في الوطن العربي بشكل عام لوجدنا اساسه تسلطياً . وهذا يعني ان الديمقراطية غير موجودة حتى في المجتمع المدرسي الذي كان يجب أن يؤخذ كقدوة في المجتمع المدرسي نجد أن ناظر المدرسة يتحكم بالمدرس ، المدرس الأول يتحكم بالمدرس ، المدرس يتحكم بالطالب ويأتي الموجه ويتحكم بالمدرس . اذن فليس هناك ديمقراطية حتى على المستوى التربوي .

موضوع الفروقات الاجتماعية والطبقية . . . الواقع ان هذا الموضوع متشعب ومتداخل لذلك أرى أن تخصص عدة ندوات ولكل ندوة موضوع محدد ـ يعني موضوع يتطرق إلى التنشئة في المواطن العربي أو بناء الانسان نجد أنه لكل مجتمع عربي في أي دولة عربية له ايديولوجية خاصة في بناء هذا الانسان يعني نتحدث عن موضوع الاهداف التربوية يمكننا ان نضع اهدافاً عامة اما عن

الاهداف الخاصة فان في كل مجتمع عربي سياسته وايديولوجيته ، موضوع الطبقة هذا موجود ايضا في المجتمعات ويجب ان نكون صريحين ونضع التصور من منطلق تجارب الدول الاخرى ، مثلاً الآن موجود موضوع الطائفية والهجرة ومجموع الخلفيات الاجتماعية . فمجتمعاتنا العربية فعلاً فيها نوع من الهجرة موجودة والهجرة هذه فيها خاصيات معينة لبعض الفئات التي هاجرت ، لو أخذنا مثلاً منطقة الخليج ـ ففي الولايات المتحدة على سبيل المثال وضع هناك توجه لإذابة المجموعات التي هاجرت والان اصبحت امة واحدة . اذاً هذه هي كل الأمور التي أرجو ان توضع في عين الاعتبار . نحن هدفنا هو ان نكون واقعيين اكثر مما نضع نظريات وعلينا ان نجتهد ان تكون قابلة للتطبيق . بالحقيقة انا سعيد جداً لسماع هذه المحاضرة القيمة .

د . عدنان شهاب الدين :

د . احمد ذكرني بفكرة كانت على بالي في نقد واقع المدارس العربية . قد يكون الافضل أن نسميها محفظة بدل مدرسة على اساس انها مشتقة من الحفظ وليس الدراسة .

د . أحمد عبدالله :

أنا اشكر المحاضر والمعلق ، الواقع أنني بقدر ما استفدت ادركت انني اجهل كثيرا من الامور والتي هي من واقع حياتنا . الدكتور المحاضر تعرض لكثير من النماذج وانتقدنا وانا كنت فاهماً الموضوع بشكل خاطيء ، نموذج الانسان العربي وتقدم ما يمكن للمفكر الكاتب مصطفى حجازي . يتميز هذا الانسان بعقلية الانسان المقهور . سؤالي : اذا كانت سمة القهر موجودة في هذا الانسان ـ سؤالي هل هو مدرك لهذا الشعور أم لا . المعروف انه دائماً هناك عبارة أو مقولة تقول ان الظلم في حد ذاته لا يؤدي للتحرك انما الاحساس بالظلم يؤدي إلى ثورة الانسان .

هل هذا الانسان العربي المقهور يدرك ام لا . انا في تصوري انه يدرك ، الان لو جلسنا مع انسان سواء دكتور أو مهندس أو عامل أو انسان بسيط أو أي مهنة يعمل بها فإن لسان حاله يقول انه غير راضٍ ويهز رأسه أسفاً . هل هذا نموذج العربي ؟ أم هي مرحلة من المراحل ـ فاذا كان هذا نموذج الانسان العربي هل هذا هو النموذج الذي سيظل عليه . في تقديري . . . ان هذه مرحلة تبلور ومرحلة احساس بالظلم وقد تأتي مرحلة اخرى يتبدل معها هذا النموذج ويتغير إلى نموذج إخر .

د . عدنـــان شهـــاب الديـــن :

د. احمد لا يكفي ان يكون عند الانسان احساس بانه مظلوم فقط بل انه مطالب بان يحس انه ظالم لغيره في نفس الوقت ، طبعاً الموضوع متشعب ولا يمكن ان نعطيه حقه . في الوقت المتاح لهذه الندوة أطلب من الدكتور خلدون أن يلخص مداولات وتلخيص اجاباته في نفس الوقت بفترة زمنية بثلاث دقائق . ولقد عودنا انه يستطيع ان يقوم بهذا الشيء .

د . خلـــدون النقيـــب :

سأعلق بسرعة وانا حقيقة سعيد بردود أفعال الاخوان واني بطبيعة الحال واثق مائة بالمائة بان اهتمام الاخوان لا يعود لاهمية المحاضرة بقدر ما يعود لأهمية الموضوع نفسه . فيما يتعلق بقولي ان وجدان الجماعة غير منطقي اقول هذا ليس بالضرورة فمن الممكن جداً كما ذكر الدكتور جواد هناك ظواهر لها منطقها في وجدان الجماعة . لكن هناك بعض المظاهر التي ليس فيها من المنطقية شيء مثل حالة اللاديمقراطية وحالة التعصب الطائفي والقبلي وإلى آخره . دور العلم بطبيعة الحال كما ذكر الدكتور جواد هو الشيء المثالي وفي المدى البعيد هو الـذي نأمله . والا فـلا يبقى للعلم اي دور . هنـاك ايضـا معـوقـات النضـج وانـا بـودي

ان تكون هناك دراسة لمعوقات النضج من واقع البيئة أو البيئات العربية المختلفة لان معوقات النضج ايضاً تختلف من بيئة إلى أخرى . موضوع الازدواجية الذي ذكره الدكتور جواد ويذكره كل جيل من الاجيال اذا احس بمرارة الواقع خلافاً لتمنياته ـ هذا صحيح . وهو موجود وهو حالة طبيعية غير مريحة ولكنها طبيعية وموجودة في كل جيل وسنذهب في علم النفس الاجتماعي بالظاهرة التجزيئية أو التبعيضية انا اضع هذا الاتجاه في هذه الدائرة والاتجاه الآخر في دائرة أخرى ولا يختلطان . يمكن ان اكون مثلاً في حالات كاثوليكيا أو مسلما متعصبا وفي حالة اخرى يساريا أوماركسيا متعصبا يمكن جداً بشرط الا يختلطا .

فهي ليست حالة مرضية انا في تصوري موضوع التنشئة ودورها في الديمقراطية وغرس أي مبدأ من المباديء امر من الممكن ان يحدث كما ذكر الدكتور ابراهيم وغيره من الزملاء ان تحدد الوسائل التي بواسطتها تتم التنشئة، انا كما ذكرت ان الديمقراطية هي العقلانية والتسامح الديمقراطية اذا كانت عقلانية وتسامحاً واحتراماً لرأي الاخر وحق الاخر في التعبير عن رأيه نتعلمها من البداية في المؤثرات الثمانية التي ذكرتها العائلة ، الصحبة ، الطبقة ، المدرسة ، البيئة ، الجوارية ، التواصل ، الدين ، السياسة في كل هذه بدون اسلوب الوعظ الذي تعودنا عليه ممكن جداً بعد جيل أو جيلين ان تنشأ الروح الديمقراطية وهذا حصل في تجارب المجتمعات الاخرى . يبقى الامر الاخير وهو النمو المعرفي الذي ذكره الدكتور عبدالله . هذا صحيح النمو المعرفي ضعيف وينعكس الان في الجيل الموجود عندنا في الجامعة الجيل الذي لا يقرأ ـ الذي عنده حساسية ضد القراءة . الموضوع الاخير وهو ما ذكره الدكتور عودة وتطرق له الاخوان الاخرون وهو موضوع المفاضلة بين المؤثرات وأيها أقوى ؟ جماعة الصحبة أو جماعة المدرسة ؟ ـ الموجودون من اخواننا في التربية يقولون ان الجدال حول أهمية

دور المدرسة أو دور العائلة أو دور جماعة الصحبة على الاقل لم يحسم في المجتمعات الغربية .

آنا لا ادري اذا كان هناك أي دراسة في المجتمع العربي عن المفاضلة بين هذه المؤثرات ، المفروض ان تكون هناك دراسة كهذه . أنا اعرف من بناتي وأولادنا ومن الملاحظة المباشرة أن في التعلم الاجتماعي اشياء كثيرة يتعلمها الاطفال من خارج المدرسة . في الوقت الحاضر الآن هناك اشياء كثيرة لا تدرس في المدارس فالمفاضلة ضرورية اما ان الانسان المقهور يمثل حالة انتقالية فهذا هو المراد بطبيعة الحال . فليست هناك حضارة من الحضارات بناها بشر مقهورون ولهذا السبب ليس لنا دور في الحضارة العالمية المعاصرة .وعندمانتعدى مرحلة القهر سنساهم مساهمة ايجابية في بناء الحضارة العربية .

د . محمـــد جـــواد رضـــا :

الواقع انا اعتقد ان الجمعية الليلـة بدأت بوضع اساس لتقليد رائع . هذا شيء نهنيء عليه رئيس الجمعية لانه من أفكاره وهذا الجو الحر في الحديث ومن دون وجل أو تحسب هو شيء نادر في العالم العربي وهذه من اولى مساهمات الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية في تقدم المجتمع العربي كله . هناك قضيتـان في الواقع احببت ذكرهما . . . قضية النقاش النظري لمشاكل المجتمع فيه فائدة واحدة انه يحرك أو يحيي الوعي بوجود هذه المشكلة وان لم يؤد إلى حل الاشكال القائم واذا استطعنا ان نؤصل مسلكية معينة وهي ان مشاكل المجتمع الاخـلاقية هي مشاكل عملية وليست مشاكل فقهية أو نظرية صرفة وان هذه المشاكل يجب أن تحل في الواقع ، فاننا نكون قد انجزنا انجازاً مهماً . ولنأخذ قضيـة التسامـح مثلاً . المدرسة وحدها لن تفلح في تحقيق التسامح لانها ـ اي المدرسة ـ يجب ان توجد في مجتمع متسامح وتحت نظام سياسي متسامح والا اذا كان النظام السياسي قهرياً

والمجتمع قهرياً ونحن اذا ربينا الناشئة على التسامح في المدرسة فسنخرج أناساً خارجين على الوضع العام ونضعهم في حالة صراع مع الوضع القائم وهذا قد يدمرهم كما يحدث في مجتمعاتنا في الوقت الحاضر .

الفكرة الثانية التي أريد ان اقف عندها هي انه عندما قلت ان النضج هو الثورة . . . كنت اشير إلى موقف سارتر أكثر من موقفي واستنتاج الاستاذ لويس فوير في كتابه صراع الاجيال . ومع هذا فلست أتخوف من أن نقول أن النضج في بعض الاحوال هو الثورة على الواقع لانه في مكان ما عندما يتوقف المنطق لابد أن يكون هناك عمل من نوع معين ويكفينا ان يكون الانبياء كلهم ثواراً وأحب ان اختتم بعبارة محمد بن عبدالله « والله يا عم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي على أن أرجع عن هذا الامر لما فعلت » هذا منتهى الرفض وهذا منتهى الثورية ولولاها لما كان هناك مجتمع اسلامي يسمو فوق المجتمع القبلي .

د . عدنـــان شهـــاب الديـــن :

شكراً د . ابو المعتز على هذه الخلاصة التي أمضى بها أربع دقائق ليوجز ما أراد أن يقوله . اعتقد اني كنت متسامحاً بهذا . ختاماً أو ان احدثكم بما ذكرني به زميلي الدكتور حسن الابراهيم رئيس الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية من ان المستقبل هو للاطفال لكن الموضوع شائك ومعقد وقد أشار البعض إلى فحوى الحديث وكان متشائماً بعض الشيء . وذكرني دكتور حسن بمقولة قالها ليوتي المارشال الفرنسي المشهور قال مرة لبستاني يعمل عنده « أغرس شجرة غداً فقال البستاني ولكنها قد لا تثمر قبل مئة عام ؟ فقال ليوتي للبستاني اذاً فاغرسها عصر اليوم » .

واضيف على ذلك ـ أقول اذاً اغرسها الان وللتو .

بهـذا اختتم اعمال هـذه الندوة الاولى في سلسلة النـدوات التي تنظمهـا الجمعية الكويتية واتوجه باسمكم جميعاً إلى د . خلدون و د . جواد بجزيل الشكر لتفضلهم بالحدث معكم اليوم كما أود ان اتقدم إلى جميع المشاركين باسم رئيس الجمعية الكويتية بجزيل الشكر على مساهمتكم وحضوركم معنا .

الندوة الثانية

شخصية الفرد والتنشئة العائلية

ديسمبر - كانون الأول ١٩٨٣

النـــــدوة الثانيـــــة ٤/١/١٩٨٤

موضوع الندوة : التنشئة العائلية واثرها في شخصية الطفل

المتحدث الرئيس : د. هشام شرابي - جامعة جورج تاون
رئيس الجلسة : الأستاذ عبد اللطيف الحمد - وزير المالية الكويتي سابقا

١ ــ د. ابراهيم عثمان	جامعة الكويت
٢ ــ د. احمد عبد الله	جامعة الكويت
٣ ــ د. اسامة الخولي	معهد الكويت للابحاث العلمية
٤ ــ د. اسعد عبد الرحمن	جامعة الكويت
٥ ــ الاستاذ أنور النوري	رئيس مجلس ادارة بنك الكويت الصناعي
٦ ــ د. بدر العمر	جامعة الكويت
٧ ــ د. حسن الابراهيم	رئيس الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية
٨ ــ د. خلدون النقيب	جامعة الكويت
٩ ــ الاستاذ/ عبد الرزاق البصير	اديب كويتي
١٠ ــ د. عبد الله الدنان	جامعة الكويت
١١ ــ د. قاسم الصراف	جامعة الكويت
١٢ ــ د. محمد جواد رضا	جامعة الكويت
١٣ ــ د. محمد ربيع	مؤسسة الدراسات الفلسطينية امريكا
١٤ ــ د. يحيى حداد	جامعة الكويت
١٥ ــ د. يوسف الابراهيم	جامعة الكويت

شخصيــة الفــرد والتنشئــة العائليــة

بقلــم هشــام شرابــي

اود ، قبل كل شيء ، ان اعبر عن فرحي واعتزازي بوجودي اليوم هنـا ، في دار هذه المؤسسة الرائدة ، الفريدة من نوعها ، في عالمنا العربي .

لقد رافقت نشوء فكرة الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية منذ بدايتها ، وشاهدتها تقوم حجراً حجراً بيد صديقي وزميلي د . حسن الابراهيم ، الذي بقي سنوات يمهد لها ويضع الاسس القوية لقيامها على الشكل الذي نراها فيه اليوم .

ان هذه الجمعية ربما تكون اليوم المؤسسة الوحيدة في عالمنا العربي التي تسعى إلى توفير امكانيات البحث العلمي والتثقيف الاجتماعي في آن واحد في كل ما يتعلق بتنشئة الطفل وتثقيفه في الاسرة والمدرسة والمجتمع .

في المرحلة الصعبة التي تمر فيها امتنا اليوم ، والتي يغمرنا فيها الغضب احياناً واليأس احياناً اخرى ، وتكاد تخنقنا فيها العواطف السلبية من كل نوع ، يقوم هذا العمل الخلاق ليضيء امامنا احدى السبل البناءة التي يجب ان نسير فيها ، وليقدم لنا النموذج العقلاني في كيفية مجابهة مشاكل مجتمعنا والتغلب عليها .

ان موضوع هذه الندوة هو « شخصية الفرد والتنشئة العائلية » .

واسمحوا لي ان اعرض بايجاز مطلق النقـاط الاساسية التي اعتقد وجوب اعتمادها في نقاشنا اذا اردنا ان نكون علميين وموضوعيين .

ان الركيزة الاساسية في نظرية نمو الشخصية الانسانية مستمدة من نظرية فرويد التحليلية القائلة بـان السنوات الخمس أو الست الاولى من حيـاة الفرد تتشكل فيها البنية الاساسية (Primary Structure) لشخصيته ، وكل ما يتبع ذلك في عملية نموه العقلي والنفسي والعاطفي يكون خاضعاً لمقومات هذه البيئة ومحدداً بها وبطبيعة تركيبها . اما المراحل اللاحقة في حياة الفرد ، ففيها يتم تكوين التركيب الثانوي (Secondary Structure) لشخصيتـه ، وعلاقـة هذا التـركيب بالتـركيب الاوّلي هي كعلاقة البنية الفوقية بالبنية التحتية ، لا بمعنى علاقة فيزيائية محكومة بالضرورة الموضوعية ، بل بمعنى علاقة عضوية متغيرة يحكمها التطور الجدلي .

واود هنا التأكيد على هذا المفهوم الجدلي المتغير في تحديد علاقة التـركيب الاولي بالتركيب الثانوي في شخصية الفرد . فكثيراً ما يحصل سوء الفهم حول ما يجـري في مراحـل تكوين التـركيب الثانـوي (البنيـة الفـوقيـة ، أو الشخصيـة الراشدة) . فمن الممكن التساؤل ، اذا كانت المرحلة الاولى (السنوات الخمس أو الست الاولى) هي التي تقرر معالم الشخصية الاساسية وتحدد آفاقها ، فما هو دور التثقيف والتجربة والنمو في المراحل اللاحقة من حياة الفرد ؟ بعبارة اخرى هل يمكن للفرد ان يتغير ، أو ان يغير نفسه ، أم هو قالب ينتهي تكوينه في سنوات الطفولة الاولى ويبقى كما هو إلى نهاية العمر ؟

العلاقة الجدلية تظهر هنا . ان القالب هو الاساس والمنطلق ، لكن مجال التغيير ، مع توسع الوعي والمعرفة ، كبير ولا يمكن تحديده . الاثر الذي يصعب تغييره هو ذلك يكمن في اللاوعي ، في الصفات الشخصية الثابتة التي اكتسبها الفرد في طفولته والتي اضفت عليه « شخصيته » المميزة .

الامر الرئيسي بالنسبة لنا هو تحليـل طبيعة العـلاقة بـين التركيب الاولى والتركيب الثانوي ، وتفهم مدى تأثير الاول على الثاني ، وذلك بتفحص تركيب البنية الاولية وديناميكيتها الفاعلة .

ويتناول هذا التفحص النواحي المختلفة التي تحكم تطور الفرد ونموه مدى الحياة ، واهمها هي النواحي الصحية والنفسية والعقلية .

(١) **التنشئة الصحية** : هي القاعدة التي لا يمكن ان يتم بدونها أي نمو أو تطور سليم لدى الفرد . وهي تتناول موضوع العناية الطبية بالام (قبل الولادة وبعدها) وبالطفل ، والتغذية الصحيحة والوقاية الطبية والتمرين الجسدي الخ .

(٢) اما **التنشئة النفسية** : فتتناول حقل التفاعل مع الطفل (من قبل امه ووالده في المكان الاول ، ومن قبل اعضاء الاسرة الآخرين) وتقرر نوعية التفاعل هذا نمط نمو الطفل العاطفي والنفسي : ثقته بذاته وبالآخرين ، قدرته على المحبة ، قدرته على التعاون الخ .

(٣) اما **التنشئة العقلية** : فتتناول موضوع النمو الذهني والقدرات العقلية ، مثل القدرة على التساؤل والتفكير والبحث الخ . . . وتكوين شخصية متوازنة عاطفياً وذهنياً وقادرة على السلوك الراشد المستقل .

من الواضح ، مثلاً ، ان سوء التغذية أو انعدام الوقاية الصحية يؤدي إلى تعثر نمو الطفل ليس فقط جسدياً بل أيضاً على الصعيد النفسي والذهني . كما ان التفاعل الخاطىء مع الطفل على الصعيد النفسي يسبب له تعقيدات نفسية ، قد لا تبدو اول الامر بنفس الوضوح الذي تبدو فيه التعقيدات الجسدية ، الا انها لا تقل عنها خطورة . كذلك التثقيف العقلي الخاطىء ـ في الاسرة وفي الحضانة ـ نتيجته تحطيم امكانات الطفل الذهنية والحد من نموه العقلي ومقدرته على التفكير الحر المستقل .

من هنا يتضح لنا مدى تأثير المرحلة الاولى على حياة الفرد فهو في هذه المرحلة الاساسية من تكوّن شخصيته يكون عاجزاً كل العجز عن القيام بأي عمل مستقل

بل هو يعتمد في كل ما يحتاج اليه من غذاء ووقاية وتنشئة وتثقيف على الآخرين حوله . فهو بهذا المعنى صنيعة الكبار حوله ، امه وابيه واخوته وافراد عائلته الآخرين ، يفعلون به ما يشاؤون إلى ان يصل إلى سن الاستقلال الجسدي والنفسي ويصبح سيد نفسه . لكن سيادته على نفسه لا تكون الا ضمن الاطر النفسية والذهنية والعاطفية التي اسسها في نفسه قبل ان يعي ذاته ويملك القدرة على التمييز والاختيار بزمن طويل .

كيف نكسر الحلقة المفرغة التي تشكل وضع مجتمعنا بالنسبة لتنشئة اطفالنا الذين يكونون اساس المجتمع فيحددون طبيعة المجتمع الذي نبنيه بأسلوب تنشئة اطفالنا ؟

كسر هذه الحلقة يكون **بالتوعية الاجتماعية والنشاط العلمي** ، وعلى نجاح هذين النشاطين يتوقف نجاحنا في تحقيق التغيير الاجتماعي الصحيح .

في مجال **التوعية الاجتماعية** يجب خلق تفهم دور الطفولة الاجتماعي على اوسع نطاق وذلك باستعمال كافة قنوات التثقيف الشعبي والاعلام العام ، بحيث يصبح موضوع الطفل على نفس المستوى من الاهمية (وربما اكثر) مثل التعليم الابتدائي والثانوي والجامعي .

اما في مجال **البحث العلمي** ، فهذا النشاط الذي يسبق كل نشاط اعلامي وتثقيفي ويجب دعمه بكافة الوسائل لتحقيق الاهداف التي وضعتها هذه الجمعية الرائدة : الدراسات العلمية لمشاكل الطفولة على كافة انواعها ، والابحاث الميدانية في كافة المجالات ، والنشاطات التدريسية والتثقيفية على جميع المستويات .

مناقشات

د . حسن الابراهيم :

ـ موضوع يعاني منه الوطن العربي ككل هو السلطة الابوية الموجودة في مجتمعاتنا العربية هذه السلطة الابوية بجميع مؤشراتها في المجتمع ككل (علاقة التنشأة العائلية بالسلطة الابوية ؟) .

ـ موضوع تعاني منه منطقة الخليج العربي .

منطقة الخليج ككل تمر في نهضة اقتصادية (قفزات اقتصادية في الـ ٢٠ سنة الماضية) لم تواكبها قفزات اجتماعية وحضارية بين الضعف والقوة ، نتج عن هذه القفزات الاتكالية ، اتكالية المواطن على الحكومة والفرد على اسرته أو قبيلته .

د . عوده :

تقسيم التنشئة إلى أولية وثانوية هل يعني بالضرورة الاهمية أو التتالي الزمني وهل تعتبر التربية بعد ذلك ثانوية لا قيمة لها .

قضية الاعتماد الكلي على الآخرين ، قد يعتمد الطفل في مراحل سنواته الاولى اعتماداً كلياً (والبحوث الحديثة تشير إلى أن اعتماد الطفل الكلي الآخرين يكون في فترة معينة هي فترة عامين) لكن بعد ذلك يبدأ الطفل يشق طريقه ، والا فكيف نتحدث عن محاولة اثبات الذات ومحاولة الاستقلالية اليست هناك محاولات جدية من الطفل لتقليص الاعتماد الكلي على الآخرين ؟ اما بالنسبة لاعتبار هذه المرحلة المنطلق الفاصل للتغير الاجتماعي في المجتمع ، أي احداث تغيير في المجتمع يبدأ من هذه المرحلة . بعبارة أخرى اعطاء هذه المرحلة الاهمية القصوى حق في التعبير الاجتماعي (فهي وجهة نظر واحدة من ناحية التحليل النفسي ولم استطع أن أجد وجهة نظر أخرى مدعمة لها) .

كيف نستطيع ان نوفق بين هذه القضية والقضايا الاخرى حيث أن الطفل في هذه المرحلة ليست لديه القدرات العقلية للمناقشة وعملية استخدام المنطق ، وهو يتلقى ويلقن حتى على الصعيد الاخلاقي ، فهو يلتزم بالاخلاق حتى يرضي الكبار ولا يناقش ، لكن الثابت أن الانسان يعيد النظر في كل هذه المعطيات في مرحلة المراهقة أي في سن ١٤ و ١٥ سنة ، ونجد أنه حتى في التاريخ فان التنظيمات السياسية والفكرية كانت تأخذ الشباب من هذا السن اذا أرادوا عمل تنظيم معين ، واخوان الصفا في التاريخ ذلك أيضاً في رسائلهم ، حيث أن الانسان في هذا العمر يمر في مرحلة مراجعة القيم .

د . هشام شرابي (تعليق على سؤال د . حسن الابراهيم) :

نتكلم في موضوع التنشئة : ما هو دور السلطة في تنشأة الطفل ، وما ينتج عن استعمال السلطة في أوجه مختلفة في تنشئة الطفل بنتائجها بالنسبة لتركيب الشخصية ولتطور وتنمية شخصيته نفسياً وعقلياً وبالتالي تأثيرها على مسلكه وتصرفه كفرد في المجتمع أود ذكر نقطتين هما :

السلطة اجتماعياً/ قاعدة اساسية موجودة في كل العلاقات الاجتماعية سواء كانت سياسية (على مستوى اجتماعي) أو عائلية (بين الاب وأفراد الاسرة) وبين شخصين (حتى ولو في علاقة حب) توجد هناك سلطة . في كل علاقة هناك سلطة ، هذه العلاقة بين الطفل والوالدين يمكن أن تكون على شكلين اساسيين : سلطة قهرية وسلطة عقلية ، سلطة قهرية تقوم على الطاعة ، وسلطة عقلية تقوم على التفاهم .

ولا شك أن هاتين العلاقتين للسلطة ـ الأولى علاقة عمودية والأخرى علاقة افقية ـ تحددان نوعية من انواع التنشئة للطفل ، ويتبع ذلك نتائج في غاية الخطورة ، وفي مجتمعنا تقوم السلطة في التنشئة على العلاقة العمودية (في البيت وفي المدرسة وفي الجامعة والمجتمع) ، لذلك تتغير نوعية التنشئة . ومعاملة

الطفل لها حصلية جذرية في أهميتها بالنسبة للمجتمع الكبير ، وذلك عند أخذ هذا الموضوع في الاطار الاوسع . الاتكالية مرتبطة بهذا الاطار حيث العلاقة قائمة على القهر والطاعة .

فمن الواضح أن الاتجاه عند الفرد نحو الاعتماد على الآخـرين والاتكال عليهم والخضوع لهم وبالتالي انهيار القوى الذاتية والاستقلال الذاتي ، بينما تنمية العلاقة الافقية والديمقراطية بين الوالد والطفل تغذي الصفات الاخـرى المعاكسة (الاستقلال الذاتي والاعتماد على النفس والتعامل مع المجتمع والثقـة بالـذات وبالآخر) .

رد الدكتور شرابي علي د. عودة :

١ ــ العلاقة بين التنشئة الاولية والثانوية .

٢ ــ المدة التي يكون فيها الطفل ضعيفاً ويعتمد على الآخرين .

٣ ــ اهمية ما نتحدث عنه بالنسبة للتغير الاجتماعي في هذه الفترة .

أولاً : التفاوت الذي نتحدث عنه في التحديد ما بين التنشئة الثانـوية في الفترة اللاحقة بالفترة الاولية هي ليست زمنية فقط ولكنها عضوية ونفسية وعقلية لان الطفل في هذه السنوات يمر في مرحلة تكوين الذات (كالعجينة لم تأخذ شكلاً لا داخلياً ولا خارجياً) وتتكون بفعل المؤثرات فيها والتي لا تستطيع الرد عليها فهي خاضعة خضوعاً تاماً لهذه المؤثرات .

لذا فان النظريات تقـول أنها مرحلة فـاصلة في تكوين التـركيب النفسي والشخصي للفرد وكل ما يتبع ذلك بعد الستسنوات في المرحلة الثانوية يكون تغييراً أو تحويلاً فيما تم تكوينه، وهذا لا يعني أن المرحلة الثانوية (انها ثانوية أي قليلة الاهمية) بل بالعكس نحن نعرف أن المدرسة وسن المراهقة والطفولة مهمة جداً في التحول وتغيير الانسان وداخليته ، ولكن الاسس والاطـر يتم تكوينهـا في نهاية

المرحلة الأولى .

ممكن أن تكون المرحلة الاولى سنتين ، ويكون الاتجاه عند البعض هو تقصيرها ، ان شخصية الطفل أو الفرد تأخذ شكلاً نهائياً لمدى الحياة في سن ٢ أو٣ سنوات ، انما الاعتماد على الآخرين الوالدين والمحيطين يستمر لدى الطفل اكثر بكثير من مدى المرحلة الاولى .

اطفالنا لو تركوا في سن السادسة لا يقدرون على العيش كما يقدر مهر عمره ٣ اسابيع أو أي حيوان آخر .

اذا كان ما تقوله هذه النظرية ثابتاً أو يقوم على أسس فيها شيء من الصحة فمعنى ذلك أن المجتمع هو المؤثر على تكوين الفرد . فتغير الفرد هو تغير البيئة وتغير البيئة معناه تغير الفرد .

السؤال كيف نخرج من هذه الحلقة المفرغة في مجتمعنا نحن .

إن ما تقوم به الام والاب في معاملتهما للطفل أي تنشئته وتكوينه هي ليست حصيلة اختراعهما ولكنها حصيلة تنشئتهما اطفالاً ، فالحلقة تعاد في كل جيل عندما ينشأ جيل جديد والمشكلة الاجتماعية التي تفرض نفسها هي كيفية الخروج من هذه الحلقة المفرغة وندخل في اطار جديد للتنشئة .

الاستاذ أنور النوري :

الطفل في سن سنتين أو من سن (١ ـ ٦) سنوات هو في مرحلة الاعتماد الكلي أو الضعف الكامل واذا كانت هذه هي التنشئة الرئيسية وما عداها يعني تكوين شخصية الطفل في المستقبل فان نتيجة هذه التربية شيء مخيف .

لاننا نجد في العالم العربي أن نسبة ٧٠٪ إلى ٨٠٪ من الوالدين جهلة ، إذن كيف يكونون قادرين على احداث التغير الاجتماعي اذا وضعنا الاهمية الكاملة

للطفل في هذه المرحلة والطفل في هذه المرحلة كيف يربى عقلياً وعاطفياً وهو في كامل ضعفه وفي كامل اعتماده على الآخرين .

نظرياً يكـون هذا الشيء ممكنـاً وواضحاً ولكن عملياً هو شيء لا يمكن استيعابه .

ونجد أن الطفل في هذه المرحلة يؤخذ إلى الحضانات والاطفال قديماً كانوا يؤخذون إلى مرضعات (وحتى النبي (ﷺ) تربى خارج بيئته) فكيف تكون هذه المرحلة المهمة هي الحاسمة في تربية الطفل ، واذا كان ذلك صحيحاً فهو شيء مخيف .

لانه في الظروف الحالية يصعب تكوين الشخصية التي تخلق الفرد الذي يعتمد عليه في المستقبل ونحن لا نستطيع تكوينه (حيث أن فاقد الشيء لا يعطيه) فكيف نستطيع اعطاء ما لا نملك ، ومعظم الاباء والامهات الان فاقـدون لهذا الشيء .

النقـطة الثانيـة هي مرحلة التهـذيب ، وهي تبدأ عنـدمـا يبـدأ الـطفـل الاستيعاب ، وفي مرحلة الاعتماد الكلي الطفل لا يستوعب ، فمرحلة التهذيب هي عندما يبدأ الطفل بمعرفة الضار والنافع ، يعرف كيف يجاور وكيف يحاور ، يعرف ما هي السلطة الابوية ، لا يخضع لسلطة تقوم على الطاعة وانما تقوم على الحوار .

في هذه السن (من سن ٦ ـ ٧) الطفل لا يدرك ذلك .

مرحلة التهذيب تبدأ من سن ٧ ـ ١٤ يمكن أن يدرك وأننا نستطيع تهذيبه ، وانا لا استطيع ان اغفل عامل الوراثة ، فهو علم قائم عالمياً حيث التجارب اثبتت أنه من الممكن خلق شخص نابغ أو مجرم ، إذن عامل الوراثة عامل اساسي ولا يمكن اهماله .

د . ابراهيـــم عثمـــان :

أود التكلم عن المرحلتين الاولية والثانوية .

من حيث الزمن ـ هل الزمن هام في السابق وليس هاماً في الوقت الحالي ؟

ونتكلم عن مستويين أو مرحلتين الاولية والثانـوية ، أحب أن اتكلم عن مستويين من نوعية العلاقات مختلفين لكنهما متزامنان ، لان المؤسسات الرسميـة تدخل البيت في مرحلة مبكرة من حياة الانسان وتبدأ بالتأثير سواء رضى الاهل أم لم يرضوا ، لانه لا توجـد للاهـل على هـذه المؤسسات سلطة . وبـالتالي تتـزامن المرحلتان ـ الدولة تدخل إلى بيوتنا منذ نعومة اظافرنا وتبدأ بالتأثير على اطفالنا من خلال برامج التلفزيون والاذاعة وبالتالي لو نظرنا إلى هذا التدخل كنوعية علاقات رسمية أو علاقات غير شخصية غير مباشرة مقابل علاقات مباشرة ، فاننا نحس الان ـ وهذا يزيد الاهمية ـ أثر الدولة ودخولها كمؤثر في بناء شخصية الانسان . . . وسلب العائلة في كثير من الاحيان وظيفتها الاساسية في التنشئة والتربية .

السلطة لها أهمية كبيرة في تربية الطفـل وفي نوعيـة الشخصية وخـاصة في حوافزه نحـو التحصيل ، فـاذا كانت القـرارات تعطى من شخص واحـد دون مشاركة الاخرين ، فان ذلك بالتالي يؤدي إلى الاتكالية ، وذلك يقضي على حوافز التحصيل ويقضي على النمو اللغوي لدى الطفل .

التنشئة والتربية مهمتان على مدى حياة الانسان وليست هناك فترة أهم من فترة أخرى . وهناك دراسات كثيرة بينت أن المؤسسات التي يعمل بها الانسان ونوع الوظيفة قد يكون لها أثر كبير وبالغ كما للاسرة في تنشئة الانسان .

الاعتمادية : الطفل يبدأ بمحاولة الاستقلال بعد سنة من ميلاده يحاول أن يتدخل في البيئة وتغيير الظروف المحيطة به لصالحه ليزيـد من متعته ويخفف من آلامه ، لذلك الاعتمادية موجودة ، ولكن ذلك لا يعني أن الطفل يصبح ذاتاً مؤثرة

في البيئة المحيطة به وخاصة بعد أن يملك المعرفة بذاته وبالاخرين حوله كأشخاص مستقلين عن ذاته .

د . بـدر العمـر :

لا أحد ينسى اهميةالثلاثسنوات الاولى بالنسبة للطفل ، وهي مثبتة في دراسات كثيرة ، وطرحت هذه المرحلة على أساس أن الطفل مسلوب الارادة وضعيف ، أتصور أن اطلاق هذا النوع من الاحكام هو معيار الكبار وليس الصغار ، حيث أننا نجد أن الطفل منذ نشأته يتصرف بحسب المرحلة التي يمر بها أو يعيش المرحلة التي هو موجود بها حتى ننتهي من معاملته كطفل ، وقد نرى في كثير من الممارسات الاجتماعية ان هذه الفترة منسية كأن الطفل مسلوب الارادة فتصبح التربية ميكانيكية .

واعتقد أن هناك مبالغة في هذا التصور لان التربية معاناة ، ولا تأتي بسهولة لذلك برزت خطورة التربية لانها ما هي الا كسر ولوي لقدرة الطفل على أن يعيش حياته كطفل ، فجاءت من هنا الخطورة ونحاول أن نسير الطفل ليعيش حسب معاييرنا ككبار ناسين أنه يجب أن يترك ليحيا كطفل ، ومن هذا المنطلق جاءت الاهمية ، كيف نربي ومن نربي وبأي معيار نربي ؟ . . . واذا أخذنا التربية بمستوانا ككبار وحاولنا ابراز هذا المفهوم للطفل اعتقد أن هناك خطورة ، ان هناك كثيراً من الباحثين قالوا دعونا نفهم الطفل في مراحله المختلفة ، كيف يعيش هذه الحياة ، ثم يهيأ له افضل السبل ليحيا حياة سليمة .

رد الدكتور هشام على الدكتور بدر العمر :

هذه نقطة هامة جداً ويجب توضيح بعض الامور المتعلقة بها ، لم اقصد ان الطفل مسلوب الارادة لانه ليس لديه ارادة فقط ولكن عنده فلسفة ، فانه يرى العالم من خلال منظار طفولي نحن نسيناه ككبار ، هذه النظرة نسيناها لاننا نحن

الذين كسرناها كما كسروها فينا .

وما تقوله عن أن التربية انما هي كسر ارادة الطفل لان يعيش طفلاً كما يريد هو يراد به ما يفعله المجتمع في كل أبنائه أي يريد أن يجعل من كل فرد عضواً لمجتمع يطبع هذا الفرد على صورته ، فلو أحضرنا طفلا من أواسط افريقيا عمره بضعة اسابيع ـ ووضعناه في عالم عربي (وهنا تظهر الوراثة والبيئة بصورة واضحة) فانه يطلع على صورة المجتمع الذي انتمى له ويصبح عربياً بكل هـذا المعنى ، لانه يفرض عليه قالب نفسي وفكري وقيمي وذاتي يتبلور في تركيب شخصيته ونظرته خلال السنوات ليصبح نتاج لهذا المجتمع ، المجتمع ينتج نفسه ويعيد انتاج نفسه من خلال هذه العملية الخطيرة .

د . يحيـى حـداد :

المرحلة اللاحقة مرحلة مهمـة بقدر مـا تقدم للطفـل من وعي وادراك ، وبالتالي هي مرحلة مكملة وليست مرحلة ثانوية بقدر مـا تشكل المـرحلة الاولى الجـانب النفسي والمرحلة الـلاحقة هي مـراحل تكـوين الوعي والادراك لـدى الطفل . نحن نتكلم عن الطفل وكأنه مقطوع الجذور عن المجتمع وكأن تـربية الطفل ليست جـزءاً من هذه الثقـافة التي سيعيشهـا . لو اوجـدنا هـذا الطفـل النموذجي حتى لو وضعناه ضمن تربية حديثة كلياً ، فانه سوف يكون طفلاً منحرفاً غير قادر على التعامل مع المجتمع (طفل مغترب) لان نوع الاتفاقات التي سيدخل فيها مع أمه وأبيه ستختلف عن الاتفاقات التي من المتوقع أن يدخلها لاحقـاً في المدرسة ومع المسئولين وفي العمل مع الزملاء .

لا نستطيع الكلام عن الطفل وكأنه شيء منفصل لان علاقة الطفل داخل الاسرة ما هي الا اتفاقات فرضها المجتمع بعلاقة بين الاب والابن والمطلوب من الاب هو ممارستها وتسمى سلطوية تنعكس في كل المجالات الاخرى من حيث

الاتفاقات الاخرى بين المدرسة والطفل وهي نفسها بين الاب والطفل هي نفسها بين الموظف والمسؤول ، هي نوع من اتفاقات المجتمع يقرها ويكرسها ويؤكد عليها ، وعند التكلم عن الطفل يجب الكلام عن الاتفاقات الموجودة في المجتمع . وعند الكلام عن السلطوية . . . . لابد أن نتذكر ، السلطة هي كمية معينة في أي علاقة داخل الاسرة وخارج الاسرة . وأي سلطة تعطى للابن أو الام ، هي انتزاع من سلطة الاب وسيحارب عليها (مثال سلطة مدير الجامعة عندما توزع هذه السلطة على الاساتذة فهي انتزاع من سلطة مدير الجامعة وسلطة المدرس هي انتزاع من سلطة رئيس القسم) .

تماماً كما يحدث داخل الاسرة ـ في مدرسة التحليل النفسي التي ينتسب اليها الدكتور هشام ،كل الاهتمام ينصب حول أهمية التنشئة الاولى والتنشئة في المجتمع دون الاخذ بعين الاعتبار أهمية التثقيف والثقافة في المجتمع لاعادة الاساس .

صحيح أن المرحلة الاولى مهمة والطفل يحتاج لدعم ـ لذا يجب اعادة النظر في هذه الاطروحة وهي قضية التحليل النفسي والمرحلة الاولى واهميتها والاهتمام بالطفولة . لانها حلقة مفرغة لا نستطيع كسرها بهذه الوسيلة .

التساؤل الان لا استطيع الاجابة عليه ـ قضية هذه العلاقة مع الثقافة ونوعية الاتفاقات التي يدخلها الطفل في مرحلة الطفولة ولاحقاً باعتبار انه حلقة متصلة من الاتفاقات .

الاستاذ عبد اللطيف الحمد :

اتفق مع د . حداد ان هناك سلطة تنافس بين الرئيس والمرؤوس ولكن المركزين لن يكونا متساوين ، ولكن عند التكلم عن الطفل والوالدين لا نجد هناك منافسة (حيث أننا لا نجد انساناً ناضجا بكامل اتزانه ينافس الطفل الضعيف ، انما هي عملية اعطاء من جانب وأخذ لجانب آخر) .

د. يحيى حـــداد :

القضية ليست قضية تنافس وانما هي قضية تسلط ، والتسلط هو عملية لحماية الطفل ظاهرياً .

د . محمـــد جـــواد رضـــا :

اقف عند حدود المعالجة اللغوية لان اللغة نظام في التفكير وحاكمة لسلوك الافراد ويبدو أن هنالك خيطاً رفيعاً بين السلطة والتسلط ، ويمكن أن ينزلق الناس من مفهوم السلطة إلى ممارسة التسلط على الآخرين ، ويمكن التحدث عن نوعين من السلطة هما السلطة القاهرة والسلطة المربية ، ـ القهر سلطته غير مشتقة من حقائق ومعلومات فهو يستعمل عاطفة الخوف لدى هذا الكائن الصغير الذي يشعر بالحماية مع امه والاب (الاب : أنت تحبني اذن أنت تعمل هذا الشيء (اي اتباع اسلوب الاقناع المبطن) وينجم عن هذا الاسلوب الاقناع ، وليس من الضروري أن تكون هذه السلطة عقلانية بالمدى البعيد) .

ونحن نقتنع باشياء دون معرفة سبب اقتناعنا بها .

ثم هناك سلطة القهر المادي وهي معروفة للجميع .

ثم هناك سلطة الحق والحقيقة ، وينفـرد بها الـوعي والادراك . كثير من الناس يسلمون أنفسهم لمشرط الجراح دون وجود قوة قاهرة تملي عليهم ذلك ولكنهم يعرفون ان مشرط الجراح سوف ينقذهم من الموت أو المعاناة في المدى البعيـد ، فيكـون مدى المعرفة نوعاً من أنواع السلطة ويمارسها شخص معين في مجال معين .

هذه المصادر الثلاثة من السلطة اية نماذج من صنع البشر تخرج لنا عندما نمارسها وهي ممارسة في الواقع بشكل عام في كل المجتمعات .

الملاحظ تربوياً أن النزعة السلطوية القهريـة في الغالب تنتهي إلى تخـريج

الانسان الخانع الذي يتجنب القهر والقوة والاذى فيستسلم احياناً عن ضعف أو خبث ، ولا يعترض وانما بعد ذلك ينتقم باسلوب المراوغة ، وقد تنتج السلطة القهرية في الانسان الفوضى ويحاول تدمير القيود المفروضة عليه ، أي تخرج الانسان الرافض .

النمط الثاني من التربية السلطة الاخلاقية (سلطة الاقناع) وهي من انواع القوة الاخلاقية مارسها الدين ، الاقناع هنا غير مرتبط بالمحاكمة العقلية لان هذا التعايش مع السلطة الاخلاقية يخلق لنا نوعاً ثانياً من البشر ، انساناً مقراً بمجموعة من الاشياء اقتنع بها ، اعتز بها واعتبرها نهائية واصبحت هي والامن النفسي شيئاً واحداً ، وأي خروج عن هذه القناعة التي جذب اليها تشعره بالتهديد .

لذا فهو يعيش ضمن هذه القوقعة التي رضي بها وسلم بصلاحيتها ويشعر بالتهديد اذا ما حاول الخروج منها قليلاً . وقد يقود هذا النمط من السلوك إلى ان ينقلب الشخص المقتنع ـ لحرصه على الاحتفاظ بقناعاته ـ لشخص متعصب ، وتنقطع الصلة بينه وبين الذين قد لا يدخلون معه في نفس هذه القوقعة ، وقد تتحول الشخصية المتعصبة إلى شخصية اتكالية على عقيدتها ان لم تكن على الذين يقودون هذه العقيدة ولهذا فالمتعصبون دائماً هم اناس يشعرون بالتهديد والعلاقة واضحة بين الشعور بالتهديد والتعصب في علم النفس .

النمط الثالث من السلطة المشتقة من المعرفة.

هي التي تخرج لنا الانسان العقلاني المبرأ من الخنوع أو الشعور بالتهديد والتعصب وهو يتقيد بالسلطة تقيداً اختيارياً، ويعمل هذا الشيء لانه يعي أنه الشيء الصحيح .

نحن عندما نقف عند الاشارة الضوئية الحمراء في منتصف الليل وليس هناك شرطي مرور نفعل هذا لان لدينا وعياً بأن هذا النظام في النهاية هو لمصلحة الجميع

ولانه ضمان لي من الحوادث أو من اعتباري خارجاً عن القانون .

بعد هذا يبقى السؤال :

أي مجتمع تمارس فيه السلطة الابوية وأي صورة يحملها الاباء عن انفسهم (وقد ذكـــر الاخوة بان الاباء لا يدخلون في تنافس مع ابنائهم) ولكن في رأيي أن الاباء في حالات معينة يدخلون في تنافس مع ابنائهم ، وعلماء النفس والمراهقة يشيرون بصورة خاصة إلى الحالات التنافسية التي تقع بين البنات والامهات عند الاقتراب من سن المراهقة والرغبة في التبرج واظهار الجمال فالام تنصح ابنتهـا ولكن هذه لا تسمع النصيحة (لا تلبسي كذا لا تتبرجي) ونتيجة حالات مسجلة نجد أن كثيراً من الامهات يمنعن بناتهن من عمـل أشياء معينة لانهن يحسسن في داخلهم بالمنافسـة حيث أنها في الـ ٤٠ من العمر وابنتهـا في ١٦ ، لذلـك فهي تتذرع بالنصيحة لتقي نفسها من هذه المنافسة .

والاب يفعل نفس الشيء فسهرات الاب لوحده وسهرات الابن لوحـده حتى لا يطالب الابن أن يفعل ما يفعله أبوه .

والذي يحصل في مجتمعات معينة أن يحمـلان صورة عن أنفسهم لا تجيـز لهـما السلطة على اولادهم وهمـا قطعـاً يمـارسـون نـوعـاً من السلطة ولكن ليس سلطة القهر ولكن سلطة الاقناع وهما يبصران الولد والبنت بعواقب ما يمكن أن يقع لهم ثم يكون سلوكهم مرتبطاً بنفس السلطة التي يفرضونها على ابنائهم ، وهذا اسلم أنواع السلوك لو امكن تحقيقه في مجتمع ما وهو يعني تخلي الاب عن تسلطيته وليس عن سلطته .

هل عالم الطفولة يكسره الكبار وهل يمكن أن ينمو الطفل بعيداً عن سلطة الكبار هذا سؤال طرحته البشرية وكان العرب ابرع من اجاب عليه ، (ابن طفيل في حي بن يقظان تصور أن طفلاً يوجد في جزيرة في مكان مهجور فكيف يكتشف

الكون ويكتشف الله والنظام الطبيعي (ولن ندخل في التفاصيل) .

كنا هناك تصور فلسفي هو أن أبن طفيل وغيره من المسلمين قالوا أن في للانسان عقلاً فطرياً يهديه إلى معرفة إله واحد وقانون الكون دون الحاجة إلى السلطة وان وجدت فهي مصدر من مصادر المعرفة وان لم توجد فان الانسان يمكن أن يهتدي للحق بعقله وكانت هذه هي بؤرة الصراع بين النقليين المسلمين والعقليين المسلمين وهي بؤرة ضخمة تحولت إلى دوامة .

السيد عبدالرزاق البصير :

الاحظ أن هناك حاجة لدراسة ميدانية دقيقة واسعة لان معالجة الطفولة مختلفة في الوطن العربي والحقائق العلمية تبنى على معرفة كيفية التربية .

وأنا عايشت الجيل الماضي والجيل الحاضر . والطفرة التي مرت بها الكويت جعلت اسلوب التربية والمعاملة في الكويت يختلف في الحاضر عنه في الماضي . بل أن الاجيال الجديدة اختلفت تماماً . . . من اكتساب اللغة إلى نظام التفكير حتى اللعب اختلف الآن عنه في الماضي . والالعاب في الماضي اندثرت وهذا شيء معروف وله تأثيره في قضية الطفولة والمعاملة . والسلطة تنوعت واختلفت فالنشأة القديمة حتى قبل ٢٠ سنة غير النشأة الحديثة ، ويمكن التحول من نوع إلى نوع حسب انتشار التعليم . الاب تنازل كثيراً وأكثر الوالدين اعترفوا ان الزمن تغير وأن تغير الحياة حصل .

وأقترح أن تقوم الجمعية بدراسة في هذه المنطقة وبغيرها حتى تفرق بين ما يجري واقترح قيام الجمعية بالاطلاع على البحث التي قامت به وزارة الشئون الاجتماعية في هذا الصدد .

د . اسعـد عبـدالرحمـن :

هناك لدى البعض نوع من محاولة التفسير الذي يتخذ احياناً التحليل احادي الجانب .

ما هي قيمة ما طرح من آراء لتؤكد بذهني مفاهيم ربما تتعلق بالسياسة أو التربية أو المجتمع .

حول الابعاد المتعددة لاي ظاهرة من الظواهر ، مثال حول عملية الشد حول احادية التفسير وتعدديته حول السن المبكر وما هو مقدار اهميته ، وعندما نقول اساسي وثانوي ما هو حقيقةً المقصود بذلك وما وزنه ، حتى لو اردنا وضعه في نسبة مئوية فانه في تقديري الشخصي هناك اشكالية اساسية وهي على مستويات متعددة اشير هنا إلى ٣ مستويات .

مستوى الجهد الواعي الذي يمكن أن يقدم في مجال التنشئة بشكل عام ، نلاحظ من قبل تعليم الوالدين أو العائلة بشكل عام الجهد الواعي من قبل المجتمع عبر سياسة الدولة وسياسة التعليم ، وهذا كله يشكل مستوى واحداً .

الثاني : والواقع احياناً وبغض النظر عن الجهد الواعي المبذول على مستوى العائلة أو المجتمع هناك ما يسمى بالثقافة السائدة عائلياً ، وما يمكن تأثيره على الطفل ومن عائلة لعائلة تختلف عملية التأثير على الطفل تبعاً للثقافة الموجودة داخل العائلة ، ونلاحظ الفرق ما بين ابين خاضعين لثقافة أوروبية أو اسلامية أو انتماء أي منهما لثقافة مختلفة ، بكل ما يمكن خلقه من تمزق في حالة الطفل ، ثم هناك الكم المجتمعي عند خروجه من العائلة حيث مورس جهد في التربية ثم يخرج للمجتمع مختلفاً بطريقة عصرية عن جو العائلة .

كم يا ترى حجم التأثير ؟ وهل نستطيع أن ننكر أن هناك تأثيراً للثقافة المجتمعية والمفصولة تماماً عن التوجيه الحاصل . وهنا تأتي اهمية الثقافة السائدة في

مجتمع من المجتمعات سواء اعتبرت ثقافة طبقية أو ثقافة استطاعت أن تنفذ إلى داخل خلايا المجتمع .

مثال : (المسيحيين الاقلية نجدهم يضطرون إلى التصرف والتحرك كما لو كانوا مسلمين نتيجة لهيمنة الثقافة المجتمعية السائدة وهي الاسلامية) .

المستوى الثالث : لا شك أن للعامل الوراثي دوراً ـ ما هو حجمه ؟ لا نستطيع القول أن العامل الوراثي عامل معمل (حيث أننا نجد أن طفلين في عائلة واحدة ونجد أن كلاً منهما يخرج ذا استعدادات مختلفة في المجتمع ، رغم وجودهما في المدرسة معا ، وفي المجتمع كذلك ولكننا نجد أن واحداً منهم منزوٍ والآخر على العكس) .

السؤال : العامل الوراثي ألا يلعب دوراً مهماً (ان لم يكن اساسياً في هذا النطاق ؟) .

د . قاسم الصراف :

شخصية الطفل وتأثير التنشئة الاجتماعية في شخصية الطفل ، هذا التأثير سأنظر له من الجانب الفسيولوجي ، فاذا نظرنا إلى الطفل من الجانب الفسيولوجي ، أي من حيث تكوين الجهاز العصبي بعد الولادة يظهر تأثير البيئة على هذا الجهاز . . . ونحن نعرف ان حجم الدماغ عند الولادة هو ٣٣٠ جم وهذا الوزن يمثل ٢٠٪ من وزن الدماغ الراشد ، فالطفل يأخذ نحو ٤/٥ دماغه من البيئة وخصوصاً لو نظرنا في السنوات الأربع الاولى من نمو الطفل نجد ان هذا الوزن يقفز من ٣٣٠ جم إلى ١١٦٤ جم في سن ٤ سنوات أي ما يقارب ٤ امثاله بعد الولادة .

وهنا نرى دور البيئة وخصوصاً من الناحية الغذائية لذلك نرى اطفال العالم الثالث يموتون (ثلاثة ارباع العدد) في هذه السنوات لان الدماغ لم يأخذ حاجته

الكافية وبالتالي لا يستطيع قيادة النمو فيموت الطفل ، نمو شخصية الطفل لا يعتمد فقط على الدماغ وانما الدماغ في الانسان هو الدفة والجهاز الرئيسي الـذي يسير الانسان ويسير حياة الفرد .

لو نظرنا إلى الجانب المعنوي نرى من حيث فقر البيئة بالمميزات الغذائية واذا كانت البيئة فقيرة من ناحية المثيرات فلا شك أن محيط البيئة سيكون ضيقاً ونحن نرى أن معظم علماء النفس دائـماً يؤكدون أن شخصيـة الطفـل تنبثق من درجة التفاعل بين الطفل والبيئة اذا كانت البيئة ضيقة ومحدودة من حيث المؤشرات هذا التفاعل إذن سيكون محدوداً وبالتالي البصمات التي يتركها هذا التفـاعل ستكـون محدودة وبالتالي شخصية الطفل في السنوات الاولى ستكون محدودة .

اذا نظرنا إلى نظرية اركسون في الشخصية بالنسبة للطفل يقول اركسون في السنتين الاوليين ينشأ عند الطفل ما يسمى بأزمة ثقة أو فعالية الاحساس بعدم الثقة . الطفل ينظر إلى من حوله والى مكوناته فاذا كانت حاجاته ملباة بالـراحة الجسدية اذا اشبعت هذه الحاجات شعر الطفل بالثقة بينـه وبين البيئـة وبالتـالي اصبحت هذه البيئة هي مشبعة لحاجات الطفل ، اما اذا كانت هذه البيئة فقيرة وكان القائمون على تربية الطفل لا يعرفون ما هي المثيرات التي يجب تقديمها للطفل في هذه الحالة ، هنا يبدأ الطفل ويحس بعدم الثقة ، ونحن نعرف أن الطفل يحس احساساً فيبتسم اذا كان راضياً ويصرخ اذا لم يكن راضياً ، لذا نجد أن الطفل عنده استعداد وفي نفس الوقت التفاعل ظاهر بينه وبين البيئة .

هذه النقطة تقودنا إلى السؤال/ ما هي السياسة التربوية المتبعة عندنا في العالم العربي لتربية الطفل ، نرى في العالم الغربي أو العالم المتقدم هناك سياسة تربوية محددة اي مفهومة من قبل المدرسة والاسرة والمؤسسات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، لذا لا نرى هناك تذبذباً في معامـلة الطفل ، وهنا في العالم العربي نرى اذا دخلنا أي بيت نرى هذا التذبذب واضحاً في معـاملة الاب التي تختلف عن

معاملة الام للطفل واذا قال الاب شيئاً تناقضه الام ، لذا فأن الطفل يحتار في هذه المرحلة ازاء هذه المثيرات أو المؤثرات هل الاب صادق أم الام أو الاخرون ، وحتى اجهزة الاعلام التي تدخل للبيت نراها عاجزة عن تحديد سياسة معينة للوالدين بحيث يستطيع الوالدان القيام بدورهما خير قيام .

د . اسامـــه الخولـــي :

لي ملاحظتـان بشأن السلطة الابـوية والاتكـالية ، ويبـدو لي على الاقـل الاتكالية ليست سمة للخليج فقط وانما للعرب ، ويبدوا أن الاتكالية اتخذت شكلاً اخيراً يتناقض والسلطة وهو لا يعني التسليم بالسلطة ويبدو لي انتزاعاً للسلطة من اصحاب هذه السلطة ، ونفرض العناصر المتكاملة نفسها فرضـاً على اصحـاب السلطة وبهذا ننتزع قدراً منهم .

الملاحظة الثانية : كيف نخرج من هذه الحلقة المفرغة خصوصـاً في اطار الحديث في هذه الجمعية ، شد انتباهي ملاحظة قالها الدكتور ابراهيم عثمان وهي خاصة بظاهرة فريدة وهي تداخل تأثيرين في مرحلة مبكرة .

وهي تدخّل المؤسسات الرسمية بشكل أكثر وأوضح وفي سن مبكـرة من خلال تطور اجهزة الاعلام ، فهل يعني هذا أن هذا مدخل يستحق من الجمعية النظر فيه وأن نرى امكانية ان يكون وسيلة لتحقيق اهدافها ؟ .

د . عبـــدالله الدنـــان :

عنـدما نتكلم في نـاحية تكـون اللغة قبـل سن السادسـة ، وهي الشيء الاساسي الذي ينظم التفكير بالنسبة للطفل مستقبلاً واختلف مع بياجيه في هذه النقطة ، لاني اتفق مع كومسكي الذي نشر كتابه قبل عام ١٩٤٠ وعندما اطلع بياجيه على كتاب كومسكي عام ١٩٦٢ قال انه اتفق معه تماماً .

ونقطة الخلاف بينهما ان الكلام الداخلي هو امتصاص لنظام الكلام الخارجي .

عندما يبدأ الطفل في سن الثالثة بالتفكير يكون تفكيره مسموعاً ، يفكر بصوت مرتفع . يقول بياجيه أن هذا الكلام يختفي في المستقبل . كومسكي يقول أن هذا الكلام يدخل للداخل وهو الوسيلة التي يفكر بها الانسان مستقبلاً ، الكلام الداخلي يمكن أن يكون اداة فعالة في المستقبل الا اذا كان مبنياً على ما سبق ، بمعنى اذا تغيرت لغة الطفل بعد سن السادسة (تغيير لغة التفكير عنده) فان هذه النقطة لديه تضطرب اضطراباً كبيراً لان القدرة التفكيرية الاستيعابية لايمكن ان تستقيم بدون استقامة الموضوع اللغوي الذي اساسه الانسجام مابين اللغة قبل سن السادسة وبعد سن السادسة فاذا كانت شخصية الطفل مبنية بناء حقيقاً يجب أن يكون هذا الانسجام رائداً لا بدائل له .

من المعرفة العقلية التي لا يمكن أن تكون مبنية على ما سبق مثل الرياضيات فلا يمكن مثلاً اعطاءه هذه المادة في سن معينة .

نقطة اخرى : الطفل ليس راشداً ولكن عنده استعداد والمجتمع قوة أخرى ، هو لديه قوة ولديه استعداد ايجابي وهذه قوة وليست استعداداً سلبياً ، هذه القوة التي عند الطفل اذا دعمت في اتجاهات ايجابية من المجتمع فان المحصلة تكون تربية ممتازة .

عندنا في فترة ما قبل السادسة الاستعداد الهائل لتعلم اللغة ولغة العلم ليست عندنا اللغة الفصحى . وفي سن السادسة نحن نعطيه الفصحى وهناك اختلاف بين الفصحى والعامية (مثال : سأل مدرس احد التلاميذ عن عدد سكان الكويت وكلمة سكان باللغة العامية الكويتية معناها مقود السيارة ، فظل التلميذ محتاراً لمدة تزيد عن الاسبوع في كيفية معرفة عدد السيارات الموجودة وعدد المقاود

اذاً ليتنا ننتبه إلى هذه النقطة في تربيتنا لطفلنا العربي ونوليها اهتماماً كبيراً .

النقطة الاخيرة : الطفل مبدع ، ولكن هذا الابداع الحقيقي يجب توجيهه نحو الابداع اللغوي .

مرة اخرى اقول ليتنا نولي هذه النقطة اهتماماً كبيراً .

تعليق د . هشام بعد انتهاء الاسئلة :

بلا شك أن الملاحظات التي طرحت في غاية الاهمية ، أثرنا عدداً من أهم القضايا المتعلقة في موضوع شخصية الفرد ومواضيع التنشئة . العوامل التي تفعل ذلك على الصعيد المنهجي . بلا شك هناك ضرورة لان نكون واعين في نشاطنا الفكري للفرق بين مستوى النظرية ومستوى النشاط الميداني ، نحن بصدد مؤسسة علمية تشعر بالمسئولية الاجتماعية الوظيفية ، ولسنا مجرد مجموعة اكاديمية تعالج المشكلة من ناحية علمية ، عندما نثير قضايا منهجية علمية انما تثار من ناحية الاهتمام العميق أو القلق العميق للموضوع (موضوع البحث) . علاقة النظرية بالممارسة الميدانية ـ لا يمكن أن تعمل كمؤسسة وكعلماء على الصعيد الانساني دون الاستمرار .

مع غياب النظرية الواضحة لا يمكن ان نجعل من اطنان الحقائق الميدانية ما يمكن استعماله ميدانياً .

ملاحظة (الوراثة والبيئة)

هذا الموضوع مشكلة ما زالت تعالج منذ (لامارك وسبنسر) الذي أخذ على عاتقه الدفاع عن داروين (في الحقول المختلفة والعلوم) بلا شك الوراثة لها أهمية كبرى ولا نعرف كلياً مدى تأثير الوراثة ، انما اهتمامنا الاجتماعي يجعلنا ننصب على البيئة أكثر من الوراثة ويجعلنا لا ندخل في هذا المشكل النظري الذي له

متشعبات عديدة على المستوى .

والموضوع الذي طرح موضوع محدد ، التنشئة الفردية والتنمية العائلية .

ما أردت الا وضع الاطار والاشارة إلى بعض الاوجه في هذه العلاقة وما يربط بينهما اجتماعياً . ما اردت هو تأكيد اهمية المجتمع والثقافة التي لا يمكن أن يثار بدونها هذا الموضوع والتكلم عن الطفل والوالد والعائلة .

نحن نريد فعل ثلاثة أشياء :

أولاً : توعيةً على اطار اجتماعي عام .

ثانياً : البحث العلمي وهو ما نفعله في مؤسسة علمية .

ثالثاً : تثقيف خاص للام الامية (لان المفتاح الاخير في يد الام ـ سواء أمية أم غير أمية) .

الندوة الثالثة

الطفل العربي المعاصر
ومشكلة الاغتراب الثقافي

كانون الثاني - يناير ١٩٨٤

النـــــدوة الثالثـــــة ١٩٨٤/١/٣٠

موضوع الندوة : الطفل العربي المعاصر ومشكلة الاغتراب الثقافي

المتحدث الرئيس : الدكتور قاسم الصراف
المعقب : الدكتور شاكر مصطفى
رئيس اللجنة : الأستاذ جاسم الخرافي

المشاركون

١ ــ د. ابراهيم العثمان	جامعة الكويت
٢ ــ د. احمد عبد الله	جامعة الكويت
٣ ــ د. باسم سرحان	جامعة الكويت
٤ ــ د. بدر العمر	جامعة الكويت
٥ ــ د. حسن الابراهيم	رئيس الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية
٦ ــ د. عبد الرضا اسيري	جامعة الكويت
٧ ــ السيد عبد العزيز الطلبي	مخرج جزائري
٨ ــ الآنسة لولوة القطامي	رئيس الجمعية الثقافية الاجتماعية النسائية

الطفل العربي المعاصر ومشكلة الاغتراب الثقافـــي

المقدمـــــة :

يعاني الطفل العربي من مشكلات كثيرة في الوقت الحاضر ، ومن أبرز هذه المشكلات قضية الاغتراب الثقافي وما يصاحبها من انعكاسات على سلوك الطفل وشخصيته ، ولكي نعطي هذه القضية اهميتها لابد من التعرف عليها لكي نستطيع ان نتلمس حقيقة من هو المغترب ممن : أهو اغتراب الطفل من ثقافته ، أم اغتراب الثقافة من الطفل ؟

فشعور الطفل العربي اليوم بأن الواقع مغاير للتوقع يعتبر من أهم المسببات التي تؤدي إلى الاضرار بالطفولة ، والى اغتراب ذاتي للطفل عن واقعه المرير ، والى تعويض لوجود مستقبل اكثر اشراقاً واستقراراً .

وعلى هذا فهذه الورقة مساهمة في ازدياد فهمنا وادراكنا لظاهرة الاغتراب الثقافي كقضية على قدر كبير من الاهمية للقائمين على تربيـة النـشء في المجتمع العربي المعاصـر ، ومحاولـة لإلقاء بعض الضـوء على مفهـوم الاغتراب وابعـاده ومسبباته .

ماهيـــة الاغتـــراب :

نحن لا نملك مفهوماً محدداً لظاهرة الاغتراب في ثقافتنا العربية ، وحتى في ثقافة الغرب ليس هناك طريقة محددة للاغتراب . ولو رجعنا إلى الابحاث الحديثة

عن الاغتراب لرأينا بأن هناك خلطاً فكرياً حول تحديد تعريف مناسب لـظاهرة الاغتراب ، وعندما يتكلم المرء عن ظاهرة الاغتراب فانه في الحقيقة يتكلم عن العناصر التي يتكون منها مفهوم الاغتراب ، وهذه العناصر التي تفسر الاغتراب من وجهة النظر الاجتماعية ـ النفسية ، تتكون من الاتي :ـ

١ ــ العجـــز Powerlessness :

وهو شعور الانسان بأن مصيره ليس في يده ، وانما تحدده قـوى وعوامـل خارجية كالقضاء والقدر والحظ ، اي الايمان بالسيطرة الخارجية على مجرى حياته . وهذه هي النظرة الماركسية لظاهرة الاغتراب .

٢ ــ الــلامعنــى Meaningless :

وهو احساس الفرد بأنه لا معنى لوجوده في الحياة ، وان الحياة خاليـة من الاهداف .

٣ ــ نقص المعايير Normlessness :

وهو عدم التزام الفرد بالمبادىء والمعايير السلوكية للمجتمع ، والشعور بعدم الايمان والثقة بالمجتمع والمؤسسات الاجتماعية .

٤ ــ التباعد الثقافي Cultural Estrangement :

وهو شعور الانسان بتباعده عن ثقافة المجتمع ، ويظهر في تمرد المثقفين أو الطلاب ضد المؤسسات التقليدية في المجتمع .

٥ ــ العزلة الاجتماعية Social Isolation :

وهو احساس الفرد بالوحدة والابتعاد عن العلاقات الاجتماعية السائدة في المجتمع .

٦ ــ الغربة عن الذات Self - Estrangement :

وهو تباعد الفرد عن ذاته ، ويمثل هذا الشعور الفكرة الرئيسية لظاهرة الاغتراب .

ورغم تعدد مفاهيم الاغتراب بشكل عام ، الا أن مفهوم الاغتراب الثقافي يمكن أن يدل على :ـ

ــ علاقة الفرد بثقافته .

ــ هذه العلاقة تتصف بنوع من أنواع الانفصال .

ــ وتنطوي على حالة ذاتية للفرد في وقت معين .

ــ وتكون فيها الثقافة باعثة على الاحباط .

اذن الاغتراب الثقافي هو رفض الفرد للواقع الثقافي

هل من الممكن للطفل أن يرفض كلية الواقع الثقافي لمجتمعه ؟ هذا سؤال ليس من السهل الاجابة عليه ، لأن الرفض الكلي لثقافة المجتمع معناه الانزلاق في متاهات الفوضى ، ولا أعتقد أن هناك شخصاً واحداً يستطيع أن يحرر نفسه كلية من ثقافة مجتمعه .

ان القيم التي يغرسها المجتمع في الطفل من خلال التربية والتعليم تصبح جزءاً من تفكيره وعواطفه وسلوكه ، بحيث أن أية ثورة على هذه القيم والمبادىء تصبح ثورة على النفس ، وبالتالي يصبح الطفل ضحية لانفعالته الذاتية .

تظهر بوادر الاغتراب الثقافي لدى الطفل في السنين الأولى عندما يحاول رفض الاوامر التي تأتيه من الوالدين ، وكأنه يريد بذلك أن يتحدى السلطة الاجتماعية المتمثلة في مجموعة الاوامر والنواحي التي تلقى عليه .

والاغتراب الثقافي لدى الطفل يمكن ان يمتد بعد ذلك ليشمل كل ما يقوم به من تفكير وسلوك ، كما هو الحال بالنسبة للجانحين ، فالجنوح له علاقة وثيقة بما يسمى بالاغتراب الثقافي ، فعندما تسوء العلاقة بين الطفل ومجتمعه ، يريد الطفل من المجتمع أن يدفع ثمن هذه العلاقة السيئة ، فيقوم الطفل بدوره بالاعتداء على المجتمع تعبيراً عن سخطه وعدم رضاه .

وهذا الرفض من جانب الطفل للمعايير الاجتماعية للسلوك يمكن أن يؤدي فيما بعد إلى ما يسمى بالأنومي ، Anomie والأنومي هو نقص الالتزام بالمبادىء والمعايير الاجتماعية للسلوك ، وهو الاساس الذي ينبع منه الاغتراب ، والأنومي يقود إلى الثورة على الأوضاع.للاجابة على هذه التساؤلات لابد من النظر إلى النقاط التالية :ـ

١ ــ يعتبر الاغتراب جزءاً لا يتجزأ من الحياة الانسانية ، وهو يقع في صلب التفكير الديني والفلسفة الوجودية ، وعلى هذا يكون الاحساس بالاغتراب محتملاً لكل فرد .

٢ ــ يعتبر الاغتراب عنصراً متصلاً بالبيئة الاجتماعية ـ الثقافية للفرد وعلى هذا يصعب على المرء التهرب من الوقوع في ظاهرة الاغتراب .

٣ ــ طالما تعتمد شخصية الطفل على التفاعل بينه وبين بيئته ، هذا التفاعل من شأنه احداث مواجهة مع البيئة وبالتالي الاحساس بالاغتراب الثقافي تجاه بعض المثيرات التي تحدد عناصر البيئة .

٤ ــ يلعب الاحساس بالاغتراب دوراً أساسياً كآلة دفاعية ضد الصراعات الداخلية للانسان .

٥ ــ ظاهرة الاغتراب الثقافي تنشأ عادة مع مرحلة سن المراهقة ، الا أن هذه

الظاهرة يمكن حدوثها للأطفال بصورة غير مباشرة ، أي من خلال الوالدين والمدرسين والقائمين على تربية الطفل .

أي أن احتمال احساس الطفل بالاغتراب الثقافي وارد نتيجة وجوده في بيئة معينة ، وتستطيع البيئة المساهمة في خلق الاغتراب الثقافي لدى الطفل من ناحيتين :-

(أ) اذا كانت البيئة على درجة كبيرة من التعقيد بحيث لا يستطيع الطفل بامكانياته وقدراته المحدودة التوافق والتلاؤم مع متطلباتها .

(ب) اذا كانت البيئة غير سليمة تربوياً ، بمعنى انها تعيق عملية النمو الطبيعي في الطفل .

وتخليص الطفل من الاحساس بالاغتراب في هذه الحالة ليس بالأمر الهين ويتم ذلك عن طريقين :

أولهما : هو تغيير برمجة الطفل ، أي تغيير اساليب التنشئة الاجتماعية للطفل .

وثانيهما : هو تغيير الفلسفة التربوية للمجتمع .

والعنصر الثاني يحتاج إلى اتفاق شامل بين المؤسسات التربوية والاجتماعية والاقتصادية على نوعية الفلسفة التربوية التي تخدم أهدافاً موحدة ومتفقاً عليها من قبل المجتمع ، وهذا بالطبع يعتبر أمراً في غاية الصعوبة ، اذ كيف يمكننا مثلاً تغيير مجتمع دكتاتوري متسلط إلى مجتمع ديمقراطي متعاون ، وعلى هذا ففي بعض المجتمعات يصبح الاحساس بظاهرة الاغتراب أمراً مألوفاً لدى الأفراد .

مسببات الاغتراب :

ان الطفل العربي يعايش صراعاً بين عصرية الجيل الحاضر وتقليدية الجيل

القديم ، وهذا الصراع يفتح أعيننا على حقيقة يجب ادراكها وهي : ما هو واقع الطفل العربي المعاصر ؟

لو نظرنا إلى واقع الطفل العربي اليوم لرأيناه واقعاً مهترئاً على أكثر من جبهة ، ولعل الثقافة العربية هي الأخرى مسئولة عن تدهور هذا الواقع . فلو تكلمنا مثلاً عن مفهوم « الزمان » في هذه الثقافة لرأيناه من العناصر المسببة لظاهرة الاغتراب الثقافي عند الطفل العربي المعاصر ، فالزمان في الثقافة العربية دائم الاتصال بالماضي ، أو قد يمتد ليقف عند الحاضر وقلما يتطرق إلى المستقبل ، وحتى اذا تطرق إلى المستقبل فأنه لا يتردد من أن يلبسه ويغلفه بثوب الماضي .

فالطفل العربي يعاني من هذه الظاهرة ، فهو بحيويته وعفويته يحاول الانطلاق إلى آفاق المستقبل (طفل اليوم هو رجل الغد) ولكن القائمين على تربيته يحاولون دائماً شده إلى الماضي ثم الزامه بالتوقف عند الحاضر ، ومنعه بشتى الطرق من الاندفاع إلى المستقبل .

وهكذا نرى ان في التربية العربية فرضاً للحظر على المستقبل في تنشئة الأبناء ، وبالتالي الحد من نشاط الطفل وحيويته أو القضاء عليهما بشتى الطرق والاساليب . ومن هنا فأن التربية تصبح تكراراً للماضي ويصبح الأطفال نسخاً قديمة مكررة وظلالاً للآخرين ، وهذا الارتباط بالماضي من شأنه توليد الاحساس بالاغتراب الثقافي لدى النشء الذي يتطلع نحو الأفضل والأحسن .

ومن ناحية أخرى لو نظرنا إلى الثقافة وما تقدمه لاطفالنا لوجدنا مثلاً أن قصص الأطفال التي تزخر بها كتب القراءة كلها تقدس العظمة والقوة والبطش الأمر الذي آدى إلى أن تصبح حكوماتنا حكومات فردية متعطشة إلى السلطة والبطش (التمسك بالسلطة من صلب الثقافة) .

من هذا يتضح أن مشكلة الاحساس بالاغتراب الثقافي لدى الطفل العربي

ليست بالضرورة مشكلة مرضية في المقام الأول ، حيث تصبح مشكلة التمرد على الأوضاع تعبيراً عن حيوية الطفل واستقلاليته ، ويبقى الصراع قائماً بين الجمود وبين التجديد ، فاذا كانت الثقافة تفتقر إلى الحرية لرسم خطوط المستقبل ، فأن هذه الثقافة تصبح جامدة وتجمد معها كل شيء ، لكن يصبح التفكير بالمستقبل كفراً والعمل من أجله خروجاً على المألوف والقانون ، وتولد الدنيا لتموت من جديد كل يوم وهكذا تسير الأمور دواليك .

ان مسببات الاغتراب الثقافي لدى الطفل العربي لا تقع لان الطفل هو العنصر المغترب عن ثقافته ، وانما العيب عيب الثقافة نفسها لأنها غريبة عن واقع الطفل أو عاجزة عن تلبية متطلبات نموه . وهذا النوع من الاغتراب يسمى « بالاغتراب الموضوعي Objective Alienation » ويساهم في الاغتراب الموضوعي مجموعة من المؤسسات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والايديولوجية والبيروقراطية عندما تفرض على الطفل مجموعة من المؤثرات تكون غريبة على طبعه وميوله ، ودخيلة على واقعة .

وعندما يكون العيب في الطفل نفسه ، أي يكون الطفل غير قادر على التوافق والتكيف مع الأوضاع ، يعاني الطفل من الاحساس بما يسمى بـ « الاغتراب الذاتي Subjective Alienation » وهذا النوع من الاغتراب يمثل الفكرة الرئيسية لظاهرة الاغتراب الثقافي والطفل العربي يمكن أن يصبح ضحية لتأثير الثقافات الاجنبية فالطفل الذي لا يتعرض إلى الثقافات الأخرى فأن تمسكه بثقافته قد يؤدي إلى اضعاف ظاهرة الاغتراب الثقافي عنده ، أما الاطفال الذين يتعرضون إلى تأثير الثقافات الاجنبية . فالاحساس بالهوية الثقافية عندهم يصبح ضعيفاً . ومن ثم يصبح الاغتراب الثقافي أكثر احتمالاً ، وخاصة اذا كانت الثقافات الاخرى تملك من الوسائل التقنية الحديثة ما تستطيع معه أن تغزو عقول الصغار وقلوبهم .

إن السؤال الذي يفرض نفسه هنا هو :

- ما هو موقعنا من الاغتراب الثقافي في هذا المجال ؟ .
- كيف نستطيع أن نمنع تأثير ثقافات الدول الأخرى في الاحساس بالهوية الثقافية عند الطفل العربي ؟ .

ان الاجابة على هذه الاسئلة ليست بالأمر اليسير في عصر أصبحت السيطرة فيه للعلم والتكنولوجيا .

ان الامر يتطلب العمل الجماعي على وضع استراتيجية ثقافية معينة لحماية اطفالنا من التلوث الثقافي ، ولا مانع من أن نستوعب الثقافات الأخرى وندمجها في ثقافتنا لتقويتها كي تساير التقدم العصري بحيث لا يشعر اطفالنا بأنهم مبدعون عن سير ركب الحضارة الانسانية في العالم المتقدم .

ان ظاهرة التفاعل الثقافي بين ثقافات العالم شكل من أشكال التواصل الثقافي بين شعوب الأرض ، هذا التواصل يجب أن لا ينقطع مع اخذ الحيطة والحذر بأسباب ومصادر التلوث الثقافي الذي يستهدف الهوية الثقافية ، وهنا لابد من العمل بالتخطيط الثقافي لاحتياجاتنا الثقافية في شتى المجالات، على أن يكون هذا التخطيط مبنياً على العلم والتكامل والنظرة المستقبلية لكي يعم الاجيال وعي ثقافي ناضج .

المراجـــــع

ـ زكي نجيب محمود : **ثقافتنا في مواجهة العصر** ، القاهرة : دار الشروق ، ط ٢ ، ١٩٧٩ .

ـ طلعت منصور : دراسة تحليلية للأحساس بالهوية الثقافية عند الناشئة العرب : بحث ميداني في المجتمع الكويتي

ندوة ثقافة الطفل في المجتمع العربي الحديث

(نظمها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالتعاون مع الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية) ، الكويت ، نوفمبر ، ١٩٨٣ .

— Geyer, R. Felix : Alienation Theories, Pergamon Press, New York, 1980.

— Schaff, Adam : **Alienation As a Social Phenomenon,** Pergamon Press, New York, 1980

تعقيب الدكتور شاكر مصطفى

أحسبني في غنى عن امتداح الفكر النير المنظم الـذي يتسم به بحث الأخ الدكتور الصراف ، فأنتم جميعاً تشهدون معي بذلك وتلتقون معي على تقدير جهده الطيب وعلى شكره الأوفى . . . فقد وفر علينا الكثير من النقاش ومن القول وأنه ليسعدني حقاً أن التقي به لأول مرة معكم في مثل هذا المستوى الفكري الرفيع من اللقاء لنتطارح الملاحظات والخواطر حول الموضوع . . . وأنا ليست لـدي بكل تواضع الا بضعة أفكار هي مجرد هوامش ، لعله ولعلكم معه ، تسمحون بها . . . فاغتراب الطفل الثقافي أكبر من أن يعبر على هون وأجلّ من أن يطوى كطي السجل للكتب . . . كما بدأنا أول خلق نعيده .

وهوامشي . . . ان حاولت ضغطها في المدى المحدود البرقي ـ مجموعتان : المجموعة الأولى تتعلق بالبحث المقدم . . . والمجموعة الأخرى تحوم حول أسسه ومنطلقاته .

في أطار المجموعة الأولى تحوم في البال اسئلة لست أشك في أن صدر أخي الزميل سوف يتسع لها فهي تكملة لآرائه ومنظوره . . . فاذا تركنا جانباً نظريات كينستون وشيامبرغ وتحليلات الموسوعة البريطانية وما أوردت من عناصر الاغتراب الاجتماعية ـ النفسية . . . كلها تحلل الاغتراب الثقافي للراشدين وفي الغرب لا علاقة لنا بها يبقى السؤال الملح الأساسي هو ماذا نقصد باغتراب الطفل . . ؟ ما الاغتراب بالنسبة للطفل . . ؟ وما الطفل في أطار الاغتراب . . ؟

البحث يحدد الاغتراب الثقافي بأنه رفض الفرد للواقع الثقافي ويسأل : هل من الممكن للطفل أن يرفض كلية الواقع الثقـافي لمجتمعه . . ؟ ويجيب بـأن هذا السؤال ليس من السهل الاجابة عليه لأن الـرفض الكلي لثقـافة المجتمـع معناه

الانزلاق في متاهات الفوضى وليس ثمة شخص واحد يستطيع أن يحرر نفسه كلية من ثقافة مجتمعه .

والسؤال : هل يستطيع أو هل يمكن للطفل أن يرفض الواقع الثقافي لمجتمعه . . ؟ أني أعتقد ان الطفل ـ وأضع هنا خطين تحت الكلمة ـ لا يرفض لأنه لا يملك حتى أن يقبل فالقبول والرفض منوطان بالادراك للذات وللآخر ثقافياً أن كل موضوع الاغتراب الثقافي ينتفي ويموت حين ننزل إلى ما دون الحادية عشرة أو العاشرة من العمر ، أي إلى سوية المدرسة الابتدائية . . . ان أخي الباحث نفسه متفق معي وقد ذكر أن الاغتراب لا يبدأ الا مع المراهقة . . . والمراهق وليس الطفل أن تجاوز مرحلة الطفولة . . . فلماذا نضع على لسان الطفل وفي مفاهيمه أكثر بكثير مما يملك أن يقول وأن يدرك . . ؟ ولا أقف عند قول الباحث أن مفهوم الاغتراب الثقافي يمكن أن يدل على علاقة الفرد بثقافته فلعله يقصد بالعكس أنه يدل على سوء أو انقطاع هذه العلاقة . . ؟ ولكن انتقل إلى السؤال الآخر . . الأهم : لماذا وقد عرفنا وحددنا وألحفنا في تعريف الاغتراب وتحديده لم نحدد ونعرف على المستوى نفسه ما هي الطفولة . . ؟ لماذا لا نحدد المجال العمري الذي نتحدث عنه . . ؟ لقد كان ذلك قميناً بأن يجنبنا الكثير من المزالق . . انه على الاقل سوف يمنعنا من فهم الطفل الفهم التقليدي من انه راشد متخير ، أو من معاملته على أنه رجل صغير . . ثم أنه على الأقل أيضاً كان يوفر علينا الانزلاق الآخر والحديث عن اغتراب الكبار ونحن نتحدث عن الأطفال . . . . ان الكثير مما في البحث جهد قيم وفي الصميم وجدير بكل اعتبار . . . ولكن في مجال الكبار لا الصغار . . . الستم معي في أن للأطفال عالمهم الآخر . . ؟ ثم ألستم معي في أن البحث يتصل بدنيا الراشدين وأنه يفتقد الطفل عنصره العام والاساسي . . ؟ أني لم أجده فيه . . . بحثت عن ضحكته وصخبه وركضه فلم أجد من كل ذلك الا الظلال .

نقطة أخرى : تأتي في البحث الجملة التالية : « تظهر بوادر الاغتراب الثقافي لدى الطفل في السنين الأولى عندما يحاول رفض الأوامر التي تأتيه من الوالدين وكأنه يريد بذلك تحدي السلطة الاجتماعية المتمثلة في مجموعة الاوامر والنواهي التي تلقى عليه . . . . ويعود الباحث إلى الموضوع نفسه ، في موضع آخر فيذكر أن مشكلة التمرد على الأوضاع هي تعبير عن حيوية الطفل واستقلاليته » .

« وأسال نفسي ترى : هل هذا هو الاغتراب الثقافي . . ؟ ان لم يكن فكل اعمالنا اغتراب في اغتراب . . . الذي أعرفه أن هذا التمرد وذلك الرفض أكثر من محاولة لاثبات الذات بالانفصال عن الآخر . . . . انها محاولة لبناء « الأنا » مقابل الآخرين والا فان الطفل ذو السنتين الذي رفض أن تطعمه أمه ويصر على أن يأكل بيده يمثل بادرة اغتراب . . والطفلة التي تصر في الخامسة أو الثالثة على اختيار ثوبها تدخل في الاغتراب . . . وتتسع عند ذلك العبارة الاغترابية لتشمل ما بين رفض ثدي الأم وحتى الجريمة ! فهل هذا حقاً ما نقصده . . ؟

نقطة ثالثة : يذكر أخي الباحث أن الاغتراب الثقافي لدى الطفل يمكن أن يمتد ليشمل كل ما يقوم به من تفكير وسلوك كما هو الحال بالنسبة للجانحين فالجانح له علاقة وثيقة بما يسمى بالاغتراب الثقافي . . فعندما تسوء العلاقة بين الطفل ومجتمعه يريد الطفل من المجتمع أن يدفع ثمن هذه العلاقة السيئة ويقوم بالاعتداء عليه تعبيراً عن سخطه وعدم رضاه » .

واتفق مع الدكتور الصراف بعلاقة بعض الجنوح ببعض الاغتراب الثقافي . ولكني أتساءل عن هذه العلاقة السيئة بين الطفل والمجتمع متى وكيف تكون وهو لما يدرك بعد كامل ذاته . . ؟ ولا وعى معنى الاغتراب ولا الثقافة ! وأكثر من هذا فالجنوح حالة مرضية تدخل في تكوينها عوامل عديدة والاغتراب الثقافي موقف فكري في الدرجة الأولى . . . ثم موقف ثقافي ، مدرك أو موهوم أو متخيل ، يشد المغترب ويفصله عن النسيج الثقافي الذي نشأ فيه ، شريطة أن يكون ثمة وعي على

درجة من الدرجات لما يرفض ولم يريد وأن لهذا الطفل الـوعي حتى في اضعف درجاته . . ؟

نقطة رابعة : تتصل بالسابقة ونراها في قول الأخ الباحث : « وهذا الرفض من جانب الطفل للمعايير الاجتماعية للسلوك يمكن أن يؤدي فيما بعد إلى ما يسمى بالأنومي وهو نقص الالتزام بالمبادىء والمعايير الاجتماعية للسلوك . . . والثورة عـلى الأوضاع . . . حـين تصل تـوقعات الافـراد إلى نقطة الصفـر فيعم عنصر الفـوضى والاضطراب» ويضـع البـاحث داخـل قـوسـين بعـد هـذه الجملة (الاضطرابات الأخيرة في كل مكان من تونس والمغرب دليلاً على ذلك) وبصرف النظر عن أن هذه الاضطرابات لا علاقة لها أبداً بالاغتراب الثقافي . . . ولكن بالاوضاع الاقتصادية وبالخبر اليومي وبالارهاب العام فان الموضوع ـ كما نلاحظ ـ قـد نقل كله من مستـوى الطفـل واغتراب الـطفل ثقـافيـاً إلى مستـوى الكبـار والصراعات الاقتصادية الاجتماعية . . . أو ليس أخي الباحث معي في أنها نقلة أكثر من واسعة . . ؟

نقطة خامسة : يذكر الباحث أن الاغتراب جزء لا يتجزأ من الحياة الانسانية وهو يقع في صلب التفكير الديني والفلسفة الوجودية وانه عنصر متصـل بالبيئـة الاجتماعية ـ الثقافية للفرد يصعب على المرء التهرب منه .

وأسأل هل يعني الباحث حقاً ذلك . . ؟ ولماذا . . ؟ أنه مجرد سؤال . . . وبالاضافة إلى هذا فان هذه النقاط التي ترد تحت عنوان مسببات الاغتراب لا تتصل بالطفل ولكن بعالم الكبار الراشدين . . أم تراني مخطئاً يا ترى . . ؟

نقطة سادسة : يقول الباحث : لو نظرنا إلى واقع الطفل العربي اليوم لرأيناه واقعاً مهترئاً على أكثر من جبهة . . . ولعل الثقافة العربية هي الأخرى مسؤولة عن تدهور هذا الواقع . . . فلو تكلمنا مثلاً عن مفهوم الزمان فيها لرأيناه من العناصر

المسببة لظاهرة الاغتراب الثقافي عن الطفل العربي . . . فهو دائم الاتصال بالماضي وقد يمتد ليقف عند الحاضر وقلما يتطرق إلى المستقبل . . . . فالطفل رجل الغد منطلق إلى المستقبل والقائمين على تربيته يحاولون دوماً شده إلى الماضي ثم الزامه بالتوقف عند الحاضر ومنعه بشتى الطرق من الاندفاع إلى المستقبل . . . ان في التربية العربية فرضاً للحظر على المستقبل في تنشئة الابناء . . . أن الارتباط بالماضي من شأنه توليد الاحساس بالاغتراب الثقافي لدى النشء .

لقد أطلت الاستشهاد لئلا أهضم أخي الباحث حقه في فكره . . . لأقول : أني أكره الاحكام العامة الصارمة . . . أخافها . . . انها باترة كالسيف في خضم حياتي واسع الاشتباك عميق التعقيد . . . ولكني أدع ذلك جانباً وأسأل ها هنا سؤالين :-

- هل صحيح على أطلاقه الواسع هذا الحكم القاسي على العملية التربوية العربية . . ؟
- ثم أذا القينا الزمان والماضي فهل يخلصنا ذلك من الاغتراب الثقافي أو يوقعنا على العكس فيه . . ؟ أن حجر الزاوية في الخلاص من الاغتراب هو بناء الهوية الحضارية وكيف نبني هذه الهوية دون تراث ودون ماض ودون زمان . . ؟
- ثم كيف نربي الطفل على الانتماء وعلى الشعور بالهوية الحضارية المميزة وعلى التفرد والاصالة ان القينا بكل أقذار الاغتراب على الماضي . . ؟ وعلى هذه الهوية وعلى ذلك الانتماء . . ؟

نقطة سابعة : يقول الباحث: «لونظرنا إلى الثقافة وما تقدمه لاطفالنا لوجدنا مثلاً أن قصص الأطفال . . . كلها تقدس العظمة والقوة والبطش . . . الأمر الذي أدّى إلى أن تصبح حكوماتنا حكومات فردية متعطشة للسلطة والبطش » . . وبصرف النظر عن التبسيط الشديد في الرابطة بين

المقدمة والنتيجة ، فأني أرجو أخي الباحث أن يدلني على الرابطة بين هذه المقولة التي لا أناقشه فيها وبين الاغتراب الثقافي للطفل . . أين الاغتراب هـا هنا يا ترى . . ؟

نقطة ثامنة وأخيرة : تحدث الباحث عن « التلوث الثقـافي » في أواخر اسطره وأنه « لا مانع من أن نستوعب الثقافات الأخرى » وليسمح لي هنا أن لا اوافق على الكلمتين . . بلى أرفض كلمة التلوث فليس ثمة في المستوى الثقافي تلوث وطهارة . . هناك لقاء وتمازح وأخذ وعطاء وصراع وغزو . . . بلى . . . وأمـا التلوث فمن ذا الذي يـزعم لثقافتـه الطهـارة من أي لوثـة بالثقـافات الأخرى . . ؟ وكيف يكون هذا التلوث . . ؟ وأسأل عن كلمة « لا مانع » ها هنـا أيضاً . . وهـل تنتظر الثقـافات أذنـاً من أحد لتلتقي ويؤثـر بعضها في بعض . . ؟ ان استيعاب الثقافات الأخرى استيعاب هضم وغذاء ثقافة صار من ضرورات الحياة في المستقبل . . . وأحسب أن هذا نفسه دون شك هو رأي الأخ الباحث .

المجموعة الثانية من الهوامش تتصل بهذه الملاحظات الأولى . . . انها منـظور يتكامـل معها يـدور حولهـا ولعلكم تسمحون لي بعـرضها في نقـاط سريعة . . . برقية أيضاً .

النقطة الأولى : في عنوان الندوة . . أنه يتحدث عن الاغتراب الثقافي عند الطفل . . أحسب أن المقصود بهذا هو التغريب لا الأغتراب . . . الطفل لا يغترب ثقافياً بطوعه أنه يُغرّب . . . الأغتراب الثقافي عملية طوعية أو فيها الكثـير جداً من الـطواعية . . . من الـرفض للواقع والمسيـرة نحو المجهـول الآخر . . . . وهي أذن من « صنع » الكبار والراشدين للكبار والراشدين وأما في دنيا الطفل فالأمر مختلف جداً . . . أنّا نصنع اغتراب الطفل صنعاً حـين نشـاء . . . نصـوغـه كيف نشـاء . . . ونحن المسؤولـون عن تغـربـه اذا

اغترب . . . والطفل عندي من لم يجاوز المرحلة الابتدائية أو على الأبعد من لم يصل المراهقة بعد .

النقطة الثانية : أن عملية التغريب عملية خارجية ، أنها لا تنبع من الطفل ـ وأقصد بالطبع الطفل السوي العادي دوماً ـ ولكنها تأتي مع العواصف الخارجية التي تغمره ، وتزيحه عن قواعده الثقافية الأساسية إلى قواعد أخرى غريبة .

النقطة الثالثة : أن التغريب لا علاقة له بالانحراف وان كان يؤدي اليه فان للانحراف عوامله الأخرى من اقتصادية واجتماعية بل وسياسية ودينية . . . والطفل يخضع لهذه العوامل الانحرافية دون أن يستتبع ذلك بالضرورة اغتراباً ثقافياً . والتغريب ـ الثقافي دوماً ـ لا علاقة له بتمرد الطفل أو رفضه أو العناد لأن هذه الأمور تنبت من واقع الطفل لتصب في النهاية في واقعه نفسه وتهبه بين هذا وذاك مزيداً من الشعور بشخصيته وكيانه الذاتي . . . والاغتراب الثقافي اقتلاع للجذور وفيه من معاني الوعي والاحساس بالمغزى الانساني ومن الشعور « بالأنا » ومن النظرة التشاؤمية وانعدام الثقة ومن الأهداف ورفض النظام القيمي واللامعنى مما يصعب نسبته إلى « الطفل » .

النقطة الرابعة : أن التغريب درجات وأنه مراحل . . . أنه درجات لأنه يزداد وينقص حسب قوة وضعف المؤثرات التي يتعرض لها الطفل وهل يستطيع أحد أن يقول أن الطفل اليمني يعاني من الاغتراب الثقافي بمثل ما يعاني منه طفل القاهرة أو أن طفل الطبقة الثرية في المغرب مغترب بقدر طفل من دارفور أو جبال عمان . . ؟

وانه لمراحل . بلى . فثمة مرحلة البذور والكمون التي تمتد حتى نهاية المرحلة الابتدائية من التعليم وندر جداً أن تبين في هذه المرحلة أطرافه

ودلائله . . انه خمائر وبذور قد لا تثمر ابداً . . . فاذا دخل الطفل مرحلة المراهقة والفتوة . . . أي لم يعد طفلاً وتحول الى فتى مراهق بدأ التفتح وازدادت التأثيرات عمقاً وسعة وتعقيداً في وقت معاً . . . وظهرت بوادر الاغتراب على أشكال عديدة . . . وبدرجات متفاوتة جداً . . . فاذا تجاوز المراهقة إلى الشباب بين السابعة عشرة والعشرين وما بعدها فهناك يمكن الكلام العريض عن الاغتراب الثقافي أو الانتماء واللا انتماء وما شئت . . . وقد تمتد الفترة . . ويبحر المركب مع الشراع المفتوح سنوات وسنوات قد تمتد حتى القبر .

الخامسة : عوامل التغريب والعوامل المساعدة له تتمثل بالنسبة للطفل في أمرين :

أ ــ سوء عمليات التكوين التربوي : ويسهم بها المدرسة ونظامها التعليمي كما يسهم البيت ومؤسسات المجتمع على درجات متفاوتة .

ب ــ الغزو الثقافي الاجنبي ، وأسمح لنفسي أن أقف عنده وقفة قصيرة . . . انه يغمرنا غمراً عن اليمين وعن الشمال عزين . . وانه ليسد علينا المنافذ وأقتصر من تأثيراته على ناحيتين :

الأولى المدارس الاجنبية والمربيات الاجنبيات في بعض المناطق التي تزعزع اللغة أول ما تزعزع . . . انتزاع الطفل من لغته هو أول طريق الاغتراب . . . وتنتزعه من تاريخه فهو بدون هوية . . . وتخلق بينه وبين مجتمعه هوة متزايدة الاتساع حتى الانفصال الكامل .

اما الثانية فهي وسائل الاعلام وبخاصة التلفزيون . . . إنّا نقدم لأطفالنا فيه السم ونحن نحسبه الغذاء السمين . . . نسد الفراغ الطفلي ببرامج نظنها للأطفال وهي على الأقل بالنسبة لأطفالنا نحن باب التشويه والاغتراب وفقد الهوية . . . افلام الرسوم المتحركة « كرتون » التي يبتلع فيها بوباي علبة سبانخ

ليصبح بطل الأبطال أو التي يقوم فيها الفأر ميكي بأعمال الجبابرة ، وأفلام حرب الكواكب وغريندايزر وسوبرمان التي تزيغ عقول الأطفال . . . إنما هي اقتلاع للقواعد الثقافية الراسخة أو التي يجب أن تترسخ في الطفل . . . أنها :

أ ـ تخلق للطفل عالماً وهمياً بدل عالمه ليحارب بالنتيجة في فراغ . . . وقد يجد الطفل الغربي في واقعه ما يساند هذا العالم الوهمي . . . أما الطفل العربي فاين يجد هذا الواقع . . . ؟ .

ب ـ وإنها تعطي الطفل الوهم العلمي بدل العلم .

جـ ـ تخلق أبطالاً وهميين بدلاً من أبطال الواقع .

د ـ تنقل الطفل إلى عالم آخر من الكواكب المتحاربة والسوبرمان الذي يطير بكل أفق وغريندايزر ذي القوى الخارقة .

والنتيجة من كل اولئك واحدة : اغتراب الطفل ودفعه إلى الضياع عن خط الفكر الواقعي وعن الحياة بخضمها الموارلخي . . أنها وجبات خدر موزعة منظمة على أشكال ومراحل . . . حقن أفيون ينتظر صاحبها علبة سبانخ ليتخلص من خصمه بدل الاستعداد الدؤوب لمكافحته .

النقطة السادسة : ولعلها الأهم هي أن ما نسميه بمشكلة الاغتراب ليست بالمشكلة الشاملة أنها ليست أبداً بمشكلة الطفل العربي بكل مكان . . . انها بمعنى من المعاني مشكلة ترف . . . نحن ننسى الكتل الهائلة من الأطفال العرب الذين لا يعرفون التلفزيون ولا يعرفون حتى المدرسة ومن خلال هذا المنظور تبدو مشكلة الاغتراب : جزئية ونظرية ومحدودة . . . أطفال القرى السودانية ، وجبال الأطلس وعمان والقرية المصرية الطينية والريف القصي على سيف الصحراء أو اعالي الجزيرة ما زالوا يعانون من التراخوما وفقر الدم والجوع المزمن والبلهارسيا

والسل . . . ويموتون بعشرات الألوف . . . مشكلتهم الأولى هي البقاء أولا ويجهلون الاغتراب . . . ويجهلون ما يجاوز المشكلة المادية المباشرة : أن يعيشوا . . . الاغتراب الوحيد الذي قد يعانون منه هو الاغتراب ـ بسبب العزلة والجهل والأمية والمرض والفقر ـ عن العصر ، عن المشاركة فيه كمنتجين ومبدعين . . الاغتراب الوحيد الذي قد يشكون منه هو أن يموتوا دون أن تتاح لهم الفرصة لاعطاء كل ما يستطيعون اعطاءه للحياة . . .واذا كان ٤٥٪ من سكان الوطن العربي دون سن الـ ١٥ سنة واذا كنا مجتمعات طفلة ومراهقة واذا كان ٣٥٪ من هذه الـ ٤٥٪ لا تعرف الاغتراب والتغريب لأنها لم تصل بعد حد الكفاية الغذائية والكفاية التربوية والكفاية الاقتصادية ـ الاجتماعية . . . فإن وضع المسألة على وجهها الصحيح يقتضي أعادة النظر لا في العنوان ولكن في واقع الطفل العربي نفسه من خلال دراسات احصائية تكشف مشاكله الأكبر والأكثر حسماً . . . إن أول طريق الدواء معرفة حقيقة الداء . . ولحسن الحظ أن هذه الندوة هي أحدى الندوات التي تعالج المشاكل الأخرى للطفل ولعلها تغطي جميع تلك المشاكل على امتداد الوطن العربي ولعلها تثمر وتثمر .

النقطة السابعة والأخيرة : هي أن الاغتراب الثقافي الذي يشكو منه قسم من الاطفال العرب في بعض القطاعات وبعض المجتمعات والمدن العربية . . . إنما تكون مكافحته بالعمل على تأكيد الهوية الثقافية لدى الطفل العربي . . . وذلك إنما يكون في اعتقادي بمراجعة مصادر التكوين الثقافي لديه وتصحيح مسارها وخطوطها .

يكون : بسد منابع الأمية بكل وسيلة في المجتمع العربي . . . انها أم الشرور .

يكون : بسد منابع الأمية بكل وسيلة في المجتمع العربي . . . انها أم الشرور .

يكون : بجعل اللغة العربية أساس التعليم كله . . . اللغة لنا هي الملجأ .

ويكون : بمراجعة مناهج التعليم لجعل الهدف تعلم تقنيات العصر لا أخذ المقتنيات .

ويكون : بجعل الهدف هو الاستيعاب في خطين متعانقين :ـ
خط العصر وخط التراث ومنذ ما قبل مراحل التعليم .

ويكون : بإعادة النظر الكامل في السياسة الأعلامية لا بمعنى المراقبة للطفل وباسم الطفل ولكن الادراك الواعي لرسالة هـذه المدرسة الشعبية الجماعية الكبرى .

ويكون أخيراً : بالعمل على ايجاد مجتمع عربي متعلم معلّم معاً . . . أعلم أنه هدف بعيد المنال بـل صعب التحقيق . . . بلى . . . وقد يكون السعي له قضية خاسرة . . . بلى . . . ولكني أعلم أن القضايا البعيدة الصعبة الخاسرة هي التي تستحق السعي لها والدفاع عنها .

هل أطلت . . . لعلكم تقدرون . . . أنها خـواطر فـرضت نفسها . . . وأخيراً . . .

لـيس كـل الـذي تـسـطر في قـلبـي
هـذا الـذي تخـط يمـيـنـي !

مناقشات

الدكتور حسن الابراهيم :

جرت العادة في الندوات ان يقوم الباحث بطرح نقاط ، الهدف منها هو استجلاب نقاط ونقاش من الاخوة المشاركين . . . وهي لا تعني دائماً بأن هذه النقاط المطروحة هي تمثل رأي الباحث وانما هناك محاولات جادة للندوة هذه لايجاد حوار ثقافي وانفتاح عقلي على الاطروحة التي امامنا . . . وعندي سوءالان اطرحها على الدكتور قاسم والدكتور شاكر مصطفى السؤال الأول ، لقد اعفاني الدكتور شاكر من التطرق له وهو موضوع دور التلفزيون في التعليم والاغتراب أو الغربة الثقافية التي تفضل د . شاكر واخرجها عنواناً لهذه الندوة . . . بدون شك ان الرسوم المتحركة التي تأتينا هي اما تأتينا من دول غربية رأسمالية أو من دول اشتراكية أو من اليابان وكل هذه الرسوم القادمة من الخارج تركز على قيم هذه المجتمعات وهي في الواقع بغيدة عن قيم العالم العربي ومجتمعاته مثلاً الولايات المتحدة تركز على موضوع الصغير وفكرة تغلبه على الكبير عن طريق المكر والخديعة وهذه متمثلة في جيري وميكي ماوس وغيرها من افلام الرسوم المتحركة . . . الدول الاشتراكية تركز على القيم الاشتراكية التي تنشرها في مجتمعاتها وفي العالم ككل واليابان تركز على التضحية والعمل الجماعي وعلى تضحية الفرد للعائلة ومن الملاحظ في التلفزيونات العربية وتلفزيونات الخليج التي لي بها علم اكثر من علمي بالتلفزيونات الأخرى ان اختيار هذه الرسوم المتحركة هو اختيار عشوائي قائم على المذاق الفردي بدون أي دراسة وتخطيط للنوع المناسب لنا . . . ولو كان هناك اي تصنيع عربي لما لجأنا للأفلام المصنعة بالخارج . . . السؤال الآن . . . ما هو دور

هذه الأفلام . والرسوم المتحركة في التغرب والتغريب الثقافي للطفل العربي . . . الشطر الآخر من السؤال ؟ هو . . . مدى تأثير عدم وجود ادبيات متكاملة للطفولة في الوطن العربي في الاغتراب الثقافي أو الغربة الثقافية للطفل . . . المعروف انه عندنا حسب ما جاء في بحث الدكتور عبدالله الدنان على نوعية الكتب الموجودة ان حوالي ٩٥٪ من كتب الاطفال قائمة على اساطير وعلى اشياء غير حقيقية . . . البعض الآخر . . . قائم على ترجمة ادبيات اطفال مختلفة من مجتمعات العالم الأخرى . . . ونريد ان نعرف نحن والمشاركون والاخ الباحث اذا كان عندهم اي اراء بالنسبة لهذا الموضوع وشكراً .

الدكتور احمد عبدالله :

في الواقع ان د . شاكر اعطانا الكثير . . . يوجد سؤال وتعقيب بخصوص بعض المعايير المستخدمة في محاولة تعريف الاغتراب أو التغريب . . . احد هذه المعايير هو العجز والعجز يبلغ عن الشيء السلبي وشعور الانسان ومصيره ليس في يده . . . وهو إلى حد ما قد يكون سلبياً وله تأثير سلبي ويدعم هذا الرأي بعض الدراسات التي اجريت في الولايات المتحدة على السود في محاولة للباحثين هناك للتعرف على اسباب تدني مستواهم في المدارس مقارناً بالبيض . . . طبعاً كثير من النظريات ،كثير من الفرضيات طرحت على الساحة هناك . . . ومن ضمن الاشياء التي طرحت رأوا بواسطة اختبارات معينة . . . هناك مفهوم السيطرة المتداخلة والذين يأخذون بهذا التفسير هم جبريون إلى حد كبير جداً وهناك نسبة كبيرة من السود عندهم هذه الخاصية وموجودة فيهم . أي أن الاسود بطبعه يميل إلى ان يربط احداث حياته ويحاول ان يربط كل ما يحدث له بقوة اعلى منه . ان هذه الامور خارجة عن ارادته وانه لا يملك الحرية في التصرف في حياته وطبعاً كان التفسير ان هذه الخاصية قد تكون سببا من اسباب التعثر الدراسي الذي يعاني منه

الاسود . . . في الواقع مع اني ذكرت ان الاسود يكون المعيار السلبي كما لو احاول النظر بمنظار آخر . . . فكلمة الاسلام في الواقع هي السكن والامان وان الاسلام هو التسليم بمشيئة الله وامر الله . . وهناك دائرتان من دوائر العجز . . . هناك دائرة الانسان يحس فيها بانه غير عاجز كلياً وانما هنا امور يستطيع ان يتصرف الانسان ويحس فيها ولكنه لا يستطيع ان يتعدى تلك الدائرة لانها دائرة الله سبحانه وتعالى وانه لا مشيئة له فيها . . . والدائرة الثانية . . . الاحساس بأن كل شيء مسير من قبل قوة كبيرة وما لنا دخل فيها . . . في الواقع هذه الدائرة من العجز تعتبر قوة وليست دائرة عجز . . . في الواقع كلمة العجز هنا هي معيار انا اعتقد بانه لابد ان يكون له تفسيران . . . فالتفسير الموجود هنا فقط للعجز هو العجز السلبي ولابد ان يكون هناك تفسير آخر ويكون المعيار اشمل من هذا بكثير جداً بحيث يكون هناك العجز بمعنى العجز الذي يمكن ان يكون له تأثير ايجابي وهذا العجز هو العجز الذي يحس به الانسان عندما يقف امام القوى الالهية الكبيرة وانا لا ادري ماذا سيكون تفسير الدكتور قاسم له وشكراً .

الدكتور ابراهيم عثمان :

في الواقع التحدث عن الاضطراب الذي يمكن قبوله على اساس ما سيكون أي ان هذا الطفل ورجل المستقبل ومثلما ابدى الدكتور شاكر يظهر الاضطراب في سن الرشد أو في سن المراهقة . . .وبالتالي يمكن التحدث عن الظروف التي تهيء أو الظروف التي تغيب عن تهيئة هذا الطفل والتي اما تؤدي إلى اضطرابه أو إلى انتمائه إلى هوية معينة وتأخذ نقطة العجز والفرار من الواقع . . . فمثلاً علاقة ذلك بالاوضاع السياسية والنظم السياسية القائمة في البلدان العربية والتي تنتقل من خلال الاسرة وخاصة القمع السياسي في البلدان والمجتمعات العربية . . . والذي ينتقل من خلال الوالدين للطفل بتخويفه وابعاده عن المشاركة العامة في المسائل العامة حتى لا يقع تحت طائلة القانون أو غيره وهذا يجعله يبتعد عن المشاركة

والتفاعل مع قضايا مجتمعه في المستقبل وبالتالي يزرعون فيه بذور الاغتراب مبكراً . . . الشيء الثاني الغربة الثقافية وهذا يتعلق بالمرجعية للانسان فعندما يريد هذا الانسان ان يجيب على سؤال من انا ؟ أو من نحن كمجتمع أو كجماعة ؟ فلا يجد في مجتمعنا العربي اجابة واضحة على ذلك . . . وانا اضم صوتي للدكتور شاكر لان علينا ان نوضح الابعاد التاريخية والحضارية لهذه المرجعية حتى تكون في متناول للطفل للرجوع اليها وتعريف هويته من خلالها وبالتالي نبعده عن مزالق الاغتراب . . . اما من حيث وسائل الاعلام وما تعرض من عالم الواقع وعالم الخيال فيمكن للطفل في الواقع ان يميز بين عالم الخيال وعالم الواقع ولكن مضمون هذه الاشياء وخاصة التي تأتي من امريكا من حيث القيم والمعايير مضمون خطير للطفل العربي . الآن هناك تعقيب اخر بالنسبة للعجز . . . في الواقع من حيث النظرة الاسلامية ، الاساس في هذه النظرة هو عالم الواقع أو عالم الشهادة وعالم الموجود لمعرفة الانسان وحتى يتعرف عليه الانسان وهو عارف عالم بواقعه وبالتالي يمكن ان يتوصل إلى طرق معرفته . الشيء الآخر هو ان الانسان في الاسلام بفطرته عارف وواع لمعرفته وبالتالي يستطيع من خلال قدراته ان يتعرف على هذا العالم وبالتالي لا يمكن ان يكون في النظرة الاسلامية عجز ناتج عن هذه المبادىء سواء بالنسبة للواقع الطبيعي أو واقع الانسان نفسه لان الانسان خلق ليعرف هذه الاشياء وقد مكن من معرفة هذه الاشياء وشكراً .

الدكتور عبدالرضا اسيري :

بصراحة لست خبيراً في التربية ولا استاذاً في الاجتماع لكوني طالباً في العلوم السياسية احب ان اعقب واطرح بعض التساؤلات ويمكن للاخ المحاضر ان يجيب على التعقيب . اذا سلمنا بفرضيته ان الزمان هو احد المسببات الرئيسية للاغتراب وبما ان الجيل المعاصر في معظم دول العالم الثالث النامية ينشأ تحت فرضية التنمية والتقدم والفرضية هذه لا تعتمد على ايجاد توازن بين الماضي والحاضر والمستقبل انما

تعتمد على خلق طفل آلي وربما طفل الكتروني واخص بذلك قيمة هويته ومفاهيمه وانتمائه . هذا الاسلوب يعني انتصار الفرد على الماضي وسيؤدي هذا الانتصار على المدى الطويل إلى الاغتراب الثقافي وقد يؤثر هذا بدوره على التوازن الاقتصادي والاجتماعي وقد يؤدي هذا الانفصال ، طبعاً ، إلى عدم الاستقرار السياسي وربما الاغتراب ايضاً إذا صح التعبير يؤدي إلى اختلال في استمرارية الانظمة السياسية المعاصرة وخير مثال على الاغتراب هذا ان هناك كثيرا من دول المغرب العربي التي اعتمدت على مفهوم الاستمرار بالثقافة الغربية وخاصة بعد الاستقلال ، واخص بالذكر ، تونس والمغرب ، قد واجهت مشاكل كثيرة عندما حاول النظام السياسي الاستمرار في فرنسة النظام التعليمي القديم والاستمرار فيه ، حتى اضطروا تحت ضغط الشعب للعودة إلى نظام عربي مبني على اسس ومفاهيم عربية وقواعد اسلامية وشكراً .

الاستاذ عبدالعزيز الطلبي :

انني فرح لاتاحة الفرصة لي واني سعيد للقائي نخبة مختصة أو على الاقل مهتمة بهذه الاوضاع ، بودي لو بدأنا بمنبع الاغتراب في تربية الطفل . . . الام . . . التي مركزها الاجتماعي اصل الاغتراب تربوياً ، والام . . . هذه التي يسمونها المرأة والتي هي قاعدة الخلق يعني هي التي تعطي ، هي الارهاصات التي نعيشها وهي تعيش في ظروف قاسية وهي مسجونة وهي نصف المجتمع ونصف المجتمع لا يشارك في أي شيء لنتساءل ما هي الطريقة التي تتزوج بها ؟ كيف تدخل عند الرجل ؟ كيف تحس البنت التي تكبر عند امها ان جميع حوائج البيت حتى القطط والكلاب لهم قيمة اكثر منها . . . . يعني طريقتنا في كيف نختار هذه القاعدة هذه الام والتي هي أساس المجتمع يجب أن تكون موضوع بحث ودرس ، وعندما نختار امرأة لتكون ام الاجيال القادمة ، ماذا نعمل فيها ؟ ندع المرأة جاهلة ونهينها ونذلها وهي كل يوم ترتعش ثم يكبر الابن ولايعرف هل هي خادمة أم

هي ام ، ام ماذا ما هي قيمتها ؟ وما دمت انا مثل امي والعلم يثبت انه خلال اربع السنوات الاولى تتكون شخصية الانسان . . فاني اتكون مثلها في هذا الاطار بالحليب المغلوط . بالحليب الذي يعيش كل الارهاصات التي نعيشها لكل لحظة اذن النتيجة التي نتكلم عليها ، حتى كمثقفين ، هي نتيجة هذه الوضعية بالذات فان لم نعالج الاصل ، (اصل تكوين الانسان) فاننا لن نعالج شيئاً . لم ابدأ بضرب الامثال من نتائج الدراسات الاجنبية . هذا الشاعر الذي يتكلم عن الحرية ويدخل بيته وامه واخته ليس لهن حق الحوار معه أو هذا الثائر الذي يحمل السلاح ويدخل على المرأة ويكتشف انها كذبت عليه في بعض الامور فيضربها ويكسر رأسها . فهذه الوضعية فعلاً شاذة لماذا نتكلم عن ذاتيتنا وعن تصرفاتنا ما هو حالنا كآباء ؟ هذا الاب المرعب هذا الرجل الذي اعطاه التاريخ كل السلطات ، هو نفسه مقهور لا يقدر على عمل أي شيء ، كل القهر الذي عنده يسقطه على الام التي يتسلط عليها مع انها بين اربعة جدران مدة اربع وعشرون ساعة ماذا ننتظر من الطفل ان يكون في النهاية ؟ ماذا سيكون هذا الطفل في النهاية ؟ يكون مثل امه ، مشكلتنا اننا نعالج كل شيء ما عدا ذاتيتنا وما عدا غلطاتنا الداخلية . . . وهذا يعني وجود خطأ في نظام تفكيرنا ، أعتقد اذا اردنا طرح قضايا فلا بد ان نطرحها باصولها وندخل في اعماقها ، ونعمل لها نقداً ذاتياً والنقد الذاتي يعني ان اسأل نفسي : كيف يدخل الأب بيتاً هو في حقيقته سجن ؟ والطفل لا يجد في هذا البيت ثقافة حقيقيه وانما يأخذ ثقافته من خارج البيت ، والبيت بالنسبة له ليس الا مركز استراحة فقط لا يسهم في تنشئته ، وهذا موضع الغلط ، عندما نريد ان نتكلم عن الاغتراب لماذا لا نتكلم عن الام ذاتها هي الغريبة الاولى وهي المغتربة الاولى ما دامت هي الأصل . . . اصل الشيء المغترب الذي نتكلم عنه . . . النتيجة في رأيي هي اننا للآن نتكلم عن هوامش الاشياء ولم ندخل في الموضوع اصلاً وشكراً .

الدكتـور/ محمـد عوده :

اريد أن اتكلم عن الثقافة من منظورين ، وارجو ان لا اكون مخطئاً وعلماء الاجتماع ممكن ان يصححوا لي أي خطأ . . . أنا ارى ان هناك ثقافة اساسية ممكن ان تكون في بعض المجتمعات العربية تعبيراً عن الاصالة . . . لدينا شيء اصيل قـطعاً وهـو سينتقل عبـر الاجيال شئنـاً أم ابينـا . . . نحن نتعـرض لشيء من الغربلة . . . لا بأس ، ولكن لا يمكن أن نؤمن بالشكل النهـائي . . اذن هناك الثقافة الاساسية وهناك الثقافة الوافدة . اذا كنا في مجتمعاتنا في الوقت الحاضر غير قـادرين على أن نحيط انفسنا بـالسياج ونحمي انفسنـا من التيارات الثقـافيـة الوافدة . . . اذن سيكون هناك نوع من التمازج بين الثقافة الاساسية والثقافـة الوافدة سواء في هذا اليوم أو في المستقبل . اذاً السؤال المطروح ؟ انا عندما أعد ابني لكي يعيش بعد عشرين سنة اعده ليعيش في بيئة ثقافية ، فهل يملك القدرة على النظرة للمستقبل . . . الذي اعده له ولا يغترب مستقبله ؟ نحن نعد الطفل حتى لا يصبح مغترباً ثقافياً في المستقبل . هناك نقطة هامة اراها في الاسرة . . . تطور الاسرة العربية بشكل عام لم يقع بشكل ثقافي . . . تطور الاسرة العربية الى الاسرة النواة والاسرة النواة بمعنى ان الانسان عندما يتزوج يأخذ زوجته ويذهب لبيت آخر بينما الاب والام اللذين اصبحا جداً وجدة يبقيان في البيت القديم . هل يا ترى أنا قادر على أن اكون ناقلاً اميناً للثقافة الاساسية في غياب ابينا وجدنا . . . هذا هو السؤال المطروح وما هو دورنـا . . . والان احس ان هناك توجهاً عاماً كلما تحدثنا عن الثقافة وكأن هناك رغبة ـ نظراً للانحسار الحضاري الذي نعيش فيه في الوقت الحاضر ـ لنبذ الثقافة الاساسية . وكأن تخلفنا الحضاري في الوقت الراهن هو مردود للثقافة الاساسية فهل هناك رغبة في تدمير البنيات الثقافية الاساسية . أنا اعتقد اذا كان هناك من يسعى لمثل هذا فهو من اعداء هذه الامة بغض النظر عن نوعيتهم . كلهم يسعون لان يدمروا الثقافة الاساسية كي نفقد اصالتنا ثم بعد ذلك نضيع ،

نصبح على هامش الثقافة العالمية. ولهذا نقول بأن ثقافتنا الاساسية منحتنا طرقاً كثيرة كي نعزي أنفسنا حتى في اوقات الشدة . . . وهناك مسالك للعزاء . . . فالذين يريدون تدمير الثقافة الاساسية يريدون كذلك حرماننا من هذا العزاء . . . وموضوع العجز الذي اشار الدكتور احمدإليه . .عندمااحس انني في ازمة ما . . . فقد تجعلني أجد جدارا أو حائطا لارتكز عليه بظهري كي ارتاح واتنفس قليلاً . . هل يجب كل حياتنا تكون مادية واحد + واحد يساوي اثنين ؟ أو يا ترى نستفيد من اطار الثقافة السائدة . . . هناك في الانسان شيء اسمه وسيلة دفاعية ويجب اعطاؤه الوسائل الدفاعية . . . النقطة الاخرى . . . فيما يتصل سواء بالتغريب أو الاغتراب ، الحقيقة في مجال تمحيص المصطلحات أعتقد ان الطفل حتى لو كان صغيراً يمكن أن يعيش الاغتراب عن الاخرين أو الانفصال عنهم وهذا ما نسميه بالانطواء أو العزلة . . . ممكن أن ينعزل عن الاخرين وممكن ان ينعزل عن المحيط . . نحن الكبار عندما نبنيه لأي ثقافة نبنيه ؟ هل نبنيه ليكون قادراً على أن يتعايش مع الثقافة التي يعيش بها أم نبنيه كانسان لا يعرف أين تمشي الامور ؟

الدكتور/ بدر العمر :

لو اتينا إلى صلب الموضوع سواء إلى الاغتراب أو التغريب وناقشنا لماذا الاغتراب ؟ اذا كان هناك اغتراب . واذا لم يكن هناك اغتراب فيجب ان نبحث عن وسائل تحول دون وقوع هذا الاغتراب . لكني أتصور أن الاغتراب موجود ولو نظرنا لمسببات هذا الاغتراب لوجدناها كثيرة في هذا المجتمع . لماذا يغترب الطفل ؟ هل تربيتنا الطويلة لم تكن مانعاً كافياً من الاغتراب ولهذا ينجذب اطفالنا إلى ثقافات أخرى أو بمعنى آخر . . أنا كأب عندما أربي طفلي سنوات طويلة ويجلس في فترة من الفترات ليشاهد فيلماً أجنبياأو صوراً متحركة أو ليقرأ جريدة اجنبية . لماذا يكون هذاالفيلم أو هذه الجريدة اكثر جذباً مني مع انني ربيته سنوات طويلة ؟ أنا اعتقد وهذا اعتقاد شخصي انه اذا كان هناك اغتراب فهو ناتج عن

عدم قدرة ثقافتنا على اشباع الحاجات الفكرية والذوقية للطفل ، فيحاول أن يوجد هذا الاشباع بوسائل اخرى ، وقد تكون هذه الوسائل هي المؤثرات الخارجية التي تأتي من الثقافات الاخرى . ووجود هذه الثقافات الاخرى فقط لا يكفي للتحول لان عملية التحول لهذه الثقافات لا يمكن أن تكون آلية . . . لان الانسان بتكوينه العقلي قادر على التفحص وفحص هذه الثقافات ثم بالتالي الخروج بنتيجة معينة قد تكون قبوله للثقافة القادمة أو رفضها . لكن نجد أن هناك انسياقاً كبيراً تقريباً وراء هذه الثقافة . وأتصور أن الجهل هو السبب ووجود التناقض في تربيتنا . التناقض من أي ناحية ؟ التناقض هو عدم قدرة هذه الثقافة على اشباع حاجات الطفل . (مثلاً) أنا اقول للطفل لا تكذب . ولكنه يلاقي سلوك الكذب موجوداً عند الكبار . اذن سيكون هناك تناقض . . . لو نظرنا لعملية التربية بشكل عام عندنا لما وجدنا اتجاهاً أو غاية محددة نريد تحقيقها من خلال هذه التربية . . . وفي الواقع كل ما هو موجود ممارسات عشوائية . . . ولو سألنا أي اب في هذه المجتمعات ما هو تصورك للتربية الصحيحة ؟ ستكون اجابته بسيطة هي أنني اريد أن يكون ابني جيداً . انا لا اعتقد أن اي ثقافة من الثقافات تريد ان يكون ابناؤها سيئين . اذن جيد في ماذا ؟ وفي أي مجال ؟ اعتقد ان هذه هي النقاط المفقودة في هذا المجتمع . واعتقد انها ليست غربة الصغار ولكن غربة الكبار عن مجتمعاتهم وعن ثقافاتهم لانهم لم يهتدوا لهذه الثقافات لتكون سبيلاً للتربية . . . وبالتالي يكون من السهل على الطفل أن يقع في قضية الاغتراب والتغريب الثقافي .

الدكتور/ محمد الحداد :

أولاً قد اختلف مع الدكتور شاكر مصطفى فيما عرضه وفيما يتعلق بالتغريب أو الاغتراب . . . اعتقد اننا نبحث وضعية معينة هي نتيجة وليست عملية . . . اما التغريب فهو عملية بحد ذاته . . . نحن نبحث الحالة التي وصل اليها الطفل العربي ، بعض الاطفال العرب في الوطن العربي وليس الجميع كما ذكر الدكتور

مصطفى . . . وبالتالي أنا احبذ استخدام كلمة الاغتراب بدلاً من التغريب . كما أريد من الدكتور شاكر ان يوضح لنا هذا الشيء أو هذا الموضوع . واضح جداً أن مسار الحديث أخذ الجانب السلبي لمفهوم الاغتراب . كما نعلم أن الاغتراب له مفاهيم عدة . من هذه المفاهيم أو الجوانب . . . الجوانب الايجابية . عدا الجوانب السلبية كما ذكر (روسو) على سبيل المثال في العقد الاجتماعي . حتى عند المتصوفة كان الاغتراب له جانب ايجابي عند أبن عربي . فاذن الاغتراب من الممكن أن يكون ايجابياً أو يكون سلبياً ، ولكن مسار الحديث واضح انه اخذ الجانب السلبي واعتقد كذلك ان الدكتور مصطفى وجميع الاخوان تناولوا مفهوم الاغتراب من المنظور السلبي . اذن لابد أن نتكلم عن الجوانب السلبية للاغتراب . . . وبهذا الخصوص . . . أولاً . . . أنا أود أن اوضح نقطة اساسية أيضاً هل المقصود اغتراب الطفل عن الثقافة . . . ام اغتراب الطفل عن المرحلة العمرية التي هو فيها ؟ هذا شيءيجب أن نحدده . عندما نناقش قضية اغتراب الطفل عن الثقافة نعلم أن أي ثقافة في العالم هي ثقافة صحيحة ما دام الناس الذين ينتمون لهذا المجتمع راضين عن هذه الثقافة . نحن نعود ولدنا على أن يقول أي والله وان شاء الله . . . أي والله وان شاء الله دائماً بدون أن يكون له شخصية معينة . عندما نقول للشخص . . . ما مفهوم التنشئة الاجتماعية ؟ يجيب أن يكون الولد مطيعاً . . . ما الولد المؤدب ؟ أن لا يتشيطن ولا يلعب ويكون عاقلاً وهادئاً . . . وهذا مفهوم الطفل المؤدب أو الطفل المنتمي وغير المغترب عن الثقافة . . . ولكن الحقيقة أننا نعلم الطفل بشكل أو بآخر على الاغتراب . . . نحن نقوم بعملية تغريب لهذا الطفل ليكون منفصلاً عن المرحلة العمرية الحقيقية التي ينتمي اليها . . . ان لكل مرحلة سلوكاً معيناً، ففي هذه الحالة يكون الاغتراب اغتراباً عن المرحلة العمرية ، وهذا مفهوم الاغتراب عن الثقافة لان القيم والعادات والتقاليد قد تغيرت وكل مجموعة تحاول أن ترى شخصيتها في الاطفال . ناهيك عن المشاكل الاخرى المترتبة على مشاكل الثقافة التي نحن نعاني

منهـا ، وهذا شيء اسـاسي يا دكتـور مصطفى ويـا دكتور قـاسم . . . لمفهـوم الاغتراب كنت اريد ان ارى اشياء عن مفهوم الاغتراب عن المرحلة العمرية . . . الشيء الثاني والاساسي . . . هو ما تقدم به واشار له الـدكتور حسن في بـداية حديثة . . . التلفزيون . . . فبالاضافة لما ذكر عن التلفزيون ، أود أن أوضح نقطة اساسية ومهمة جداً . . . التلفزيون وسيلة اعلامية حديثة ساعدت على الاغتراب عن المرحلة العمرية للطفل . . . بمعنى آخر . . . ان التلفزيـون مع انـه يتوخى عرض برامج مختلفة للصغـار والكبار حسب الجنس وحسب العمر لكن الطفل مع ذلك يرى كل البرامج . . . اذن الطفل يغترب عن مرحلته العمرية بشكل أو بآخر لان التلفزيون في الحقيقة سلطة قوية في تأصيل القيم الثقافية اذا كنا نتكلم عن الاغتراب الثقافي وللتلفزيون دور أساسي في عملية الاغتراب عن المرحلة العمرية للطفل ، وهذه نقطة جديرة بالبحث وبالإشارة اليها .

الندوة الرابعة

طفل المرأة العاملة

شباط - فبراير ١٩٨٤

النـــــدوة الرابعـــــة ١٩٨٤/٢/٢٧

موضوع الندوة : طفل المرأة العاملة

المتحدث الرئيس :	الآنسة لولوة القطامي	رئيسة جمعية الثقافة الاجتماعية والنسائية
المعقب :	الدكتور محمد عـــودة	جامعة الكويت
رئيس الجلسة :	الآستاذ / انـــور النوري	رئيس مجلس ادارة بنك الكويت الصناعي
المشاركون		
١ ــ د.	احمد عبد الله	جامعة الكويت
٢ ــ ذ.	حسن الابراهيم	رئيس الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية
٣ ــ د.	سبيكة العبد الرزاق	جامعة الكويت
٤ ــ د.	قاسم الصراف	جامعة الكويت
٥ ــ السيد /	عبد الباقي النوري	رئيس مجلس ادارة شركة الاسمدة الكيماوية

مدخـــــل :

ستتناول ورقـة البحث تعريف ما هو المقصود بالمرأة العاملة . . . وكما أن عملية التربية لاطفالنا لا تقوم بها الأم وحدها بل يشاركها الاب وعناصر اخرى عديدة ، لذلك وجدت من الضروري تناول العناصر المشاركـة للأم بشيء من التفصيل . . . ولأن التعليم من أهم العناصر مشاركة للأم والأب وانعكاساً على نمو الاطفال صحياً ونفسياً واجتماعيـاً . آثرت ان يتناولـه البحث بـايجاز مـوضحة بالارقام نسبته في عالمنا العربي لنعرف حجم المشكلة التي تحيط بنا ، كذلك قضية استخدام المربيات التي تجد في استخدامها الأم العـاملة وسيلة تعوض بهـا ندرة الحضانات النموذجية فكان لابد من تناولها بشيء من التفصيل ثم طرحت تساؤلاتي حول عمل المرأة بالارقام لنعرف كم تبلغ نسبة النساء العاملات حتى يمكننا تصور كم تبلغ نسبـة الامهات العـاملات لنعـرف بقدر مـا لدينـا من معلومات حجم المشكلة . ثم وضّحتُ دور الأم في عملية التنشئة وارتباطه الوثيق بدورها في الاسرة وموقعها كزوجة ومن مكانتها التي تحتلها وانتقلنا بعد ذلك إلى صلب البحث وهو عمل المرأة واثره عل اطفالها وموقف قوانين العمل من مهمتها السامية في التربية وهل تهيء لها حقوقاً فعالة وانتهيت إلى مناقشة بحثين لقياس عمل المرأة ولبحث تأثيره على مهمتها كأم . وفي النهاية عرضت لبعض التوصيات الجديرة بأن نعمل على تحقيقها في بلادنا .

والله ولـــي التوفيـــق ، ، ،

قبل أن اعرض اوراق البحث المتواضعة احب أن اسجل شعوري بالفخر والتقدير للأخ الدكتور حسن الابراهيم والفريق الذي يحمل الامانة والمسئولية معه

من اجل توجيه جهودهم لقضايا الطفولة فى عالمنا العربي في هذا الجانب . . . ذلك لأن رفعة هذا الوطن ورقية وتقدمه لن تكون الا بتنشئة جيل سليم واع وقادر على حمل الامانة .

والحقيقة ان مولد الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية كان بارقة أمل لنا نحن الذين نعمل في مجالات الطفولة والامومة وندرك إلى أي مدى يمكن ان يثمر مثل هذا العمل . . . كما ان الحماس الذي لم يفتر والذي يبدو أنه لن يفتر ايضاً للمضي قدماً في اهداف الجمعية النبيلة وما يرافقها من تخطيط علمي ، كل تلك الجهود تجد الكثير من الارتياح والتقدير في الاوساط التي تعرف إلى أي مدى يمكن أن يساهم مثل هذا العمل في رفع الكثير من الحلول لقضايا الطفولة ويساهم بايجابية في ان يحقق ما نرجوه لها من تقدم ونجاح .

كذلك احب أن اشير إلى انني كنت اتمنى ان يكون موضوع هذه الندوة اكثر مباشرة وشمولاً فيتناول الام وطفلها سواء كانت امرأة عاملة أم امرأة غير عاملة لان تنشئة الطفل مهمة وواجب تتكاثف فيها عدة جهات تأتي في مقدمتها الأم سواء كانت عاملة أو غير عاملة والفيصل في قيامها بمهامها كأم يرتبط بمدى ما تقدمه من عطاء وبقدر ما تهيّء من ظروف صحية ونفسية وثقافية لكي ينشأ طفلها تنشئة سليمة . ومع اتفاقي أن الام التي تمارس العمل خارج المنزل تشاركها ظروف عملها مع عوامل اخرى عديدة تتداخل وتتضافر في القيام بمسؤلياتها في عملية التنشئة لكن العمل وحده ليس المؤثر الرئيسي بل إن كل العوامل التي تشارك في عملية التربية تتداخل وتتفاعل لتنعكس على طفلها بالسلب أو بالايجاب . . . ومثلما يحدث مع طفل الام العاملة يحدث أيضاً مع طفل المرأة التي لا تعمل أو التي افضل ان اسميها « ربة البيت » ذلك لأنها امرأة عاملة ولكن داخل بيتها كما سأوضح في حينه . . . وهذه الأم تشاركها في عملية تربية اطفالها عوامل عديدة هي نفس العوامل التي تشارك الأم العاملة مهمتها مع اختلاف بسيط وهو ان هذه الأم

« المرأة العاملة » تغيب بجسدها عن طفلها ساعات محددة خلال وجودها في عملها خارج بيتها وبعيداً عن طفلها بينما الأخرى الموجودة جسدياً بجانب طفلها قد تكون غائبة فعلاً وفكراً عنه في بعض الحالات كما نرى في حياتنا اليومية . . . وقد تتواجد بالجسد وتغيب عن امور تربيته في الاشراف والرعاية والعناية المطلوبة لمثل هـذه العملية تاركة أمره بالوكالة إلى الخادمة أو المربية أو الجدة أو العمة أو الخالة . . . وقد لا تتركها لأحد من هؤلاء وتقتصر في مهمتها على الاهتمام بتغذيته تغذية جيدة وبشرابه ولباسه معتقدةً أن تلك الامور هي جوهر الرعاية والتربية وانها هي كل واجباتها لكي ينشأ طفلها سليما معافى صحياً ونفسياً وعقلياً ولذلك احسست أن هذا العنوان الذي كان لي شرف التحدث فيه موحياً لي بين أحرفه ببارقة اتهام تلوح في الافق حول عمل المرأة ، وما نحمله من آثار سلبية على اطفالها واسرتها .

هذه مجرد خاطرة وردت بذهني وأنا اقلب بعض المراجع بحثاً عن مورد لحوار اليوم . . . وانا اسميه حواراً أو وجهة نظر لأنه مستقى من خلال تجربتي في عملي اكثر من عشرين عاماً في مجال من اخصب المجالات اتصالاً بالطفولـة والامومـة وشغفاً بها واعني به العمل النسائي . . . ولذلك لا استطيع أن اسمي هذا بحثاً بالمعنى الاكاديمي لانه يحتاج لجهد ووقت جديـرين بموضـوع البحث ولتخصص اكاديمي لا أدعيه . . . ومن هنا لزم التنويه .

تعريـف المـرأة العاملـة :

ينبغي التوسع في التعريف الحالي المستخدم للعمل والذي يرى أن « العمل نشاط يؤدي إلى أجر مالي » ذلك لأنه تعريف ناقص لا يعبر الا عن جـانب من جوانب العمل . . . اذ يغفل ما تبذله المرأة وهي نصف المجتمع من جهد واخلاص في سبيل تربية ابنائها وفي سبيل انجازها لشئون الاسرة سواء كانت في البادية أو في المدينة . . . ذلك لأن هذا المجهود وهذا العمل اليومي المضني الذي تقوم به المرأة والام في انجاز مهامها الحياتية اليومية من طهي وكي وتنظيف واعداد لوازم الصغار

ورعايتهم واطعامهم وكل ما يتعلق بهم خاصة في السنوات الاولى التي تتطلب جهوداً مضنية كل ذلك لا تتقاضي المرأة عليه اجراً . . . ومع ذلك فهل نملك أن نتجاهل أنه عمل . . ؟ وهل نستطيع أن ننسى لو أننا استأجرنا من يقوم بعملها بدلاً عنها كم كان يكلفنا ذلك كأجر لهذا العمل اليومي الغير محدد المدة والذي لا ينتهي بانتهاء ساعة محددة على كل مدار النهار . . . والليل أيضا « في السنوات الاولى » والذي لا تتخلله اجازة اسبوعية أو سنوية . ان هذا التحديد والربط بين العمل والمقابل المادي . . . لا شك قاصر عن استيعاب تلك الاوضاع التي تبذل فيها المرأة من الوقت والجهد والنشاط ولكن دون أجر « عمل ربة البيت » وكذلك عمل المرأة العاملة في داخل بيتها . . . ولو تصورنا ذلك الوقت الذي تعطيه كل أم دون حساب لو صرف في عمل بمقابل مادي ربما لنالت اضعاف ما يناله زوجها من مقابل عن عمله . ومن وجهة نظر الكثير من الباحثين في عمل المرأة يعتبرون هذا القصور في التعريف لعمل المرأة وقصره على النشاط بمقابل مادي هو الذي أدى إلى عدم تقديرنا للمردود الاقتصادي لعمل المرأة داخل الاسرة . . . وكذلك يستغرب الكثير من الباحثين لمناداة البعض بمشاركة المرأة في التنمية بخروجها إلى العمل . . . وكأن المرأة ظلت طوال القرون الماضية بمعزل عنها «التنمية» كأن من اركان التنمية الاساسية العمل بأجر . . . وقد تناسى هذا التعريف أن المرأة منذ كانت وهي تساهم في التنمية وأن مساهمتها لو تعمقنا النظر فيها هي الاساس ويكفي دورها مربية وساهرة ومنشئة لهذا الانسان الذي هو اساس هذه التنمية (أسس التنمية كما نعرف انسان ومادة وتقنية) ولذلك من الاهمية بمكان الاعتراف بدور المرأة في بيتها كدور تنموي وبمردود عملها المنزلي اقتصادياً هذا بجانب ادوارها الاخرى التربوية والتعليمية والعائلية ولذلك لا نخطيء اذا قلنا أن المرأة العاملة بالمعنى المحدود « خارج المنزل » تقوم بعملين احدهما (خارج المنزل والآخر داخله . . . بينما يقوم الرجل بعمل واحد فقط) . . . ومن هنا يمكن أن يكون لهذا العمل لدى بعض النساء مردود سلبي على اطفالهن .

وقد اشار الكثير من علماء التربية باهتمام بالغ إلى دور الاب أو زوج المرأة العاملة ، وعندنا في منطقة الخليج كلنا يعرف الدور الكبير الذي كان للاب إلى عهد قريب في بيته وخاصة في تربية اولاده ، واليوم قد تغير دور الاب الخليجي في بيته . . . خاصة في تربية اولاده « طبعاً لا أعمم ولكن نسبة لا يستهان بها » كان الاب يجلب«الأدام»ويهتم بالاولاد بكل كبيرة وصغيرة من شئونهم.اليوم تغير هذا الدور، كثيرون ومن بينهم ازواج نساء عاملات لا يقومون بأي دور يذكر في هذا المجال . . . وعلى العكس تقوم نساؤهم بكل العمل . . . بدورهن الطبيعي كأمهات وبدور الاب الغائب علاوة على عملهن داخل وخارج البيت « المرأة العاملة » وكثير من الآباء لا يعرف اصدقاء اولاده ولا في أي صف يدرسون ؟؟ . . . ويرتبط دور الاب هنا إلى حد كبير بمستوى تعليمه ووعيه بعملية التربية وما تطلبه من رعاية وجهد منه ولذلك علينا ان نرى تأثير هذا العنصر الهام في تربية الابناء « التعليم » لدى الام خاصة والاب بوجه عام ثم نأتي بشيء من التفصيل لدور المربية أو الخدم البالغ الخطورة على عملية التربية ونلخص هذه الاسباب والعناصر المؤثرة في تربية الطفل بتساؤل من الذي يقوم بعملية تنشئة الطفل ؟ بالطبع كما وضحنا الوالدان في البداية ثم الافراد الذين يعتنون بالطفل يضاف اليهم المؤسسات الرسمية متمثلة في رياض الاطفال والمدارس وكذلك وسائل الاتصال المختلفة من سمعية وبصرية هؤلاء جميعاً مسئولون عن تربيته بما يتوافق ويتواءم ومجتمعه والقيم السائدة فيه . . . والامر يتطلب تكاتفا وتعاونا جماعيين بين هذه الجهات المعنية .

ثقافة الوالدين وأثرها في تنشئة الطفل :

قبل الدخول إلى صلب الحوار ومعرفة انعكاسات عمل المرأة على اطفالها ايجابياً وسلبياً يهمني أن أوضح الصلة الوثيقة بين التعليم والتنشئة وبين التوعية وعملية التربية وعلاقتهما بالمسئولية العائلية أو الوالدية كما يسميها الاخوة في

العراق .

ان التخلف في مجتمع ما لا يأتي بسبب خروج النساء للعمل وتركهن البيت لساعات محدودة . . . لكن المجتمعات تعد متخلفة لان الام التي تربي ابناءها متخلفة وهي متخلفة لانها جاهلة وأمية ولا تعرف شيئاً مما يدور حولها فكيف تكون عادلة واذا كان مجتمعها وبيئتها قد علموها انها دون الرجل أو اقل منه وأنها تابع لآخر فكيف تعلم ابناءها ما تفتقده . وهي مستغلة من قبل الرجل ومن قبل المجتمع فلا تحتل مكانها كمواطنة لها ما لغيرها وعليها ما عليه من واجبات . . . . ولذلك يقاس تقدم المجتمعات وتطورها ليس بمبانيها الضخمة وانما بعدة مؤشرات على رأسها ارتفاع نسبة المتعلمين فيها ويقاس تخلف الامم بمؤشرات عديدة تأتي على قمتها ارتفاع نسبة الاميين فيها وخاصة ارتفاع الامية بين نساء هذه الامم لان هؤلاء النسوة هن صانعات الطفولة والاجيال فكيف يعطي التخلف والجهل تقدماً ؟ ولذلك سمينا نحن الدول المتخلفة أو الدول النامية قياساً على نسبة الاميين لدينا وسميت دول ارتفعت فيها نسبة التعليم أو انخفضت نسبة الاميين بالدول المتحضرة أو المتقدمة .

كذلك يؤثر جهل الاب أو وعيه ومستوى تعليمه في عملية التربية ويظهر اثره في علاقته بابنائه وزوجته وفي قيامه بالدور المطلوب منه في عملية التنشئة .

ولنحاول من خلال الجدول الاحصائي التالي ان نلقي نظرة على نسب الامية في عالمنا العربي وما تحمله من دلالات في عملية التربية .

جـــدول رقـــم (١)

النسبة المئوية للأميين والاميات ١٥ سنة فاكثر من العمر في بعض الدول العربية

البلـــــد	السنة	ذكور واناث	ذكور فقط	اناث فقط
الجزائر	١٩٨٠	٪٥٨,٢	٪٤٤,٤	٪٧٠,٩
مصر	١٩٨٠	٪٤٥,٧	٪٣٢,٧	٪٤٥,٧
الجماهيرية الليبية	١٩٨٠	٪٤١,٩	٪٢٤,٥	٪٦٠,٨
موريتانيا	١٩٧٧	٪٨٢,٦		
المغرب	١٩٨٠	٪٧٤,٤	٪٦٢,٣	٪٨٥,١
السودان	١٩٨٠	٪٧٨,٤	٪٦٣,٥	٪٩٢,٥
تونس	١٩٨٠	٪٥١,١	٪٣٧,٣	٪٦٣,٣
البحرين	١٩٧١	٪٥٩,٨	٪٥٠,٨	٪٧١,٥
جمهورية اليمن الديمقراطية	١٩٨٠	٪٦١,١	٢٣,٤	٪٨٩,١
العراق	١٩٨٠	٪٥٦,٥	٪٣٧,١	٪٧٦,٦
الاردن	١٩٨٠	٪٤٢,٠	٪٣١,١	٪٥٣,٤
الكويت	١٩٨٠	٪٣٧,٢	٪٣٠,٦	٪٤٥,٨
لبنان	١٩٨٠	٪٢٣,٥	٪١٤,٦	٪٣٢,٣
السعودية	١٩٨٠	٪٨٣,٨	٪٧٠,٨	٪٩٧,٧
سوريا	١٩٨٠	٪٤٥,٠	٪٢٩,١	٪٦١,٥
الامارات	١٩٧٥	٪٤٣,٧	٪٣٩,٦	٪٥٥,٨
الجمهورية العربية اليمنية	١٩٨٠	٪٩١,٧	٪٨٤,١	٪٩٩,٥

دور المرأة الاجنبية وآثارها على عملية التربية :

ركـزت دراسات علم النفس عـلى موضـوع التنشئة الاجتمـاعية للطفـل واعتبرته واحداً من اهم موضوعاتها وربطته بالنمو المعرفي ونمو الشخصية وبدور الوالدين . . . ولم تركز هذه الدراسات على دور العناصر الاخـرى المشاركـة في عملية التربية خاصة دور المربية الاجنبية .

ولا يتوفر لدينا الكثير من الدراسات في هذا المجال وان كان مؤتمر العمالة الاجنبية الذي عقد في الكويت في العام الماضي قد قام بجهد ملموس في هـذا المجال ومن خلال بحث الدكتورة جهينة العيسى يتبين لنا وجود علاقة ارتباطية بين درجة اشراف الأم على المربية وبين المستوى التعليمي للام وتوقعت الباحثـة ان الاشـراف عـلى المـربيـة يقـل في الاسـر ذات المستـوى التعليمي المنخفض كما ركزت على الآثار السلبية لقيام المربية الاجنبية بعملية التـربية بـدلاً من الام وتظهر هذه الآثار في القيم والسلوك وفي لغة الطفل وعاداته وشخصيته .

كما ان الدكتور احمد مراد مدير الدراسات بمركز الوحدة العربية قد اثبت ان دور الام يصبح اكثر هامشية مع ازدياد وجود المربيات الاجنبيات في منطقة الخليج كما ان هذا الدور يختلف حسب دور الزوجة الام في العائلة ويزداد هامشية كلما ازداد الخدم والطهاة والمربيات .

وفي دراسة لوزارة الشئون الاجتماعية والعمل بالكويت اجرتها على الاسر الكويتية التي تستخدم مربية اجنبية ولديها ابناء يتراوح عمرهم بين ٢ : ٦ سنوات ومجموعها ٩٩٦ اسرة (مجموعة تجريبية) واسر اخرى لا تستخدم مربيات اجنبيات (مجموعة ضابطة) ٣٥٦ اسرة ويعكس البحث اثر المربيات الاجنبيات في أمرين نشأة الابناء واتجاهات الوالدين. وكشف البحث عن النتائج التالية :

١ ــ الحالة التعليمية للمربيات تشكل الامية نسبة لـدى الغالبيـة العظمى منهن

(١ , ٨٦٪) وهذا يشكل خطورة في تأثيرهن على الاولاد .

٢ ــ الغالبية العظمى من هؤلاء المربيات خادمات ٨ , ٥٨٪ منهم ، يليها ٥ , ٣٢٪ يعملن خادمات ومربيات في آن واحد ، ثم ٨ , ٧٪ مربيات فقط .

٣ ــ ٥٥٪ من العّينة (المربيات) غير مسلمات ويلاحظ تأثير ذلك على تباين العقائد والطقوس والممارسات عما هو سائد في المجتمع الكويتي .

٤ ــ نسبة كبيرة من المربيات في سن الشباب (٦٤٪ اقل من ٣٥ عاماً) .

يلاحظ اثر ذلك في محاولة اشباع الرغبات والغرائز الخاصة اذا كانت مجتمعاتهن الاصلية تسمح بذلك .

ــ ٩٣٪ منهن درجة ضعيف باللغة العربية ضعيفة .

ــ الموطن الاصلي لمعظم المربيات من الريف (٧ , ٥٦٪) ومن الطبيعي وجود تباين بين معارف وسلوكيات ابناء الريف وابناء الحضر والمجتمع الكويتي حضري بنسبة ٩٥٪ ويهمني هنا ما ورد في دوافع استخدام المربيات فقد تبين ان هناك عدة مبررات كان على رأسها الأعمال المنزلية ثم كثرة الابناء يليها عمل الزوجة واسباب اخرى كالتعود على وجودهن ومجاراة الآخرين أو تفرغ الزوجة للدراسة .

للبحث نتائج هامة ليس هنا مجالها لكن ـ يهمني هنا ما سجله البحث حول حالة الام « عاملة أو غيرعاملة» ودرجة اشرافها على ابنائها واتضح من الارقام المسجلة أن الام هي التي تقوم بالدور الاكبر في هذا الشأن بنسبة ٦ , ٦٣٪ والمربية ٤ , ١٣٪ ، ويتقاسم الاثنان المسئولية في ٢٣٪ من العينة وتبين أيضاً ان الام العاملة اكثر اشرافاً واهتماماً بشئون تربية ابنائها من غير العاملة ٥ , ٦٨٪ من الامهات العاملات يشرفن على شئون ابنائهن ، ٣ , ٦١٪ من الامهات غير العاملات

يشرفن .

والنتيجة لا علاقة لعمل الام بدورها في تنشئة الاطفال سلباً الا في حالات تدني مستوى التعليم .

من هي المرأة العاملة ؟

قسمها د . احمد مراد إلى واحدة من ثلاث :

٢ ــ تقوم بالاعمال التجارية مباشرة أو بالواسطة وتشرف عليها وهذا بالطبع لا يؤثر على مهامها التربوية كثيراً .

٣ ــ تقوم بالعمل في احد المراكز الحكومية أو الجامعية أو في الشركات الخاصة وهذه الفئة تضم المثقفات وبعض نساء التجار وافراد الاسرة الحاكمة .

٤ ــ ربة بيت ملتزمة بعملها المنزلي دون اهتمام بشئون الاسرة التي اصبحت لديها من اختصاص الرجل وحده . . . وهذا النوع يتراجع دوره إلى مستوى حريم القرون الوسطى ولكن في ثوب عصري .

وفي الجدول التالي نوضح بالارقام نسبة المرأة العاملة في الخليج إلى مجموع القوى العاملة في تلك الاقطار .

ويحق لنا ان نتساءل هنا . . . لماذا تعمل المرأة الخليجية ؟

هل لحاجتها للعمل كضرورة حياتية .

ام لحاجتها للمردود الاقتصادي للعمل .

ام لان العمل فرصة لشغل الوقت .

ام انه لتحقيق الذات .

جدول يوضح نسبة الاناث العاملات في اقطار الخليج من مجموع القوى العاملة في تلك الاقطار*

النسب	الكويت ١٩٧٥	البحرين ١٩٧١	السعودية ١٩٧٥	الامارات ١٩٧٥	عمان ١٩٧٥	قطر ١٩٧٠
المواطنات العاملات الى مجموع العاملين	٢,٤٦	٣,٠٧	١,٦٩	٠,٠٢	٢,١٤	٠,٦٢
المواطنات العاملات الى مجموع العاملين المواطنين	٨,٥٢	٤,٨٧	٢,٠١	١,٠٦	٣,٠٣	٣,٦٦
المواطنات العاملات الى مجموع الاناق العاملات	٢٠,٩٨	٥٦,٨٨	٧,١٤	٤,٨١	٣٥,٧٦	١٧,٠٦

(*) د . محمد الرميحي (اثر النفط على وضع المرأة العربية) العدد ٤ من المستقبل العربي ديسمبر ١٩٨٠ .

ام اضافة ميزة إلى مزايا المرأة الخليجية .

ام ضرورة مجتمعية . . . يجب ان تعمل لأن عملها اساس من اسس التنمية في مجتمعها .

في الواقع الاجابة بدقة على هذه التساؤلات ليس هنا مجالها وان كان ما يهمني هو ان نسبة كبيرة من العاملات خاصة الخليجيات يعملن لشغل الوقت ولاضافة ميزة . . . وهذا سبب غير كاف لاننا نحن الخليجيين نمثل اقلية في دولاب العمل . وحيث لا تنمية سليمة بغير قوى بشرية وطنية لذلك فاننا يجب أن نتبنى تلك القيم التي تجعل من العمل ضرورة مجتمعية وحياتية ومستقبلية . على كل ليس هنا مجال

ذلك وان كانت له صلة بعملية التربية فالمرأة العاملة لا شك يجب ان تغرس في نفوس صغارها هذه القيم فكيف يعاون الصغير حين يكبر زوجته في مهامها اذا كان لا يؤمن بقيمة العمل . وحين يتحول العمل إلى قيمة لها مكانتها فان اطفالنا سيكونون خير من يحمل المسئولية وخير من يرعى اوطانه .

دور الام العاملة في التنشئة يزداد أهمية طبقاً لدورها كزوجة ودورها في العائلة :

لا شك ان فعالية الام في زرع القيم واعطاء المثل والقدرة لابنائها يأتي من دورها ومكانتها في الاسرة .

ان دور المرأة ينحط إلى دور هامشي اذا لم تكن مسؤولة مسؤولية مباشرة عن اولادها وزوجها وبيتها عموماً .

يقول احد الاخوة الرجال : زوجتي متعلمة وهي لا تعمل وتخصص وقتاً كبيراً للاولاد . . . الا ان اولادي تأثروا كثيراً بالمربية الاجنبية الجاهلة تأثروا بها وهي جاهلة وامهم متعلمة وايضاً امهم متفرغة لهم « وهذه ليست حالة فردية لا يقاس عليها » . هناك حالات كثيرة ونسبة لا يستهان بها . . . اذن عمل المرأة ليس هو المؤثر الرئيسي السالب لحقوق اطفالها ، لكن حتى المرأة التي لا تعمل تسلب اطفالها حقوقهم اذا لم تقم بدورها في رعاية اطفالها وتركت المربية أو الخادمة أو الجدة أو العمة تقوم بذلك . . . وقد يكون عمل الام في غالب الاحيان وغيابها ساعات (جسدياً) عن طفلها سبباً في تعويضها هذا الغياب بالمزيد من الرعاية عند عودتها لاطفالها . . . المشكلة تكمن في دور الام في الاسرة وفي عملية التنشئة وفيما تقدمه من جهد بدني وفكري في رعاية اطفالها . .

اتساءل اين دور الاب الكبير في هذا المجال؟ سمعنا عن فتية لم تتجاوز اعمارهم ١٢ سنة كانوا يضاربون في سوق المناخ . . هل الام هي المسئولة وهل عملها هو السبب ؟

الام والاب شـريكان . . . لكن في مثـل تلك الحـالات مسئـوليـة الاب اكبر . . . والحقيقة اننا لم نجر بحثاً على هذه الفئة لنعرف هل هي ابناء أم عاملة أم لا لكن الثابت ان الاب دفع بابنه إلى هذا المجال وقال له كن مضارباً . . . هل هذه هي المسئولية التي اولانا الله اياها تجاهابنائنا؟مثل هذا القرار يكون من الآباء وبالطبع بمباركة من الامهات الجاهلات والاميات . كذلك الشباب الذي ينتشر في اوروبا في اندية القمار والاندية الليلية هل هم ابناء امرأة عاملة كلهم ؟؟ ام انهم ابناء اب وأم تركوا الحبل على الغارب لهم وفي امور تربيتهم .

عمل المرأة وأثره على اطفالها :

هناك افتراض خاطىء يردده البعض ان هناك صلة وثيقة بين عمل المرأة وبين مسئولياتها كأم تقوم بدور رئيسي في عملية تنشئة اولادها وان هذا العمل في كثير من الاحيان يعكس آثاراً سلبية على هذه العملية وان العلاقات العائلية تتأثر تأثراً كبيراً بخروج المرأة للعمل سواء علاقة الزوج مع الزوجة أو علاقة الاطفال مع الام أو علاقة الام مع باقي افراد الاسرة كالحماة . وما يهمنا هنا هو علاقة المرأة العاملة باطفالها .

لماذا خرجت المرأة للعمل ؟

لا يهمنا في هذا المجال الدافع لخروج المرأة للعمل اياً كان . وتقول الدكتورة زهور الازرق في بحثها حول عمل المرأة (لم تكن المرأة في يوم من الايام انسـاناً متقاعساً منذ خلقت وهي تعمل بجانب الرجل مشتركة في بعض الميادين ، ومتخصصة في الاخرى . . . الا أن عملها كان في الماضي في بيتها طرّازه أو نسّاجة للثياب ومعها مجموعة من الفتيات وهي خياطة ومعلمة اطفـال . . . الفرق انها كانت تعمل في بيتها والآن هي تعمل خارج البيت) . وفي مجتمعنا يمثل الاعتماد

على العمالة الاجنبية مشكلة حقيقية فكيف ندير شؤوننا الانتاجية وادوات الانتاج في يد غير الكويتيين ؟ وكيف نحقق رخاء نابعاً عن تنمية حقيقة ونسبة القوى البشرية العاملة من الكويتيين نسبة تدعو للرثاء . ووفقاً لآخر احصاء اصدرته وزارة التخطيط عام ١٩٨٠ تبلغ القوى البشرية الكويتية العاملة ١/٥ القوى العاملة أي أن مقابل كل شخص كويتي يعمل يوجد اربعة وافدون يعملون. وفي هذا الـ ١/٥ تدخل القوى العاملة من النساء الكويتيات ، ولكن كم تمثل نسبة المرأة الكويتية من قوة العمل الوطنية .

حسب احصاء ١٩٧٥ تبلغ مساهمة المرأة الكويتية في قوة العمل من النساء العاملات ٨,١٪ وهذه النسبة تشكل فقط ١,٦٪ من مجموع السكان الكويتيين وفي الاحصاء نفسه (١٩٧٥) تبلغ نسبة الكويتيات عاملات وغير عاملات حوالي ٥٠٪ من مجموع السكان الكويتيين وبحساب بسيط نجد ان ١,٦٪ من ٢٨١ ألف من الاناث الكويتيات يعملن فقط وبالطبع فان نسبة منهن أمهات اذن حجم الامهات العاملات ضئيل جداً بالنسبة للامهات غير العاملات وكذلك يمكننا تصور أهمية بقاء المرأة في العمل بل وزيادة نسبة النساء العاملات باعتبار ان ذلك ضرورة للمجتمع الكويتي الذي يحتاج للعمالة الوطنية ويستطيع ان يستفيد من عمل المرأة لتعويض هذه الفجوة . . . وهذا سبب كاف وجوهري للنظر إلى عمل المرأة على انه عنصر من عناصر التنمية وليس ترفاً اجتماعياً يمكن الاستغناء عنه . . . وعلى المرأة نفسها ان تنظر له هذه النظرة وأن تكرس قيمة العمل كواجب وطني تقتضيه ظروف بلادها في نفس ابنائها من خلال دورها كأم . ولكن الا يؤثر خروج المرأة للعمل خارج البيت على وظيفتها كأم ؟ . . . وهل هناك آثار سلبية لخروج المرأة للعمل ؟ وهذا التساؤل هو الذي يوحي به عنوان البحث « طفل المرأة العاملة » كما قلت في بداية الكلام .

تقول الدكتورة زهور الازرق « ان سلبيات خروج الام إلى العمل على

اطفالها ليست اكبر من سلبيات بقائها أماً جاهلة منقطعة عن مجريات الامور في مجتمعها وبلادها على اطفالها . . . . ان الاطفال الذين يضيعون اكثر من غيرهم هم اطفال المرأة الجاهلة فقد تنشغل عنهم ذهنياً بالحديث إلى الصديقات في لغو الكلام حول التوافه . . . وقد تتركهم للخادمة أو المربية وتخرج للتسوق أو تبادل الزيارات . . . وقد تظل بجانبهم ولا تمارس معهم أية نشاطات ذهنية أو حركية أو لغوية وتتقلص لديهم فترات العطف والحنان والرعاية التي يحتاجها الاطفال من امهاتهم . . . . اننا اذا وازنا بين اطفال أم جاهلة منقطعة لتربية اطفالها وأطفال أم حصلت على درجة من الثقافة تخرج للعمل وتعود لتسهر على تربية اطفالها . . . فاننا نجد النتيجة غالباً جيدة على اطفال الام العاملة المثقفة الواعية لمسئولياتها كأم والتي تحاول جاهدة تعويض ما ضاع من وقت في عملها بعيداً عن صغارها ، ان السلبيات في مثل هذه الحال تكون على الام نفسها كانسانة يتمثل في الارهاق ولكن اي سعادة تجدها الام في السهر والعناية والبذل إلى اقصى طاقاتها تجاه ابنائها مما يعطيها شحنة نفسية على مواصلة جهادها اليومي في الاسرة وفي العمل .

وهذه السلبيات يخفف منها مساعدة الخادمة أو المربية أو التكنولوجيا المنزلية للام في القيام بالاعمال المنزلية حتى تتوفر جهود الام للقيام بالاشراف على رعاية أطفالها . . . ويجب القول هنا أن هذه السلبيات يمكن علاجها وسيأتي ذلك في حينه .

موقف القوانين من عمل المرأة :

لننظر الان في موقف القوانين من المرأة العاملة وهل تساهم هذه القوانين في حل ما يعترض الام العاملة من سلبيات تنعكس على اطفالها . . . . ثم لننظر في حقوق الاطفال انفسهم على والديهم سواء كانت الام عاملة بالمعنى الضيق أم ربة بيت وما هي الضمانات اذا قصر الوالدان نحو الابناء ؟ سينحصر حديثنا هنا بالقوانين التي تتناول العمل في الكويت والقوانين التي تكفل حماية للطفل في

الكويت لان ما يهمنا هنا هو الطفل بالكويت .

حقوق الام في قوانين العمل بالكويت :

اثناء الحمل والولادة حيث تحتاج المرأة العاملة إلى اجازة وضع لرعاية صغيرها نجد أن قانون الوظائف المدنية في المادة ٩٣ نص على أن للام العاملة في الدولة اجازة خاصة بمرتب كامل مدة شهرين للوضع لا تحسب من اجازاتها العادية ، كما يسمح للموظفة التي توفى زوجها باجازة خاصة بمرتب كامل لا تحسب من اجازاتها الاخرى لمدة اربعة أشهر وعشرة أيام (مدة عدتها) وفي مثل تلك الاحوال يتيسر للصغار ان يجدوا الأم معهم حتى يلتئم مصابهم وتستطيع الموظفة بالحكومة الحصول على اجازة امومة لمدة عام بدون مرتب .

اما قانون العمل في القطاع الاهلي فقد نص في المادة (٢٥) على حق الحامل في اجازة اقصاها ٣٠ يوماً قبل الوضع و ٤٠ يوماً بعد الوضع بأجر ويجوز للعاملة ان تنقطع عن العمل بعد هذه الفترة بدون اجر لمدة اقصاها مائة يوم متصلة أو منقطعة وذلك بسبب مرض يثبت بشهادة طبية أنه نتيجة للحمل أو الوضع . ولكن المادة (٢٦) تنص على ان حق العاملة يسقط في الاجازة السنوية اذا استفادت من الامتيازات التي كفلتها المادة (٢٥) .

وبذلك تتميز المرأة الام العاملة في الدولة عن العاملة في القطاع الاهلي . . . وحتى بالنسبة للجهتين سواء القطاع الاهلي أو الحكومي فان مدة الانقطاع للعناية بالرضيع غير كافية . . . وفي الدول الاوروبية تصل اجازة تربية الطفل إلى عامين عام بأجر وآخر بنصف اجر خاصة في دول اوروبا الشرقية . . . وقد جاء في الاعلان العالمي لحقوق الانسان فقرة ٣ من المادة ١٦ « ان الاسرة هي الوحدة الطبيعية والاساسية للمجتمع ولها حق التمتع بحماية المجتمع والدولة وما دامت الام هي عماد الاسرة ومحور عملية الرعاية وعنصر استقرارها فلذلك يجب ان يعدل قانون العمل في القطاع الحكومي والاهلي بما يضمن مزيداً من الحقوق للام العاملة

خاصة في الاجازة بأجر لتربية الرضيع .

كذلك نصت المادة ٣٥ من قانون العمل في القطاع الاهلي « على ان يوم الراحة الاسبوعي غير مدفوع الاجر » وفي ذلك اجحاف بالعاملات اللائي يتقاضين اجورهن بالساعة أو القطعة . . . وكان يجب على المشرع أن يجعل هذا اليوم اجازة مدفوعة الاجر أسوة بقانون الوظائف المدنية ، لأن حرمان العاملة من الاجر في يوم راحتها قد يدفعها إلى العمل خلاله في مكان آخر وبذلك تضار صحتها وينعكس ذلك بالضرورة على اسرتها واطفالها وقد تدارك المشرع الكويتي ذلك الامر في قانون العمل بقطاع النفط .

كما أن اجازات العامل والعاملة المرضية في القطاع الاهلي وردت في اضيق الحدود وكان المشرع مقتراً فيها وقد نص على ان للعامل الحق في اجازات مرضية خلال السنة على النحو التالي :-

ستة ايام باجر .
ستة ايام بثلاثة ارباع الاجر .
ستة ايام بنصف الاجر .
ستة ايام بربع اجر .
ستة ايام بدون اجر .

ويظهر تقتيره بالمقارنة مع نظيره في قانون العمل بقطاع النفط الذي تبلغ فيه اجازة العامل المرضية ١١,٥ شهراً في العام الواحد منها ٦ أشهر بأجر كامل . وهكذا نرى ضرر ذلك على الام العاملة في القطاع الاهلي حيث لا تكفي هذه الاجازات لكي تواجه ما يصيبها من مرض وينعكس ذلك بالسلب على صغارها .

هناك نقطة اخرى كان جديراً بقانون العمل الكويتي الأخذ بها وكانت كفيلة بعلاج الكثير من سلبيات اعتماد المرأة العاملة على مربية اجنبية أو وضع طفلها في

دور حضانة تجارية . . . وذلك بالنص على التزام صاحب العمل الذي يستخدم عدداً معيناً من العاملات بإقامة دار حضانة خاصة باطفالهن . . . وقد فعل ذلك القانوني المصري . . . وفي بلد مثل الكويت تستطيع الدولة نفسها بكل يسر وسهولة فتح دور حضانة نموذجية تحت اشرافها تطمئن فيها المرأة العاملة على صغارها ويمكن النص في قانون العمل في القطاع الاهلي على ان كل صاحب عمل يستخدم اكثر من ٩٩ عاملة عليه ان يفتح دار حضانة لرعاية اطفالهن (كما فعل القانون المصري) وغيره كثيرون وبالطبع سيطبق هذا النص على المؤسسات ذات النشاط الواسع التي يمكنها فتح هذه الدور بسهولة دون اية اعباء كبيرة .

حقوق الطفل في القانون الكويتي :

في بحث للدكتورة بدرية العوضي حول حقوق الطفل في الكويت ذكر ان هناك قصوراً في القانون الكويتي عن حماية الطفل في حالة اهمال الطفل من والديه وسواء كانت الام عاملة أو غير عاملة نضرب مثلاً ـ اهمال الام تطعيم الرضيع . . . حقيقة ان التطعيم في الكويت الزامي ، لكن ماذا يحدث لو ان الام أو الاب لم يأخذا طفلهما للتطعيم . . . لا يوجد نص قانوني يفرض عقوبة . . . وهذا بخلاف قانون التعليم الالزامي الذي فرض عقوبة على الاب وحسناً فعل المشرع الكويتي .

كما ان القانون سكت عن تقرير عقوبة على الآباء الذين يستخدمون القسوة مع اطفالهم . . . صحيح ان هذا ليس قاعدة أو طبيعياً لكنه يحدث احياناً . ففي المانيا مثلاً قانون منع القسوة على الأطفال سواء قسوة الام أو الاب أو فرد من الاسرة أو المجتمع أو الطبيب . وقد احترم القانون الكويتي الطفل ورتب له حقوقاً في قانون الجنسية واعتراف بآدميته حتى ولو كان لقيطاً وسماه طفلاً طبيعياً احتراماً لآدميته كانسان بدلاً من لقيط . . . وقد تضمن الاعلان العالمي لحقوق الطفل الذي صدر عام ١٩٥٩ حقوقاً كثيرة من بينها الوقاية من القسوة والاهمال والاستغلال وحقوقه في العناية الصحية وحبذاً لو اخذ المشرع الكويتي بهذا

الاعلان ، كما نص القانون على حقه في الحياة حتى وهو جنين في بطن أمه . ونص قانون الجزاء على عقوبات في المادة ١٧٤ ، ١٧٦ خصصت لتوقع على من يمس حقه في الحياة (جريمة الاجهاض) سواء كانت الام هي التي تجهض نفسها أو شخص آخر ولا يجيز للام اجهاض نفسها الا اذا كان الحمل خطراً على حياتها .

اجرت وزارة الشؤون الاجتماعية والعمل الكويتية دراسة على مجموعة من الاسر من بينها اسر الام فيها امرأة عاملة وأسر لا تعمل فيها المرأة الام ، وقد تبين من البحث أثر كل من :-

١ ــ الحالة العملية لربةالاسرة والنمو اللغوي لطفلها :

اثبتت الاختبارات الاحصائية عدم وجود علاقة بين الحالة العملية لربة الاسرة (تعمل أو لا تعمل) والنمو اللغوي والنمو المعرفي في المستوى الاول والثاني من الاطفال في تلك الاسر في المستوى الاول في البحث من سن ٢ ـ ٤ سنوات والمستوى الثاني من ٤ ـ ٦ سنوات وليس هنا مجال تفصيل ذلك . (ويمكن الرجوع إلى بحث الشؤون حول اثر المربيات على الاطفال) .

٢ ــ الحالة العملية لربة الاسرة والنمو النفسي :

تدل البيانات الاحصائية التي وردت في البحث على عدم وجود علاقة ارتباط بين عمل المرأة والنمو النفسي في كل من المستوى الاول والثاني للعينة .

٣ ــ الحالة العملية لربة الاسرة والنمو الاجتماعي :

في المستوى الاول من السن تأكد وجود ارتباط معنوي بين عمل الام ونمو الابناء اجتماعياً اما في المستوى الثاني من السن فلم توجد دلالة احصائية بين عمل الام والنمو الاجتماعي للابناء . . . وهذا يوضح ان العمل في حد ذاته ليس عاملاً ايجابياً أو سلبياً على الابناء ، لكن اهتمام الام ورعايتها بتنشئة وتوجيه اطفالها هو

الجانب الايجابي في عملية التربية . . . اما الجانب السلبي لهذه العملية فينتج عن ترك تلك الواجبات الاساسية للخادمة أو المربية .

٤ ــ الحالة التعليمية لربة الاسرة والنمو الاجتماعي :

في المستوى الاول لوحظ عدم وجود ارتباط بين تعليم الام والنمو الاجتماعي للابناء . . . اما في المستوى الثاني من السن فقد وجدت علاقة ارتباط وهذا يعني انه كلما ارتفع المستوى التعليمي للام زاد مستوى النمو الاجتماعي للابناء .

وينتهي البحث من وجهة نظري بخلاصة وهي توصيات ايجابية . . . ان الام هي الاساس في العملية التربوية سواء كانت عاملاة أو غير عاملة .

ارى من الواجب ان نتخذ عدة توصيات :

* دعوة الدولة إلى تنفيذ وعدها بانشاء حضانات نموذجية لاطفال المرأة العاملة تغطي كل مناطق الكويت تشرف عليها الدولة . . . وتمدها بالمشرفات المدربات على هذه المهام الكبيرة والخطيرة (ما يزال في ادراج مجلس الوزراء مشروع حضانات نموذجية في الكويت قدم منذ سنوات كان لي شرف التقدم به) .

* الدعوة إلى تغيير نظرتنا لعملية التربية تلك النظرة المحددة بالنمو الجسمي والصحي اكثر من النمو الفعلي وذلك من خلال برامج ومقالات ومحاضرات تتولاها الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة من خلال حملة اعلامية منسقة ومنظمة ودعوة الاقلام المتخصصة والجادة للكتابة في هذا المجال وإلى اعداد برنامج اذاعي وتلفزيوني لتوعية الامهات والعناية بامورهن ويشرفني لو وافقتم على السعي لدى المجلس الاستشاري للاعلام للموافقة على هذه البرامج .

* دعوة لجنة المرأة العاملة بالاتحاد العام لعمال الكويت لتبني قضية تعديل قانون

العمل في القطاع الاهلي لتحقيق مزيد من الحقوق للأم العاملة خاصة اجازتها المرضية واجازة لتربية طفلها وايضاً اجبار اصحاب العمل على فتح دور حضانة في المؤسسات التي تتحمل ميزانياتها المالية مثل هذه الدور وبشرط استخدام عدد مناسب من العمال (منشأة كبيرة الحجم) .

* الدعوة لعقد ندوة موسعة تتبناها جمعيتكم الموقرة وتشارك فيها الجمعيات النسائية والشخصيات العاملة في مجال الطفولة والتربية على مستوى العالم العربي لتقديم دراسات في موضوع (التنشئة الاجتماعية للطفل العربي) باعتبار انه واحد من اهم موضوعات التربية وعلم النفس . . . وباعتبار ان الدراسات النفسية الحديثة ركزت على هذا الفرع من العلوم وربطته بالنمو المعرفي ونمو وشخصية الطفل .

* دعوة الدارسين والمهتمين بقضايا التربية في دول الخليج إلى اجراء دراسات حول دور العناصر الاخرى المشاركة للام في عملية التربية واخص بالذكر الاب والمربيات والحضانات التجارية التي لا تتبع الدولة .

* دعوة وسائل الاعلام للاهتمام وافساح المزيد من الصفحات لقضايا الطفولة ولتعميق قيم العمل كواجب بالنسبة للمرأة وليس كترف حضاري .

* دعوة مجالس المحافظات للقيام بمهامها نحو الطفل عن طريق المعاونة في انشاء دور حضانة نموذجية وبأجر معقول وايجاد اماكن للترويح عن الاطفال في محافظاتهم فحتى المناطق النموذجية بالكويت تخلو تماماً من هذه الاماكن .

* التوعية الصحية للام ودعوة الجمعيات النسائية للقيام بدورها بتوعية الامهات العاملات وتقديم محاضرات وندوات حول مفهوم التربية كما يجب ان يكون .

* الاهتمام بالالعاب الحركية للاطفال ودعوة كلية التربية بجامعة الكويت لعمل مركز للالعاب الحركية تابع لها تجري عليه تجاربها اسوة بالدول المتقدمة .

بالنسبة لي كرئيسة لجمعية نسائية يسعدني ان افخر بدار حضانة البستان النموذجية التي اقامتها الجمعية والتي تقبل اطفال النساء العاملات والتي تطبق نظاماً تربوياً تستطيع من خلاله أية أم ان تطمئن على اطفالها . . . واعتبرها مدرسةً وأماً بديلة تربي وتنمي قدرات الطفل الجسمية والعقلية والنفسية على احدث النظم التربوية وادعوكم ومؤسسي جمعية الطفولة العربية لزيارة لهذه الحضانة .

المراجـــــع :

* مشكلات الاطفال اليومية للدكتور دوجلاس توم .
* د . جهينة العيسى « اثر المربيات الاجنبيات على الاسرة في الخليج » يناير ١٩٨٣ ، مؤتمر العمالة الاجنبية في الخليج .
* تعقيب الدكتور احمد مراد في مؤتمر العمالة الاجنبية لدول الخليج .
* الدكتور محمد الرميحي « اثر النفط على وضع المرأة العربية » .
* بحث وزارة الشئون الاجتماعية والعمل بالكويت . ادارة التخطيط ـ اثر المربيات على الاسرة ، سبتمبر ١٩٨٣ .
* بحث الدكتورة زهور الازرق في المؤتمر الثاني للمرأة الخليجية (الكويت مارس ١٩٨١) حول الآثار السلبية لخروج المرأة للعمل .
* بحث د . ماري الصايغ حول دور المرأة العربية ووظائفها .
* الدكتورة أميمة الدهان حول قياس عمل المرأة .
* دكتورة بدرية العوضي بحث حول حقوق الطفل في القانون الكويتي .
* جان بياجية ـ النمو الحركي للطفل .

* بول هـ . لانديس وجون هابر ـ التكيف الاجتماعي للأطفال ـ .

* منشورات احصائية لجنة جنوب شرق آسيا ـ الامم المتحدة جدول رقم (١) .

* احصائيات اليونسكو ـ جدول رقم (٢) .

* دراسة عن قانون العمل الكويتي للدكتور عبد الفتاح عبدالباقي .

تعقيب الدكتور محمد عوده

١ ــ حجم مساهمة النساء العربيات في النشاط الاقتصادي :

في دراسة للدكتورة ناهد رمزي تحت عنوان (البترول وأثره على دور المرأة في المجتمع العربي) والمقدمة في الحلقة الدراسية التي عقدت في أبو ظبي عام ١٩٨١ حول البترول والتغير الاجتماعي ، تبين الدراسة حجم مساهمة النساء العربيات في النشاط الاقتصادي على النحو التالي :ـ

في الجزائر ٩٢ , ٠٪ ـ في الاردن والامارات والبحرين والعراق وليبيا بما يزيد قليلاً عن ١٪ ـ في مصر حوالي ٢٪ ـ في الكويت واليمن الديمقراطية حوالي ٣٪ وفي لبنان ٤٩ , ٤٪ ـ وفي تونس حوالي ٤٣ , ٥٪ .

ولنا أن نتبين حجم هذه المساهمات عندما نقارنها بمثيلاتها في بعض البلدان الاجنبية حيث تصل إلى ٨٢٪ في المانيا الديمقراطية و ٥ , ٨٢٪ في بلغاريا ، فمساهمة المرأة العربية في القوة العاملة ما زالت محدودة جداً .

٢ ـ نظرة المجتمع الكويتي لتعليم وعمل المرآة :

في هذا الموضوع عثرت على دراستين ، الاولى أجراها الدكتور ناصر ثابت على مجتمع منطقة كيفان عام ١٩٧٤ ، كشف فيها عن ميل واضح للكويتيين لتحديد الغرض من تعليم المرأة والمتمثل في أن تكون مدرسة أو أن تكون ربة بيت مثقفة ولضمان مستقبلها .

وبعد سبع سنوات قدمت السيدة فضة الخالد دراسة عن الدور التنموي للمرأة الكويتية في ضوء نظرة المجتمع لتعليم وعمل المرأة ، ثبت فيها أن ٥٤٪ من مجتمع البحث تنظر إلى تعليم المرأة وعملها نظرة لا تتفق ومتطلبات التنمية .

من هاتين الدراستين يمكننا أن نشير إلى أن النظرة السلبية لعمل المرأة في المجتمع الكويتي ما زالت هي السائدة .

٣ ـ القهر الاجتماعي للمرأة العربية :

يمارس المجتمع بشكل عام ومجتمع الرجال بشكل خاص ، قهراً مرعباً للمرأة العربية ، ولم يستطع لا علم الرجل العربي ولا احتكاكه بالحضارات الانسانية أن يحرره من بعض المفاهيم الثقافية التي ورثها عبر الاجيال المتعاقبة والمتمثلة في النظرة الدونية للمرأة ، فهي العنصر الاضعف جسماً وعقلاً والاكثر اتكالاً على الرجل حتى في لقمة العيش ، وهي مصدر الخطيئة الاخلاقية . . . . الخ ، وقد اتخذ القهر الاجتماعي اشكالاً متنوعة ، ففي الجزائر مثلاً ما زال الرجل هناك الذي لا يطمئن على سلامة بيته الا اذا أغلق الباب على زوجته وأخذ المفتاح معه ، يحرم عليها الخروج من البيت أو حتى مجرد فتح الباب لاي طارق ، وهناك أيضاً ما زال الرجل الذي اذا ما قرر أن يتزوج يبحث عن صاحبة الصون والعصمة في القرى النائية وأعالي الجبال ، أين يجد الفتاة الطاهرة النقية ! .

ويورد الدكتور الرميحي صوراً لإضطهاد المرأة في مجتمعات الخليج مثل :

عزل النساء في بيوت خاصة بهن ، عدم السماح لهن بدخول الديوانيات الخاصة بالرجال ، عدم السماح لهن بالخروج للزيارة أو السفر إلى الخارج ، احتقار حديثهن .

وقد أضافت الآنسة لولوة القطامي (ص ١٣) بأن المرأة في المجتمع الخليجي مضطهدة من المجتمع ومن الزوج بل واحياناً مضطهدة من المربية .

٤ ـ موقف المرأة العربية :

اذا كان الرجل العربي قد ورث هذه المفاهيم عن المرأة ، فماذا ورثت المرأة عن ذاتها ؟ يمكن أن ازعم أن هذه المرأة قد ورثت الافكار التالية :-

ـ ان مهمة المرأة الاساسية هي انجاب الاطفال وأداء ما لهم من واجبات تتطلبها حاجاتهم البيولوجية الفسيولوجية وبشكل محدود النفسية ، لم أقل هنا أن من مهمات المرأة التنشئة الاجتماعية للاطفال ، فهي غالباً ما تترك الجزء الاكبر منها للاب .

ـ لا مستقبل للمرأة الا بالزواج ، والزواج عقد حماية لا عقد مشاركة .

ـ دور المرأة أن تكون سكناً للرجل وليس شرطاً العكس ، وقد حفظت المرأة العربية عن ظهر قلب (وصية البدوية لابنتها عندما كانت تستعد للزفاف)[1] .

ـ ان المرأة أقل من الرجل ، فهو الاعقل والاقوى ، بيده زمام الامور في كل شيء (واستشهد هنا بما تقوله احداهن ص ٨) .

---

(١) البدوية هي : امامة بن الحارث ، وابنتها هي ام أناس بنت عوف بن محلم من ثيبان وخطيبها حجر بن عمرو ـ أول ملوك كندة ـ ما قالته « فاصبح بملكه عليك رقيباً ومليكاً ، فكوني له أمة يكون لك عبداً وشيكاً . . . فالخشوع له بالقناعة ، وحسن السمع والطاعة ، والتفقد لمواضع عينه وأنفه ، فلا يقع منك على قبيح ولا يشم منك الا اطيب ريح » .

انني بحاجة إلى من يثبت لي أن تعلم المرأة وتأثرها بمعطيات الحضارة الحديثة قدر حررها من هذه الافكار ، أو على الاقل حد من آثارها .

٥ ــ خروج المرأة العربية للعمل كظاهرة مصاحبة للتحضر :

كما أشارت إلى ذلك لجنة الامم المتحدة للتحضر في آسيا والشرق الاوسط ـ وهي تحمل الافكار المسبقة التي أشرنا اليها آنفاً ، أو في أحسن الظروف تناضل للتقليل من آثارها ، هذا الخروج رافقته ظواهر اجتماعية اخرى خيل للبعض أنها نتاج له مثل : انحراف الاحداث ، انتشار الجريمة ، العنوسة . . . . الخ ، مما جعل المرأة محل أخذ ورد ، ما بين معارض ومدافع ، وسنورد فيما يلي حجج كل منهما .

أ ــ المعارضون لعمل المرأة :

تشير بعض الدراسات إلى وجود سلبيات نتجت عن دخول المرأة ميدان العمل،هذه السلبيات تشمل افراد الاسرة كلهم ولا تقتصر على الابناء فقط ، وفيما يلي بعض من هذه الدراسات :

ــ في دراسة قام بها شارب Sharp على عينة مكونة من ١٣٢ سيدة من ولاية واشنطن تبين أن ٤٧٪ من الامهات العاملات يعانين القلق والاضطراب في الوقت الذي لا تشعر فيه المرأة ربة الاسرة بمثل هذه الحالات .

ــ في دراسة أخرى قام بها كل من نو Noe وهوفمان وجد ان ابناء ربات البيوت في مستوى ذكائي مرتفع بالقياس مع ابناء النساء العاملات . وأن اكثر ما يشغل بال الاباء هو عمل زوجاتهم (كما لاحظته كاترين بويل) .

ــ وفي دراسة لوداد سليمان سرقس أجرتها عام ١٩٧١ بمحافظة القاهرة : تشير الدراسة لوجود تناقض بين المعايير التي يؤمن بها الزوج وتلك التي تؤمن بها

الزوجة في اسرة المرأة العاملة بخلاف ما هو عليه الحال في اسرة المرأة غير العاملة .

- تشير بعض الدراسات إلى أن عمل المرأة سيؤدي حتماً إلى اعادة توزيع الادوار داخل الاسرة ، واذكاء صراع الادوار ، مما يترك آثاراً نفسية سالبة عميقة لدى كل من الزوج والزوجة بما يمكن أن يهدد البناء الاسري .

وقد انضمت الاخت لولوة القطامي إلى هذه المجموعة بشكل عفوي (أنظر ص ٤) بقولها : المرأة العاملة خارج المنزل . . . اطفالها .

ب ـ المؤيدون لعمل المرأة :

هناك أيضاً دراسات تشير إلى ايجابيات افرزتها ظاهرة خروج المرأة للعمل منها :

- في دراسة اجراها الدكتور ناصر ثابت حول المرأة والتنمية والتغيرات الاجتماعية المرافقة في دولة الامارات العربية ، اثبت الباحث وجود علاقة عكسية بين تدني مكانة المرأة وممارسة العزل الاجتماعي عليها وبين فعالية دورها في التنمية ، ان عمل المرأة يشعرها بالسعادة ويحررها من كابوس الشبح التقليدي الذي يسود المجتمع ويعتبر المرأة كماً مهملاً ، وان احساس المرأة العربية بالقلق والاضطراب ، ما هو الا نتاج لتزايد همومها ومشكلاتها الاسرية والاحساس بأن مكانها الطبيعي هو البيت وانجاب وتربية الاطفال فقط .

- وفي دراسة لكاميليا عبدالفتاح تحت عنوان سيكولوجية المرأة العاملة عام ١٩٧٢ . اشارت الباحثة إلى أن ابناء المرأة العاملة يكونون أكثر نضجاً من الناحية الانفعالية والاجتماعية من ابناء ربات البيوت ، والى نفس هذه النتيجة تقريباً وصلت دراسة هوفمان ، حيث وجد أن بعض اطفال الامهات العاملات كانوا في حالة جيدة نفسياً واجتماعياً .

٦ ــ تصور لانماط الصراعات التي تعيشها المرأة العربية العاملة :

على ضوء ما تقدم يمكنني تصور انماط الصراعات على النحو التالي :

أ ــ صراع قيمي يدور بين المفاهيم الثقافية الموروثة لدى المرأة من جهة والمفاهيم الحديثة التي تعلي من قيمة المرأة وتعيد النظر في وضعيتها من الرجل ، وهي مفاهيم غذتها الحضارة الحديثة ودعمها استقلال المرأة الاقتصادي بخروجها للعمل المنظور ذي الدخل المادي الملموس .

ب ــ صراع الادوار داخل الاسرة يدور بين المرأة والرجل حين تحاول المرأة توزيع الادوار لتأخذ العلاقات الاسرية طابع المشاركة بدل التفرد لصالح الرجل . والرجل يستميت من أجل الدفاع عن مكاسبه التي يعتبرها هبة إلهية اعطيت له .

جـ ــ الصراع بين عواطف الامومة والنوازع الذاتية لدى المرأة العاملة فهي من جهة تكوينها البيولوجي تريد أن تكون أماً ، ومن جهة موقعها الانساني تريد أن تكون شخصية مستقلة تملك حرية الاختيار .

ان الآثار النفسية لهذه الصراعات لا يمكن الإستهانة بها ، ولعل أول من يعاني من آثارها هي المرأة العاملة نفسها ، ثم تنقل هذه الآثار إلى بيتها ليعاني منها الاولاد والزوج ، فما هي الحلول الممكنة لانهاء هذه الصراعات وخلق البيئة الاسرية الاكثر ملاءمة ؟

٧ ــ حلــول مقترحــة :

يمكن أن اطالب بالتالي :

١ ــ معاونة الرجل العربي على تحرير نفسه من عبودية المفاهيم الثقافية السلبية نحو المرأة ، واحلال مفاهيم ايجابية وذلك من خلال عملية تربوية رائدة تساهم

فيها كل المؤسسات التربوية في المجتمع .

٢ ــ تحرير المرأة من مفاهيم الدونية والاتكالية وخوفها وقلقها من المستقبل اذ هي لم تُبَعْ بموجب عقد مجحف للرجل ، وهذا لن يتم الا من خلال مناهج تربوية مدروسة واجتهادات دينية جريئة ، ورجل متحرر من سلبيات الثقافة وقوانين جرئية تحمي المرأة والاسرة .

٣ ــ أن يكون المنظور الجنسي للمرأة واحداً من منظورات متعددة تكون في جملتها المنظور الانساني للمرأة وليس هو بالضرورة المنظور الاهم والذي تبنى عليه نظرة المجتمع للمرأة ، بشكل خاص النظرة الاخلاقية .

الندوة الخامسة

التلفزيون والأطفال

آذار - مارس ١٩٨٤

النـــــدوة الخامســـــة ٢٦/٣/١٩٨٤

موضوع الندوة : الندوة والاطفال ،

المتحدث الرئيس :	الأستاذ/ محمد السنعوسي	وكيل وزارة الاعلام المساعد لشئون التلفزيون
المعقب :	الأستاذ / رضا الفيلي	مدير المكتب الفني لوزارة الاعلام
رئيس الجلسة :	د . حسن الإبراهيم	رئيس الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية
المشاركون	١ ــ الاستاذ/ انور النوري	البنك الصناعي الكويتي
	٢ ــ د . احمد بستان	جامعة الكويت
	٣ ــ د . قاسم الطرف	جامعة الكويت
	٤ ــ د . محمد جواد رضا	جامعة الكويت
	٥ ــ د . محمد عوده	جامعة الكويت
	٦ ــ الآنسة ايمان الربيعات	المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب
	٧ ــ السيدة ليلى احمد	جريدة الوطن

في مستهل هذه الورقة أرى لزاماً علي أن أقرر بأن ما أطرحه فيها من آراء ، وأعالجه من موضوعات لا يرقى في مجمله إلى مستوى الدراسات التحليلية القائمة على البحث والاستقصاء وجمع المعلومات وتحليلها وصولاً لاستخلاص النتائج التي تسمح باطلاق احكام تقويمية نسبية أو كلية ، وانما هو مجرد استعراض عام لبعض الموضوعات التي تتصل ببرامج التلفزيون أحاول فيه المزاوجة بين ما هو كائن وما ينبغي أن يكون ، ومن وجهة نظري الخاصة .

ولعل من أظهر التساؤلات التي تبرز أمام كل مشتغل أو متخصص أو معني بالتأثيرات التي يمكن للتفزيون ان يتركها في ثقافة المشاهدين بعامة والاطفال بخاصة وعلى اهتماماتهم واتجاهاتهم واذواقهم وانماط سلوكهم وقوالب تفكيرهم ، حتى على مفاهيمهم ووجداناتهم :

* ما وظائف وسائل الاعلام في المجتمع . . . والتلفزيون واحد منها ؟ .

* ما طبيعة الدور الذي تلعبه هذه الوسائل ممثلة في التلفزيون في تنمية المجتمعات المعاصرة وبخاصة في قطاع الاطفال ؟ .

* ما خصوصيات الاطفال التي تتأثر سلباً أو ايجاباً بالوسائل الاعلامية التي تبثها أجهزة الاعلام وبخاصة التلفزيون منها ؟ .

* هل تأثير التلفزيون ـ باعتباره أنموذجا لهذه الاجهزة ـ يعتبر مؤثراً وحاسماً على هذه الخصوصيات إلى الدرجة التي ينبغي معها اخضاع استخداماته لتحديدات وقواعد ضابطة صارمة ؟ .

* واذا كان الأمر كذلك ، فما طبيعة هذه التحديدات . . ؟ وما الشروط الموضوعية

التي ينبغي توافرها حتى تستطيع هذه التحديدات أن تقوم بوظائفها بالنسبة للمشاهدين الاطفال ؟ .

* وأهم من ذلك كله ما تأثير التلفزيون في الاطفال ، وماذا يريد منهم وماذا يريدون منه ، وما دوره في تربيتهم وتنشئتهم وتعليمهم ؟ .

* وأخيراً وليس آخراً : إلى أي مدى تخضع وسائل الاعلام ذاتها للتنمية باعتبارها عاملاً هاماً يلعب دوراً مؤثراً في تشكيل شخصية الطفل وتكوين اتجاهاته وتحديد مواقفه فضلاً عن اعتبارها اداة فعالة تعين في تنفيذ برامج التنمية الوطنية الشاملة على النحو المخطط لها ؟ .

ان الاجابة على هذه التساؤلات فرادي أو مجتمعة ، سوف تشكل مجمل ما سنناقشه في هذه الورقة .

*** وسائل الاعلام والمجتمع :**

يكاد ينعقد الاجتماع على أن اجهزة الاعلام والاتصال الجماهيري اصبحت تلعب اليوم الدور الحاسم والمؤثر في تشكيل اتجاهات الرأي العام ، وتحديد المواقف والاتجاهات نحو مختلف القضايا والمشكلات التي تواجهها مجتمعات هذا العصر ، فازاء التطور الهائل الذي حظيت به هذه الاجهزة سواء من الناحية التقنية أو الاساليب الفنية التي اخذت تتبعها خلال العقود الثلاثة الماضية فقد تجاوزت وظائفها مجرد نقل الأخبار وممارسة أمور الدعاية والترويح لتشمل آفاقاً أرحب ومجالات اوسع مما كان مقدراً لها . . . . حيث اصبحت تتدخل وبقوة في عمليات التثقيف والتوعية والتوجيه والارشاد أياً كان اتجاهها ومهما كانت أهدافها وبواعثها ، دون أن تخشى من تأثير أية وسائل أخرى قد تتصدى لها أو أن تحاول إعاقتها في بلوغ غاياتها .

والحقيقة التي يسلم بها جميع المتخصصين والمشتغلين برسم سياسات المجتمعات وقيادتها وتشكيل اتجاهات الرأي العام فيها ، وضبط اتجاهات التغيير فيها ، والتخطيط لبرامج انمائها ، وحتى احداث تحولات رئيسية في ابنيتها أو نظمها السياسية والاقتصادية والاجتماعية ـ ان وسائل الاعلام والاتصال الجماهيري الحديثة تكاد تكون الوسيلة الاكثر فعالية التي تستطيع أن تعينهم في أداء مهامهم والاسراع في تنفيذ خططهم ، نظراً لقدرتها على تقريب مدارك الافراد والجماعات من هذه الخطط واستيعابهم لأبعادها وتمثلهم لاهدافها ومن ثم استقطابهم حولها وضمان دعمهم لها . فهذه الوسائل بما تتمع به من قدرة على التفسير والايضاح والاقناع ونقل المعلومة وشرحها ، تظل الوسيلة المثلى والمنطقية التي يمكن استخدامها على هذه الاصعدة . وهذا ما يفسر لنا تأكيد العديد من المؤتمرات والمحافل الدولية والاقليمية على اهمية دور الاعلام في التنمية الوطنية الشاملة ، بل والتأكيد على ضرورة اعتبار الاعلام في حد ذاته مستهدفاً اساسياً من اهداف التنمية . فما التهديد المباشر والخطير الذي تتعرض له الذاتية الثقافية للمجتمعات النامية في هذه الحقبة من تاريخها إلاّ نتاجا مباشرا للتدفق الاعلامي الوافد اليها من المجتمعات الصناعية المتقدمة التي تستغل تفوقها في مجال الاتصال والاعلام من اجل تحقيق مكاسب ذاتية وتكريس مفهوم التبعية الاعلامية في ثقافة تلك البلدان ووجدانها . فاذا ارادت هذه البلدان ان تتخلص من هذه التبعية ، وأن تحافظ على مقومات ثقافتها وشخصياتها القومية ، فان عليها أن تتنبه إلى السلبيات الخطيرة التي تقع فيها في استخدامها لوسائل الاعلام والاتصال المتاحة لديها وبخاصة التلفزيون ، وأن تعي طبيعة المسئوليات الاجتماعية الملقاة على عاتق هذه الوسائل ، وأن تعمل بوحي منها .

*** وسائل الاعلام والتنشئة الاجتماعية :**

ولعل من اكثر الموضوعات التي تستحق من القائمين على تشغيل هذه

الوسائل قدراً وافراً من الاهتمام ، موضوع العلاقة بين وسائل الاعلام وعملية التنشئة والتطبيع الاجتماعيين لدى الاطفال والناشئة في هذه المجتمعات . فلئن كانت التبعية الاعلامية التي تعيشها المجتمعات النامية اليوم امتداداً منطقياً للتبعية الاقتصادية التي ورثتها عن عهود الاستعمار الماضية ، فان من المنطق أن تبدأ هذه المجتمعات بتقويم الخلل الذي اصاب ولا يزال يصيب أهم مقوم من مقـومات التنمية الشاملة ، ونعني به استثمار الموارد البشرية على نحو موضـوعي ، ولعل العناية بالانسان الفرد منذ نعومة اظفاره تشكل الاساس المنطقي والوحيد للقضاء على هذا الخلل والحد من خطورة اتساعه ، ومن ثم فان توظيف جميع الامكانات والوسائل المتاحة في هذا الاتجـاه ، يصبح ضـرورة اساسيـة في اعادة بنـاء تلك المجتمعات ومساعدتها في التخلص من جميع اشكال التبعية التي ترزح تحت نيرها بـاتجاه الـدول المتقدمـة ، ولا شك أن وسـائل الاعـلام وبخـاصـة التلفـزيـون تستطيع ان تلعب دوراً مهماً في هذا الميدان .

وهنا نتساءل : هل ينتبه القائمون على عملية التنشئة والتطبيع الاجتماعي ، وكذلك القائمون على التخطيط لبرامج التلفزيون ورسم سياساته في المجتمعات النامية ، لأهمية الدور الذي يلعبه هذا الجهاز في هذه العملية ؟ .

حقيقة أن العديد من المؤسسات والمنظمات الاجتماعية كالمدرسة والاسرة والنادي تضطلع بالجزء الاساسي من عملية التنشئة الاجتماعية ، غير أن ما هو حقيقي أيضاً ان وسائل الاعلام وبخاصة الاذاعة والتلفزيون تمارس ضغوطاً مؤثرة لاستقطاب هذه الفئة من المشاهدين حولها ، وما ينطوي عليه ذلك من تكريس القيم والمفاهيم التي ينادي بها مضمون البرامج والرسائل الاعلامية التي تبثها في نفوس افرادها . وما دام الأمر كذلك فان الاستهانة بدور هذه الوسائل في عملية التنشئـة أو تجاهلهـا سوف يتـرك آثاراً سلبيـة يمكن أن تقف حائـلاً دون بلوغها لغاياتها . ولعل الجدل الذي ما زال محتدماً بين علماء الاجتماع والنفس والجريمة ،

وكذلك المستغلين في مجال التلفزيون حول الآثار السلبية المترتبة على مشاهدة الاطفال لبرامج العنف لأظهرُ دليل على صدق ما نقول . وأياً كانت مظاهر الاختلاف أو الاتفاق حول هذا الموضع ، فان ثمة حقيقة لا يمكن انكارها وهي أن التلفزيون يتمتع بقدرة فائقة على صرف الاطفال والناشئة عن ممارسة بعض انواع السلوك التي تعتبر عناصر اساسية في عملية التنشئة والتطبيع الاجتماعي ، كما يلعب دوراً مهماً في زيادة حدة صراع القيم التي يمكن ان يتعرض له الاطفال والناشئة نتيجة ما قد يتمثلونه من القيم والمفاهيم التي تتعارض مع القيم والمفاهيم السائدة في مجتمعهم والتي تسعى عملية التنشئة لايجاد قدر كاف من تواءم سلوكهم مع أنماط السلوك وقوالت التفكير التي تنطوي عليها تلك القيم والمفاهيم الاجتماعية .

وهنا نتساءل : اليس بالامكان ضبط عادات المشاهدة عند الاطفال والناشئة باتجاه ابعادهم عند هذه المحاذير ، وبما يؤمن قيام المؤسسات الاجتماعية الأخرى بوظائفها نحو عملية التنشئة ؟ . . غير أن الاجابة على هذا التساؤل تثير أمامنا تساؤلاً آخر وهو : ما الذي يكفل التزام الأسر بضبط هذه العادات وتنظيمها ، وبخاصة في مجتمعات لم ترق في مستوياتها الثقافية إلى الدرجة التي تعي فيها ضرورات هذا الضبط وحيويته بالنسبة لهذه العملية كالمجتمعات النامية ؟ .

وما دام الأمر كذلك ، فان الأولويات التي ينبغي أن نتصدى لمناقشتها ودراستها تدور حول تحديد الحاجات التي يحققها الطفل من مشاهدته لبرامج التلفزيون ونوعية البرامج التي يقبل عليها ، والمضامين التي تنطوي عليها هذه البرامج ، ومدى مواءمة هذه المضامين لاساسيات عملية التنشئة ومقتضياتها ، هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى فان ضرورات التنمية الوطنية الشاملة في المجتمعات النامية والتي يقف استثمار الموارد البشرية في قمة اهدافها ، تتطلب من هذه المجتمعات توظيف وسائل الاعلام وبخاصة التلفزيون في هذا الاتجاه ، الأمر الذي

يفرض على المخططين لبرامج التنمية ضرورة تحديد نوعية ومضمون الوسائل الاعلامية التي ينبغي توجيهها للاطفال وتعيين الاهداف التي ينبغي العمل من اجل بلوغها . وهذا ما سنحاول في فقرات لاحقة من هذا التقرير معالجته بصورة مباشرة أو غير مباشرة .

ومهما يكن من أمر هذه القضايا وغيرها ومدى الحاحها كضرورات اجتماعية تستحق الاهتمام والدراسة ، فان ثمة حقيقة واضحة لا نستطيع انكارها وهي أن جهاز التلفزيون باعتباره وسيلة من وسائل الاعلام والذي استطاع أن يفرض نفسه كاداة تجمع في وظائفها بين التثقيف والتوجيه والتوعية والارشاد والاعلام والترويح يستطيع أن يؤثر في الكثير من خصوصيات الانسان الفرد من ناحية ، وفي الكثير من خصائص المجتمع وسماته واتجاهاته وثقافته وبخاصة المعنوية منها من ناحية اخرى .

*** إلى أي مدى يؤثر التلفزيون في الاطفال ؟ :**

ليس هناك شك في أن التلفزيون يؤثر سلباً أو ايجاباً في الكثير من خصوصيات الانسان الفرد كما اسلفنا . غير أن السؤال الذي كان يلح دائماً ولا يزال على المعنيين بتأثيرات هذا الجهاز هو : هل يمكن لهذه التأثيرات أن تكون العامل الحاسم في تحوير وتشكيل هذه الخصوصيات وبخاصة تلك التي تجنح منها إلى اتجاهات غير سوية عند الاطفال ؟

لنستعرض معاً بعض النقاط التي يمكن ان تعين في الاجابة على هذا السؤال :ـ

١ ـ الطفل وبرامج العنف والجريمة :ـ

الحقيقة أنه على الرغم من كثرة الدراسات التي اجراها علماء النفس

والاجتماع والجريمة حول هذا الموضوع ، فان هذه الدراسات لم تستطع أن تصل إلى رأي قاطع بشأنه ، بل إن بعض هذه الدراسات جاء في كثير من الاحيان مناقضاً للبعض الآخر . ولنأخذ تأثير مشاهد العنف والجريمة في المسلسلات الاجنبية على الناشئة مثلاً على ذلك ، فالقضية التي ترتكز عليها المناقشات حول هذا الموضوع تقول بأن التلفزيون يلعب دوراً كبيراً في انتشار ظاهرة العنف وزيادة حدتها وبخاصة بين الناشئة ، كما يعتبر مسؤولاً إلى حد ما عن سيادة النظرة إلى هذه المظاهر باعتبارها ظاهرة مألوفة بارزة بين خصائص هذا العصر .

وهنا نجد أن المؤيدين لهذه الفرضية ينادون بأن عرض برامج العنف والجريمة بكثافة عالية سوف يؤدي إلى تعلم الاطفال لبعض الخبرات التي تقودهم في النهاية إلى الجنوح وارتكاب الجريمة، والى تمثل العنف كقيمة اجتماعية تطبع سلوكهم واتجاهاتهم ومواقفهم نحو المجتمع . ويدللون على ذلك بأن الكثير من الاطفال الجانحين يرتكبون اعمالاً خارجة عن القانون دون وجود اسباب معقولة تعلل سلوكهم . كما أن ازدياد ظاهرة الجنوح بين الاطفال ترتبط إلى درجة كبيرة بعرض هذا الكم الكبير من برامج العنف والجريمة على شاشة التلفزيون .

أما المعارضون لهذه الفرضية فيرون بأن برامج العنف والجريمة التي يبثها التلفزيون ليست الا عنصراً محايداً لا يخشى معه ضرر أو نفع الا بالنسبة لتلك الفئة من الاطفال التي تعاني من اضطرابات نفسية عميقة تدفعهم إلى تمثل القيم الاجرامية التي تنطوي عليها تلك البرامج في سلوكهم ، وباستثناء هؤلاء فان هذه البرامج وغيرها مما يبثه التلفزيون تعتبر علاجاً للكثير من المشكلات النفسية والانحرافات السلوكية التي تعبر عن المشاعر العدائية الشريرة الكامنة في نفوس العديد من الناس وبخاصة الاطفال الذين لم يتمثلوا بعد القيم الاخلاقية والاعراف الاجتماعية السائدة في المجتمع . بل ان الاطفال يجدون في هذه البرامج ملاذاً رحباً يترجمون فيه احلامهم وما يجول في خيالهم ، الامر الذي يعتبر عنصراً اساسياً من عناصر التنشئة الاجتماعية والنفسية .

ويرد المعارضون لهذا القول والقائلون بخطورة هذه البرامج على الاطفال والناشئة ، بأن بث التلفزيون لهذا النوع من البرامج يجعل منه مدرسة ترغب الاطفال بالعنف والجريمة وتبرز الرغبة الكامنة للعنف في النفس البشرية وتكرسها وتشرح الوسائل والسبل التي تحقق لهم ذلك . غير أن فريقاً من علماء الاجتماع يدحضون هذا القول بحجة أن العنف ليس الا نتاجاً للبيئة التي ينشأ ويترعرع فيها ، فهو يظهر بالقدر الذي يسمح به المجتمع ليس الاّ .

٢ ــ ما ينبغي وما لا ينبغي للطفل مشاهدته من برامج التلفزيون :

من الموضوعات التي تختلف حولها الآراء ، تلك التي تدور حول ما ينبغي وما لا ينبغي للأطفال ان يشاهدوه من برامج التلفزيون ، ففي حين يرى البعض ان ضرورات التنشئة الاجتماعية تقتضي منع الاطفال من مشاهدة البرامج التي تنطوي على قيم أو مظاهر سلوكية تتعارض مع تلك السائدة في بيئتهم الاجتماعية أو حتى تلك التي تخص الكبار دون الصغار ، نجد أن فريقاً آخر يحبذ السماح للاطفال مشاهدة هذه البرامج بحجة ان ذلك سوف يسّرع من عملية تعلم الاطفال لما تنطوي عليه هذه القيم والمظاهر من خصائص غير سوية وتعلم كيفية تفادي الوقوع فيها عن طريق المشاهدة والاقتناع .

ومهما يكن من أمر هذين الاتجاهين في تقدير تأثير برامج العنف والجريمة في الاطفال ، فاننا نميل إلى الأخذ بالرأي الذي يأخذ موقفاً وسطاً بينهما حيث يحاول التخفيف من غلواء كلا الفريقين فيما يذهبان اليه . فمثل هذه البرامج في نظرنا لا تؤدي إلى السلوك الانحرافي الا بوجود استعدادات معينة لدى قلة من الاطفال ، كما أن مشاهدة هذه البرامج بكثافة عالية قد تؤدي إلى نوع من المحاذير التي طرحها الاتجاه الاول والتي تؤدي للأضرار بعملية تربية الاطفال وتنشئتهم اجتماعياً .

وأياً كانت الحجج والآراء التي تساق للتدليل على صحة أي من الاتجاهين

فان المغالاة في تغليب احدهما على الآخر فيه كثير من المغالطة الخطرة فالأخذ بالرأي الأول لا ينبغي أن يقوم على حساب اطلاع الطفل على المظاهر السلبية التي تسود بيئته الاجتماعية وتعريفه بأسبابها والوسائل التي تعينه على تجنب الوقوع فيها وتعليمه ماهية المحاذير التي يمكن أن تنجم عن انتهاج سلوك خارج على القيم الاخلاقية والاعراف الاجتماعية السائدة في مجتمعه ، فهذه الامور تعتبر ضرورة من ضرورات التربية والتنشئة الاجتماعية ، كما أن الأخذ بالرأي الثاني ينبغي ألا يؤخذ به على علّاته ، ذلك أن اطلاع الطفل على هذه المظاهر وغيرها من السلبيات الموجودة بالمجتمع بطريقة اعتباطية لا تؤخذ فيها اعتبارات المرحلة العمرية أو النفسية أو الفسيولوجية أو البيئية التي تحيط بالطفل لابد ان يؤدي ـ بقدر أو بآخر ـ إلى الاضرار بعملية تنشئة الطفل وتربيته . فبالقدر الذي يسمح به الانسان العادي لطفله أن يشاهد بعض برامج العنف التي تستهدف شرح مضار الجريمة والسلوك العدواني ، نجده يرفض تلقائياً وبنفس القدر ، السماح لطفله بمشاهدة تلك البرامج التي تتخذ من مظاهر العنف ومشاهد الجريمة غاية في ذاتها . فلئن كانت مشاهدة الطفل لمثل هذه البرامج لا تبسط لديه السلوك العدواني فهي ـ عل الأقل ـ تثير فيه الخوف والفزع .

التلفزيون والعلاقات الأسرية :

من المفهوم ان جهاز التلفزيون فرض نفسه على الأسرة كعضو يستحوذ على القدر الاوفر من اهتمام اعضاء الاسر واستقطابهم حوله ، كما يعتبر العضو الوحيد الذي يؤثر على سائر الاعضاء ولا يتأثر بهم ، وذلك بحكم انعدام التفاعل المبادل فيما بينه وبينهم ، ويرى البعض أن هذا الوضع الذي يتمتع به التلفزيون في الأسرة من شأنه أن يعوق من اداء العلاقات الاسرية لوظيفتها في عملية التنشئة الاجتماعية ، بل ان هذا الوضع قد يؤدي في رأي البعض ، إلى اختلال هذه العلاقات وتعرضها للتفكك فضلاً عن انه قد يتسبب في كثير من الاحيان ، في

نشوب النزاعات بين افراد الاسرة .

والواقع أنه من غير الميسور على الباحث أن يقلل من التأثيرات السلبية لهذا الوضع على العلاقات الاسرية ومن ثم على عملية التنشئة والتطبيع الاجتماعي بالنسبة للاطفال . غير ان الاسراف في تقدير خطورتها يعني اهداراً للتأثيرات الايجابية في تنمية حصيلة الأفراد من دروب المعرفة والمعلومات التي يحصلون عليها من البرامج التي يبثها هذا الجهاز .

٤ ــ تفحص الطفل لشخصية البطل ومحاكاته لافعاله . .

هل يعين في تنشئة الطفل تنشئة سوية :

ليس من شك أن الطفل كثيراً ما يتعرض لصراعات نفسية حادة بسبب الضغوط المادية والمعنوية التي تفرضها عملية التطبيع والتنشئة الاجتماعية على سلوكه ، وحتى يستقيم له الحد الأدنى من التوازن النفسي نجده يجنح كثيراً إلى الخيال واحلام اليقظة التي تتيح له ايجاد الحلول المناسبة لمواقف الاحباط التي يعاني منها والتي لا يستطيع ايجادها في أرض الواقع . هنا يأتي التلفزيون ليلعب دوراً هاماً في احداث هذه التوازنات باتاحته الفرصة للأطفال لكي يتفحصوا شخصية البطل الذي يجدون في سلوكه وافعاله ومواقفه تعبيراً عما يجيش في صدورهم وملاذاً لمعاناتهم . . . إلى هنا يمكن القول بأن دور التلفزيون في تنشئة الطفل يعتبر دوراً ايجابياً لا غبار عليه . . . ولكن ما الموقف ـ اذا كانت القيم والمفاهيم وقوالب التفكير التي تنتظم سلوك البطل تتعارض مع مقتضيات التطبيع والتنشئة الاجتماعية ؟

لقد اظهرت نتائج البحث الذي اجرته وزارة الاعلام على طفل المدرسة المتوسطة[1] أن ٦٧,١٪ من مجمل أفراد العينة الذين شملهم البحث والبالغ

(١) التلفزيون وطفل المدرسة المتوسطة :

د . سعد عبدالرحمن ، موسى راغب ، فائدة التعليم ١٩٧٤ .

١٠٠٥ افراد يميلون إلى تقليد الابطال الذين يعجبون بهم والى اتخاذ شخصياتهم مثالاً للبطولة . وعلى الرغم من أن هذا الميل لا يرقى إلى مصاف عبادة البطل بحكم المرحلة العمرية للاطفال المبحوثين ، غير أنه يعتبر دليلاً على قدرة التلفزيون على التدخل في عملية التطبيع والتنشئة الاجتماعية . فسواء كان تقليد الاطفال لسلوك البطل يتم بدافع التقليد والمحاكاة فقط أو بدافع عبادة البطل التي يتميز بها المراهقون ، فان الاطفال في هذه السن لابد أن يتأثروا بالقيم وأنماط السلوك التي تنطوي عليها مواقف البطل وتصرفاته في البرامج الروائية التي يعرضها التلفزيون .

وهذا ما يفرض على القائمين عليه ضرورة مراعاة الدقة في اختيار البرامج المعروضة وموعد بثها بحيث تتواءم مع مقتضيات عملية التنشئة الاجتماعية والنفسية للطفل وتنسجم مع اهدافها . والدليل على صحة هذا القول أن ٧٥,٧٪ من مجموع هؤلاء الاطفال ابدوا رغبتهم في أن يكونوا في سلوكهم وتصرفاتهم مثل البطل الذي يفضلونه .

وهنا يجد المسؤولون عن التخطيط لبرامج التلفزيون أنفسهم في حل من أن يتساءلوا :-

اذا كان الأمر كذلك فهل هذا يعني ان يمتنع التلفزيون عن عرض البرامج الخاصة بفئات اخر من المشاهدين والتي قد تنطوي على محاذير تتعارض مع متطلبات عملية التطبيع والتنشئة الاجتماعية للاطفال ؟

وللفصل بين ما يؤيد هذا التساؤل وبين ما يعارضه لابد أن نقرّ بحقيقة واضحة وهي أن التلفزيون ليس الا عاملاً واحداً من عدة عوامل تتدخل في عملية التطبيع والتنشئة هذه .

فكما تقوم هناك شروط تنتظم دور المؤسسات والمنظمات الاجتماعية في هذه العملية ، فان ثمة شروطاً لابد للتلفزيون ان يتقيد بها هو الآخر وهذا ما سنتناوله

في فقرات لاحقة من هذه الورقة .

٥ ــ مشاهدة الطفل لبرامج التلفزيون وأثرها في المذاكرة والتحصيل الدراسي :

من الاحكام التقويمية التي تتردد باعتبارهـا مسلمات لا جـدال حولهـا أن التلفزيون يصرف الاطفال عن المذاكرة والتحصيل الدراسي على النحو المرجو . والحقيقة أن مشايعة أي من المؤيدين أو المعارضين لهذه الاحكام على حساب الآخر يوقع صاحبه ايضاً في مصاف من يلقون باحكام تقويمية اجتهادية لا تقوم على أساس البحث والتقصي الموضوعي .

وقد حاول البحث الذي أشرنا اليه سابقاً معالجة هذا الموضوع بطريقة غير مباشرة حينما توجه للأطفـال بسؤال يستفسر منهم عن مـوعد انتهائهم من انجاز واجباتهم المدرسية ، وعما اذا كان التلفزيون يتدخل في تحديد هذا الموعد أم لا ؟

وقد أوضحت الاجابات بأن مثل هذا التدخل امر وارد حيث أن ٣٧,٦٪ منهم ينجزون واجباتهم المدرسية بصورة متقطعة بسبب برامج التلفزيون الأمر الذي يؤثر سلبياً في تحصيلهم الدراسي . ومع ذلك يحق للمسئولين عن التلفزيون ان يتساءلوا . . هل عملية تنظيم مشاهدة الاطفال للبرامج التلفزيونية تقع على عاتق التلفزيون ؟

والحقيقة ان المسئولية في هذا الأمر ينبغي ان تقع على عاتق الأسرة بالدرجة الاولى باعتبارها الوحدة الاجتماعية التي تتولى الجانب الاكبر من عملية التطبيع والتنشئة الاجتماعية للاطفال . فمن غير المقبول تربوياً ان تترك الحريـة الكاملة للطفل لكي يشاهد من برامج التلفزيون ما يشاء متى شاء . فاعطاؤه مثـل هذه الحرية يعني التخلي عن ابسط قواعد التربية والتنشئة التي تفترض وجود ضوابط وقيود تنتظم سلوك الاطفال وتصرفاتهم ومواقفهم بما يتواءم مع القيم الاخلاقيـة والاعراف الاجتماعية وقواعد السلوك وقوالب التفكير السائدة في مجتمعهم . ومع

ذلك فليس من المقبول من ناحية أخرى أن يعرض التلفزيون برامجه ـ وبخاصة تلك التي تشد انتباه الاطفال ـ في الفترات التي يفترض ان تكون مناسبة للمذاكرة والتحصيل الدراسي ، كما انه من غير المقبول أيضاً أن يعرض التلفزيون في مثل هذه الفترات برامج تنطوي على قيم وافكار وانماط سلوك تتعارض مع مقتضيات التربية والتنشئة الاجتماعية كأن تعرض برامج العنف والجريمة أو تلك الخاصة بكبار السن .

والنتيجة التي يمكن أن نخلص اليها أن مشاهدة الاطفال لبرامج التلفزيون يمكن أن يؤثر سلباً أو ايجاباً في مذاكرة الاطفال اذا ما توافرت الظروف المواتية لتكريس اي منهما . واذا كنا نسلم بحقيقة هذا التدخل فينبغي على الاسرة أن تقوم بواجبها نحو ضبط مشاهدة اطفالهم لبرامج التلفزيون كما ينبغي على التلفزيون ان يقوم بعرض برامج خاصة بالاطفال يراعي فيها استفادتهم منها ، وأن يبتعد عن عرض البرامج التي تتعارض مع متطلبات التربية والتنشئة الاجتماعية وبخاصة في الفترات التي تزداد فيها كثافة مشاهدة الاطفال لبرامج التلفزيون .

*** مشاهدة برامج التلفزيون واثرها في صراع القيم عند الاطفال :**

كلنا يدرك ان الانسان الفرد طالما ظل يمر بمرحلة الطفولة ، فهو بحاجة إلى التعلم واكتساب المهارات وتمثل القيم والمفاهيم والعادات والتقاليد السائدة في بيئته الاجتماعية . ومرحلة الطفولة التي نعنيها هنا هي تلك التي ما يزال الانسان خلالها قيد النمو العقلي والفسيولوجي والتي تنتهي بانتهاء فترة المراهقة .

وتعتبر المنظمات والمؤسسات الاجتماعية كالاسرة والمدرسة والنادي . . . الخ هي المسئولة الاولى عن تعليم الطفل وتربيته وتنشئته . ومع ذلك فان اداء هذه المؤسسات والمنظمات لوظائفها على النحو المرجو منها معرض لان يصطدم بعوامل خارجية اخرى لا تقع في نطاق سيطرتها المباشرة . ويعتبر التلفزيون من اكثر تلك

العوامل تأثيراً في هذا المجال بحكم قدرته على استقطاب الاطفال وغيرهم من شرائح المجتمع حوله والاستحواذ على اهتمامهم به ـ ذلك ان باستطاعته ـ اذا لم تراعى في اختيار برامجه متطلبات التربية والتنشئة للاطفال ـ ان يطرح ـ وبطريقة مثيرة ومشوقة العديد من القيم التي تتعارض مع القيم السائدة التي يجري تكريسها في نفوس الاطفال وبخاصة كبيري السن منهم . فهؤلاء الذين يعيشون اصلاً في صراع نفسي بحكم رغبتهم في التخلص من خصائص الطفولة التي لا يزالون ينتسبون اليها واللحاق بركب الراشدين الذي ما زال يرفضهم من ناحية ، وكذلك رغبتهم في التخلص من سيطرة الاباء ، ورفض القيم وانماط السلوك التي تصب في هذا الاتجاه ـ هؤلاء الاطفال يبقون عرضةً لمزيد من هذا الصراع اذا ما تعرضوا لقيم وافدة تقدم اليهم بصور براقة ومثيرة كما تفعل برامج التلفزيون . ولنا ان نتخيل ذلك التناقض الهائل في طبيعة تلك القيم وطبيعة القيم السائدة في مجتمعنا وبخاصة تلك القيم التي تنتظم العلاقات بين الاباء والابناء .

وهنا قد يتساءل القائمون على اجهزة التلفزيون . . . هل هذا يعني ان ترفض كل البرامج التي تنطوي على مثل تلك القيم ؟ . .

ان الاجابة على هذا التساؤل بالايجاب فيه مبالغة لا مبرر لها . فحتى مع التسليم بمضار مثل هذه البرامج على عملية التنشئة للاطفال ، فأن لها دوراً لا يستهان به في اطلاع فئات اخرى من المشاهدين على انماط الحياة الاجتماعية التي تحياها مجتمعات اخرى . . . بل ان البعض يذهب إلى القول بأن عرض هذه البرامج على الاطفال قد يثير فيهم عنصر المقارنة بالايجابية اذا جاز التعبير بين ما تنطوي عليه هذه البرامج من قيم جديدة وبين القيم السائدة في مجتمعاتنا وبالتالي يستطيع ان يتبين سمو قيمنا وافضليتها على تلك القيم بحكم قناعاتنا بها . ومع رغبتي الشديدة في الابتعاد عن هذا الموضوع والخوض في متاهات الدعوى القائمة بتأييده أو معارضته . . . فأني أميل إلى القول بضرورة ابتعاد التلفزيون عن عرض

مثل هذه البرامج في مجتمعاتنا التي تجهل قطاعات كبيرة منه المقومات الاساسية في عملية التطبيع والتنشئة الاجتماعية خلال الفترات التي تزداد فيها كثافة مشاهدة الاطفال لبرامج التلفزيون وليس ادل على ذلك من ان ٣٤٪ من عينة البحث السابق اجابوا بأن آباءهم يمنعونهم من مشاهدة بعض برامج التلفزيون في حين ان النسبة الغالبة منهم هي ٨, ٦٥٪ افادت بأن اباءهم لا يتدخلون في هذا الموضوع .

غير انه في المقابل ينبغي على الاسرة ان تمارس واجباتها نحو تنظيم عملية مشاهدة اطفالهم لبرامج التلفزيون بعامة ، وان تتدخل لمنع مشاهدتهم تلك البرامج غير المحبذة .

*** مشاهدة الاطفال للتلفزيون واثرها في ممارسة بعض المناشط التي تتصل بعملية التطبيع والتنشئة الاجتماعية :**

اظهرت جميع الدراسات الميدانية التي تناولت تأثير التلفزيون في ممارسة الاطفال لبعض المناشط التي تعتبر من ضرورات عملية التطبيع والتنشئة الاجتماعية وبخاصة ما يتصل بخروجهم من ثلة اللعب والذهاب إلى النادي وممارسة الالعاب الرياضية ، وممارسة الهوايات والقراءة والاطلاع . . . ان هذا التأثير جاء سلبياً ومتفاوتاً . ومهما يكن من امر الآراء التي حاول بها اصحابها التدليل على عدم اهمية هذا التأثير فان ثمة دلالة ينبغي ان ننتبه اليها ، وهي ان التصدي لهذا التأثير وابطال فعاليته ينبغي ان يتم من خلال التلفزيون ذاته ، وهذا يقتضي من المخططين لبرامج التلفزيون ان يبثوا برامج موجهة ومخططة بحيث تعوض ما يفقده الاطفال نتيجة انخفاض كثافة اقبالهم على ممارسة تلك المناشط . ولا ينفي هذه الضرورة قول القائمين على التلفزيون بأن على الاسرة ان تتدخل في هذا الامر فكما ذكرنا سابقاً فأن وعي الاسرة بمقتضيات التنشئة هو اولى من ان يدرك هذه الامور وبخاصة في المجتمعات النامية ، فاذا كان من العسير ان يقتنع هؤلاء

بهذه الضرورة فكيف نستطيع ان تقنع الالاف المؤلفة من الاسر بأمر يجهلون اهميته سلفاً . ان المسئولية الاجتماعية الملقاة على عاتق التلفزيون بخاصة ووسائل الاعلام بعامة هي أخطر ما يصطدم بمثل هذه المقولات وبخاصة فيما يتعلق بتربية الاطفال وتنشئتهم .

*** مشاهدة الاطفال التلفزيون وأثرها على القيم :**

لعل من أبرز القيم التي ينبغي أن تحظى بالاهتمام تلك التي تتصل بنظرة الطفل للحياة وفهمه لمعناها ومدى تأثره بهذا الفهم للقيم التي تنطوي عليها البرامج التي يبثها التلفزيون ويشاهدها الاطفال وبخاصة الروائية منها والتي تأتي في صورة افلام ومسلسلات وتمثيليات ومسرحيات .

ولا شك أن هذه القيم اذا ما جاءت متعارضة مع القيم التي يتلقونها في تربيتهم وتنشئتهم فان تراكمها واستمرار عرضها سوف يترك آثاراً سلبية من شأنها أن تعيق عملية التنشئة المرجوة . فلو افترضنا ان هذه البرامج الدرامية تركز على أن قيمة العمل الناجح تلتصق بخاصتي الثقة بالنفس والخشونة مثلاً ، وان الاخلاق الحسنة لا تكفي لبلوغه ، فلابد للطفل من أن يتأثر بها . حقيقة أن البحوث والدراسات التي اجريت حول هذا الموضوع اظهرت ضآلة هذا التأثير ، غير أنه ثابت ومستمر ولابد أن يؤثر في الطريقة التي يفكر بها الاطفال فيما يتصل بالعمل الناجح والدليل على ذلك ما أثبتته هذه البحوث من أن الاطفال الذين يتعرضون للتلفزيون هم أكثر طموحاً إلى العمل الناجح من الاطفال الذين لا يتعرضون له . ومع ذلك فليس لنا أن نعمم هذا القول على جميع فئات الاطفال . فقد أثبتت البحوث ذاتها أن الاطفال الاذكياء هم أقل تأثراً من الاطفال الأقل ذكاء بالتلفزيون في تشكيل قيمهم .

ولعل من قبيل الاستطراد ان نتساءل : ما القواعد الاساسية التي يرتكز

عليها التلفزيون في تأثيره على قيم الاطفال وآرائهم ؟

لا شك ان التوجيه والارشاد المباشر للاطفال وحتى الكبار لا يأتي بردود فعل واستجابة ايجابية كتلك التي تأتي عن طريق مباشر . ولذلك فان القيم التي يكتسبها الطفل أو يقتنع بها والآراء التي يتبناها غالباً ما يحصل عليها من البرامج الدرامية . وقد أظهرت بعض الدراسات التي تناولت هذا الموضوع ميلاً إلى عدد من القواعد التي تلعب دوراً كبيراً في تمثل الاطفال لبعض الآراء والقيم من أبرزها : تكرار عرض هذه القيم والآراء في برامج متعددة ، وعرضها بشكل يثير انفعالات عاطفية لدى الطفل ، وارتباطها باحتياجات الطفل واهتماماته كذلك فان فرصة تمثل الطفقل الذي لا يملك القدرة على التمييز ، وكذلك الذي يفتقر لوجود (كمّ) من القيم يمكنه من تقويم الآراء والقيم التي يعرضها التلفزيون - تكون اعلى منها عن أي طفل آخر .

* **مشاهدة الاطفال للتلفزيون وأثرها في المعرفة العامة :**

أظهرت بعض الدراسات التي تناولت هذا الموضوع أن تأثير التلفزيون على تنمية المعرفة العامة لدى الاطفال جاءت بصفة عامة ضئيلة ، كما جاء هذا التأثير متفاوتاً بين الاطفال . فعلى الرغم من أن الاطفال يتعلمون من التلفزيون اشياء كثيرة غير أن هذه الامور يمكن معرفتها عن طريق مصادر أخرى لو استثمر الوقت الذي يمضونه في مشاهدة التلفزيون في هذا الاتجاه . ومع ذلك فان هناك حقيقة أظهرتها تلك الدراسات وهي أن الاطفال الاصغر سناً وكذلك الاطفال الأقل ذكاء هم الذين يتعلمون من التلفزيون بدرجات أعلى من غيرهم .

وبرغم ما جاءت به هذه الدراسات فاننا بحكم تجربتنا العملية نميل إلى القول بأن التخطيط الواعي لبرامج التلفزيون الموجهة للاطفال يستطيع ان ينمي حصيلتهم من المعلومات والمعارف العامة إلى درجة كبيرة .

ولعل برنامج افتح يا سمسم الذي انتجته مؤسة الانتاج البرامجي المشترك خير دليل عل صدق ما نقول حيث اثبتت البحوث البعدية التي اجريت حوله صحة ذلك .

*** ننتقل الان للاجابة على التساؤل الذي يشغل كل المشتغلين بدراسة العلاقة بين التلفزيون والطفل وهو :**

ماذا يريد الطفل من التلفزيون ؟ وماذا يريد التلفزيون من الطفل ؟ للاجابة على الشق الأول نقول بأن التلفزيون يتمتع بقدرة فائقة على شد الاطفال اليه والتفافهم حوله . فهم يقضون قسطاً كبيراً من اوقات فراغهم في مشاهدة برامجه فضلاً عن اقتطاعه لجزء ولو يسير من اوقاتهم المقررة للمذاكرة والتحصيل الدراسي أو على الاقل ارباكهم في استغلال هذا الوقت . وهذا يعني ان هناك حاجات ملحة لديهم يشبعونها من خلال مشاهدتهم لبرامج التلفزيون . ولسنا هنا في معرض استعراض جميع هذه الحاجيات بقدر ما نحاول التعرف على تلك التي تتدخل في عملية التطبيع والتنشئة الاجتماعية مباشرة . ولعل من ابرز تلك الحاجيات تحقيق الطفل لطموحات ورغبات خيالية لا يستطيع تحقيقها على ارض الواقع . ولقد رأى البعض في هذا الموضوع ان التلفزيون يقتل الخيال لدى الاطفال حيث يتيح لهم اكثر مما يتوقعون . غير ان هذا الرأي واجه من الدراسات ما يدحضه . والحاجة الثانية تتمثل في تقديم برامج التلفزيون لاجابات توضيحية مجسمة لتساؤلات كثيراً ما تراود خيال الطفل وتعاوده دون ان يجد في بيئته الاسرية والاجتماعية اجابات شافية بدءاً بمشكلاته البالغة الخصوصية وانتهاء بمعالم الفضاء والكواكب والمحيطات والاساطير .

والحاجة الثالثة تتمثل في ان التلفزيون يساهم من خلال برامجه في حل بعض المشكلات التي يفتقدها الطفل ولا يجد لها حلاً وبخاصة ما يتصل بالاضطرابات النفسية الناجمة عن الضغوط الاسرية والاجتماعية وقيود التنشئة الاجتماعية التي

تعرض عليه دونما تقنين مبرمج يراعي المرحلة العمرية للطفل أو قدراته الذهنية وانفعالاته العاطفية وقدرته على التوافق الاجتماعي . . . الخ .

اما رابع هذه الحاجات فتتمثل في قدرة التلفزيون على تمضية فراغ الاطفال في امور محببة اليهم لا يتطلب تحقيقها منهم بذل مجهود جسمي أو عقلي أو نفسي كبير .

والحاجة الخامسة تتمثل في اشباع حب الاستطلاع لدى الطفل واستعداده للتعلم في جو من حرية الاختيار وبعيداً عن القيود النفسية أو الموضوعية . التي تفرضها الاسرة والمجتمع عليه في هذا الصدد .

هذه الحاجات تمثل في نظرنا ابرز ما يريده الطفل من التلفزيون اما ما يريده التلفزيون من الطفل فهذا امر تحكمه طبيعة المسئوليات الاجتماعية المفروضة عليه في المجتمع الذي يمثله . وبالنسبة لمجتمعاتنا ، نعتقد جازمين بأن هذا الجهاز ينبغي ان يوظف منهجياً للاسهام في تنمية الموارد البشرية لهذه المجتمعات الامر الذي اوضحناه في مستهل هذه الورقة . فمن المنطقي والمقبول على الاطلاق الاّ يستخدم هذا الجهاز في عرض البرامج دون ان تخضع هذه البرامج لعملية اختيار تحكمها قواعد واصول تتمشى مع خطط وبرامج التنمية البشرية في المجتمع . وغير ذلك يعني ان ما تبنيه المجتمعات على صعيد تنمية الجوانب المعنوية من ثقافاتها عن طريق وسائل اخرى وبصورة منهجية ، يتعرض للهدم والاندثار بفعل استخدام اعتباطي غير منهجي لاظهر وسائل الاعلام في هذا العصر قاطبة واكثرها قدرة على التأثير وبخاصة في قطاع الاطفال . ولعل افضل تحديد لما يريده التلفزيون من الطفل ينبع من دراسة التأثيرات التي عرضنا لها وغيرها ، وتوجيه استخدامات التلفزيون فيما يتجه بتلك التأثيرات على نحو ايجابي يساعد في بناء شخصية الطفل وتعليمه وتزويده بالمعلومات الجديدة ومساعدته في تمثل قيم واعراف مجتمعة والتخلص من الاضطرابات النفسية الناجمة عن احباطات طموحاته الخيالية من حاجياته .

وهذا يعني في النهاية انه مهما كانت درجة التزام المؤسسات والمنظمات الاجتماعية بأصول التربية والتنشئة الاجتماعية ، فذلك لا يقلل من ضرورة اخضاع جهاز التلفزيون إلى تحديدات صارمة في استخداماته فيما يتصل بالاطفال . بل والاكثر من ذلك ان هذا الجهاز لابد ان يستثمر لاغراض التنمية الوطنية الشاملة كما اسلفنا ، ولذلك فإنه ينبغي ان يخضع هو ذاته للتنمية ، بمعنى ان تبنى امكاناته وتعد كوادره بما يتوافق مع متطلبات التنمية الشاملة وبخاصة في قطاع الاطفال .

وحتى يتم استثماره على هذا النحو فإن الأمر يتطلب قبل كل شيء تحديد الدور المنوط به مقارناً بأداور المؤسسات والمنظمات الاجتماعية الاخرى المعنية بالاطفال وبخاصة المدرسة والاسرة وما شابههما .

ولعل اول واخر ما ينبغي ان يفهم على هذا الصعيد هو ان جهاز التلفزيون جهاز اعلامي يسعى لتقديم الخدمات الاعلامية بفروعها السياسية والاجتماعية والانمائية كما يساهم في عمليات التوعية والتوجيه والارشاد وفي مجالات نشر الثقافة والعلوم والفنون والآداب واخيراً يعنى بتقديم الخدمات الترويحية بشقيها الترفيهي والهادف .

وعلى هذا الاساس فإن استخداماته ينبغي ان تكون موزعة على جميع هذه المجالات ، ولا يحق بالتالي للقائمين على اي منها ان يتسحوذ على الخدمة التلفزيونية على حساب المجالات الاخرى ، كما ينبغي على القائمين على تلك المجالات ان يقدموا كل الاسهامات الضرورية لقيام التلفزيون باداء وظيفته .

وبالنسبة للاطفال بالذات فإن على الاسرة ان تقوم بواجباتها في ضبط سلوك الاطفال وعادات المشاهدة لديهم وفقاً لما تقتضيه قواعد التربية والتنشئة الاجتماعية ، وان لا يلقوا تبعات فشلهم في هذا الامر ـ اذا ما وقع ـ على التلفزيون . وفي المقابل فإن على التلفزيون ان يراعي هذهالقواعدقدراستطاعته عن

طريق تجنب عرض ما لا يتفق معها من برامج خلال الاوقات التي تزداد فيها كثافة مشاهدة الاطفال للتلفزيون . وهكذا ينبغي ان يكون الحال بالنسبة لجميع المؤسسات الاخرى التي تعني بهذه العملية .

تعقيب الاستاذ رضا الفيلي

أُثنّي على شكر الأخ السنعوسي لهذه المؤسسة واتمنى ان تنشط بقية المؤسسات كل في مجاله ، لان المؤسسات ما هي الا غصون لهذا المجتمع ، وهذه الشجرة ، فاذا ما اخضرت واثمرت هذه الغصون كان هناك التفاعل والعطاء .

وضع الاخ السنعوسي التلفزيون في بعد الحياة والحضارة والمجتمع . ولا شك انه ناتج حضارة تكنولوجية ، اختزل في شاشته الحياة والحضارة . والحديث عن التلفزيون في هذه الأرض وهذا المجتمع حديث ذو شجون . في يقيني اننا نعيش مفترق طرق ، وأكاد استشعر واستعيد الالم حينما ردد الاخ السنعوسي جملة تساؤلات كادت ان تشوبها القتامة واليأس في بعض الاحيان . وارجو الا نشاركه ذلك ، فهناك نسمة امل وتجدد ، وبفعل الوفاء والتصميم والعطاء من كل مخلص نستطيع تحريك السكون والقافلة وسنحقق بعض الحلم على الاقل . تاركين للشباب والاطفال الاستمرار في ان يغذوا السير بشكل ثابت وسريع .

نلتقي جميعاً بأن الاسرة هي الاساس والركيزة في اطلاق القذيفة الانسانية وهو الطفل واذا ما كانت الاسرة مصنعاً جيداً يرتكز في صناعة القذيفة على الاسس والعوامل المنطقية والعلمية والتربوية فانه ولا شك سينتج قذيفة بناءة وتأخذ مدارها في المجتمع . لا شك ان هناك عوامل مساعدة وروافد في تأكيد وتكوين هذه الشخصية التي ستأخذ دورها في المجتمع اما سلباً واما ايجاباً أو حياداً ، وهي المدرسة والمجتمع والمؤسسات الاخرى . . . في تصوري ان هناك خطين يجب ان يسيرا في تناسق وتعاون هما مؤسسة التربية ومؤسسة الاعلام . فالتربية كمؤسسة قد

اخذت مكانها وتأثيرها في المجتمع . والاعلام قد كون شخصية اخرى تواكب التربية كمؤسسة ، فاصبح امامنا الآن مؤسستان . اذا لم يكن هناك التخطيط العلمي المدروس والتجاوب والتنسيق الدقيق والتام بين هاتين المؤسستين فالنتيجة ستكون ايجاد الشروخ والتصدع ليس في شخصية الطفل وانما في شخصية المواطن في هذا المجتمع . وقبل ان تبدأ التربية والاعلام في التوجيه فيجب ان تجيبا على التساؤلات التي طرحت في الندوة اليوم ماذا نريد لهذا الطفل في المجتمع ؟ انترك الامور تسير كما تشاء الظروف، أم ان اذهاننا تصورا لها المجتمع لمائة عام من الآن نحب ان نرى هذا المجتمع في اطار ما ، بهذا الشكل في الجوانب الاجتماعية والعلمية والفنية والحضارية ؟ وهذا ينسحب ايضاً على الراشد في المجتمع .

علمت بان هذه جلسة نطلق فيها التلقائية لمشاعرنا للتعبير . ومما يؤسف له انه ليست هناك عمليات تجديد أو صيانة للمؤسسات المركزية في هذا المجتمع . والمؤسسة التربوية مثال على ذلك ، حيث هناك تناقضات في النواة وغيرها . . . حتى نصل للمدرسة وعلاقة الطالب بذاته والمجتمع والبيت . المعروف في الدول المتقدمة ان هناك عمليات تطوير وتقويم ، والتلفزيون مجمع لوسائل الاعلام المختلفة ، وله بذلك أثر ، ليس على الطفل فحسب ، بل وعلى الراشد ايضاً . وعندما اؤكد حقيقة كهذه فلست مع النظرية التي تصور التلفزيون على انه كل شيء في تكوين ذهن الطفل ، وهو ليس المشجب الذي تعلق عليه كل مساوىء ومتاعب المجتمع . التلفزيون مؤسسة يجب انتحسن استغلالها للوصول إلى نتاج افضل .

ما نعيشه الآن هو عصر تحد للتطور التكنولوجي والحضاري في العالم . يقيني انه خلال العشر سنوات القادمة لن يكون للتلفزيون كمؤسسة الدور التقليدي كما له الآن . فالمستجدات الحادثة في الفيديو وكل من Cable Tele Vesion والـ Direct Satelite وهي تبث البرامج عبر الاقمار الصناعية ستولد لدينا جميعاً ما اسميه بالاعلام الاختياري أو الانتقائي واكبر مثل على ذلك اجهزة الفيديو والتلفزيون في

البيت ، والجميع يعيشون التجربة . امام التحديات المخيفة سنكون نهباً للايدولوجيات وافكار وشركات همها تسويق بضائعها ، مستخدمة البرنامج التلفزيوني كوسيلة لاقناعنا باستهلاك تلك البضائع . امام ذلك يجب علينا ان نقف وقفة فيها كثير من التأمل والخشية ، ونحدد معالم الطريق ، ويجب ان نقول للاعلاميين والتربويين والمسؤولين ، اذا لم تريدوا ان تضعوا اطاراً أو تخطيطاً في الاطار العام للمجتمع ، فعلى الاقل يجب ان نصل إلى صيغة اتفاق على اطار محدد في التربية والاعلام لهذا المجتمع

تطرق الاخ المحاضر إلى مؤسسة الانتاج البرامجي المشترك كنموذج للعطاء التلفزيوني الصحي على الطريق،اقول ان تلفزيون الكويت قد يكون الافضل بين محطات عربية اخرى في الامكانات المتوافرة لديه في سبيل التعامل مع الطفل . الا انه اذا كنا لا نتعامل في محطات التلفزيون العربية بالشكل العلمي الدقيق مع الراشد ، فما بالنا بالتعامل مع الطفل ؟ ولنضع اسئلة على خريطة التلفزيون في العالم العربي . . . ما هي البرامج الموجهة للطفل ؟ هل انتجت بصورة صحية ؟ وهل تحمسنا ووضعنا المبالغ لانتاجها ؟ اننا ننفذ الكثير من المشاريع المختلفة ، ولكن نضن بالمال على التلفزيون في سبيل انتاج برنامج بالغ الاهمية لن يكون اقل اهمية من مشاريع اخرى . . . لان البرنامج التلفزيوني عبارة عن قذيفة ، اذا كانت جيدة فستكون ذات تأثير جيد . . . اشار المحاضر إلى قضية المال والابداع . . . ارى انه ليس هناك ابداع وتخطيط ، فنحن الآن متفوقون في قضية النقل من الآخرين ، في البرامج والبحث . وحتى في جهاز التلفزيون نفسه . ان ٧٠ ـ ٨٠٪ من البرامج مستوردة . نحن لا شك نحاول ان نحسن الاختيار في الاستيراد . . . الا ان البرامج العربية جميعاً تقع تحت خط عدم الابداع ، وكذلك الاجنبية عليها مآخذ . . . ثم هل نحن بحاجة اليها ؟ الكل يعلم ان الاعلان التجاري مهم في امريكا واوروبا والانتاج يرتكز الآن على العنف والجنس . وامام هذا المأزق فنحن

متخلفون في صناعة التلفزيون والسينما، ليس هناك اتفاق على الانتاج ، ولا خطط على الاقل لعام أو خمسة أو عشرة اعوام . . . اذن ما هي المسئولية تجاه الطفل العربي من خلال التلفزيون وبرامجه ؟ بشكل عام ، ما هي نوعية البرامج التي تقدم للطفل ؟ ان الاستثناء الوحيد هو البرامج التي بدأت مؤسسة الانتاج البرامجي المشترك بتقديمها . ففي برنامج « افتح يا سمسم » اجتمعت كل العناصر التي يجب ان تتواجد في اي برنامج . التربويون والاعلاميون والفنيون . . . ولكن بهذه نقطة في بحر .

عندما نلقي نظرة على برامج التلفزيون في المحطات ، نجدها برامج محلية منتجة بشكل اجتهادي محدود لا يتعدى في بعض الاحيان الرقصات والتعارف والصور الفوتوغرافية . . . النوعية الأخرى ، البرامج الاجنبية ، هناك الكرتون أو المسلسلات ، هذه البرامج تأتي باللغة الام . فنضع عليها الترجمة ظناً منا انها ستصل للاطفال ، ولكن ذلك لا يتحقق تماماً . اما البرامج المدبلجة إلى اللغة العربية فهناك ملحوظات . . . فبعضها نجح ولنا تحفظات على البعض الآخر . نصل إلى القول انه للاسف ليس هناك منهج أو خريطة واضحة للوصول إلى الطفل ولآرائه . . . اذ ان الجهد المستهدف ليس محدداً والمتابعات لوصول البرامج للاطفال ليست مواردة .

بخصوص برنامج « افتح يا سمسم » لن اتحدث عن هذه التجربة واترك ذلك للدكتور جواد ، هذا البرنامج الذي اثرى الصناعة التلفزيونية في العالم العربي ، والذي اتمنى ان يؤخذ كنموذج ، وكمثل يؤمن به المسؤولون في محطات التلفزيون في اطار الانفاق ثم الانفاق ثم الانفاق ، لان النتيجة ستكون طيبة . اما البرامج التي تبثها محطات تلفزيون الخليج للكبار فلها تأثير على الصغار شئنا أم ابينا . لم نصل للآن لتحديد الاوقات بالنسبة للاطفال لمشاهدة التلفزيون . وقد حدثت بعض القضايا امام التربويين كانعكاس لما يشاهده النشء في

التلفزيون . . . من البرامج التي تؤثر هنا المسلسلات والافلام العربية ، للاسف كلها تدور في محور مكرر ، حتى المقتبس منها من الادب العالمي والاعلان التجاري على قلة بثه وعلى قصره الا ان تـأثيره كبـير ومهم . وقد يفـوق احياناً البرامـج الاخرى ، لان الاعلان يحدث تحريضاً وضغطاً معنوياً ، حتى على الآباء والامهات لتلبية رغبات الصغار .

اما موضوع الفيديو كاسيت فهو احد انواع الاعلام الاختياري ، والاقبال عليه شديد الآن كما نعرف . وهناك نوعيات خاصة من البـرامج تسـرب بطرق مختلفة . نقول اننا في مأزق وفي منعطف طريق ، ومع ذلك يجب الا نقنط فالحياة هي تحد وثبات وانتصار .

نتوجه اخيراً إلى فئات اربع كي تتحرك وتعي مسئولياتها بشكل جيد .

١ ــ الاعلاميـــــون :

القادة الذيـن يعملون في اجهزة الاعلام المختلفة .

٢ ــ التربويـــــون :

وهم لا غنى عنهم . وقد آن الاوان كي ينصهر الاعلاميون والتربويون في مؤسسة واحدة ، وكـذلك ان يكـون للدولة دور في ذلـك ، وان يكون العـطاء والمسئولية مشتركة بينهما حتى لا يحدث الشرخ والتصدع في انسان المجتمع .

٣ ــ الذين يصنعون البرامج بشكل تجاري :

عليهم ان يسعـوا ويتحملوا دورهم الاعـلامي التــربـوي المسؤول . . . فليربحوا ولكن ليس على حساب الاحاسيس والمشاعـر ، والافكار . . .

٤ ــ اخيراً اولياء الامر :

الاهل يجب ان يكون لهم دور ايجابي كل في موقعه . . . ان التلفزيون بمفرده لا يستطيع ان يعمل . فما هو الا امتداد لهذا المجتمع ، فيجب ان يكـون هناك التفاعل المطلوب بين التلفزيون والمؤسسات الاجتماعية المختلفة . . . . وشكراً .

مناقشات

الدكتور حسن الابراهيم :

نشكر الاستاذ رضا الفيلي على هذه الكلمات العميقة التي تدل على تجربة سابقة في هذا الحقل . لقد التقى المتحدثان على أهمية الاسرة والمدرسة ، واطمئنهم بأن جمعيتنا مهتمة بموضوع الاسرة والمدرسة ، ودورها في تنشئة الطفل . وأتمنى ان يركز الحوار على دور التلفزيون في التنشئة . وقبل البدء في الحوار اشير إلى ان الاستاذ رضا اشار إلى موضوع غاية في الاهمية تابعته أنا شخصياً لفترة من الزمن وهو وصولنا بعد مرحلة معينة إلى موضوع الانتقاء الاعلامي . فقد انتفى بشكل قاطع موضوع الرقابة الاعلامية . لسوء الحظ ان الاعلاميين العرب لم يخططوا لحد الآن للمرحلة المقبلة ، وهي مسألة رئيسية بدأت اليونيسكو ببحثها قبل (٥) سنوات . اننا نشاهد غزواً اعلامياً كبيراً سيضيف مسئوليات على الاعلاميين في الوطن العربي . سيأتي اليوم الذي تنقضي فيه الرقابة على ما نشاهد ايضاً .

الدكتور محمد عوده :

أنا اتصور اننا كآباء لم نصل إلى درجة من الوعي عن حب الاطفال للتلفزيون . ليس فقط الطفل العربي هو الذي يحب التلفزيون ، فالطفل في امريكا يقضي وقتاً كبيراً امام التلفزيون ، واطول مما يقضيه في المدرسة . . . وهذا اضعاف ما يقضيه في التفاعل الاسري ، اذن علاقة الطفل بالتلفزيون علاقة انسانية في جميع المجتمعات . وليست مشكلة كبيرة . النقطة الاخرى ـ كما ذكر الاستاذ رضا هي ان برامج التلفزيون للجميع وليست للاطفال فحسب . وفي الدول الأخرى تكون

هناك اشارة تشير إلى ان هذا البرنامج يصلح أو لا يصلح للصغار ، وهذا غير موجود في التلفزيونات العربية . . . فهل يترك هذا الامر للآباء ؟ وشكراً .

الدكتور احمد بستان :

هناك بعض التساؤلات والمواضيع ، ومنها التناقضات في المجتمع المدرسي ، لا شك ان التربية لا تعمل في فراغ ، بل في مجتمع ، وهي عملية اجتماعية متداخلة ومتكاملة . ولا شك ان التلفزيون له دور كبير في ذلك . وكل القيم الاجتماعية التي يعالجها التلفزيون في برامجه تولد نوعاً من التقليد والتقمص . لذلك فموضوع الخيال والابداع قد يترك اثراً سيئاً على سلوك الطفل في المدرسة . واثني على ما طلبه الاخ رضا من ضرورة التفاعل بين الاعلاميين والتربويين لأيجاد استراتيجية تربوية اعلامية لبناء الانسان في الكويت . والامثلة كثيرة من دول العالم .

الاستاذ انور النوري :

وجهة نظري ان التلفزيون قد وجد بالبيت أصلاً للتسلية . ومن مسئولية القائمين عليه تحويله إلى شيء يستفيد منه الصغار والكبار . وننهي تلك النظرة بأن الطفل مهمل اذا ما شاهد التلفزيون . وتعتبر هذه مهمة صعبة ، فهي خلط للثقافة والتعليم مع التسلية ، ولابد من الموازنة ، وكل ممنوع مرغوب ، والمسئولية تقع على الآباء في تنظيم أوقات المشاهدة للاطفال ، والعملية مشتركة . . . واثني على ان برنامج « افتح يا سمسم »فقد جمع بين التسلية والتربية معاً .

الدكتور قاسم الصراف :

نحن كتربويين كنا ننتظر من الاعلاميين ان يقولوا كثيراً ، وقد فعلوا ذلك ، وهناك نقطتان :

أولاً : طالما نحن نعيش في العالم الثالث ، فدور الاعلام هو القضاء على

التنقاضات وخصوصاً التي يعيشها الاطفال . فقد اشير إلى ان للتلفزيون دورني للتخلص من التناقضات ، الاول تعويضي بمعنى ان يقوم التلفـزيون بتعـويض بعض الاشياء التي تفوتنا في مضمار الحياة النمائيـة . . . والدور الثـاني بنائي ، كغرس بعض المفاهيم لدى الناشئة كالمفاهيم الجماعية ، والاجتماعية والاقتصادية والدينية وغيرها .

ثانياً : يستطيع الجهاز الاعلامي أن يتعاون مع التربويين في القيام بكثير من الدراسات العلمية والميدانية التخصصية المتعلقة بالطفل . التي يمكن بعدها تحديد نوعية برامج الطفل ، والا فان التلفزيون يصبح جهاز تسلية فقط ، ونهمل دوره التربوي .

الدكتور محمد جواد رضا :

يبدو لي من النقاش ان هناك سؤالين لم يطرحا بشكل مباشر :

١ ــ هل التلفزيون اداة للمحافظة أم للتغيير ؟ ان من يشاهد البـرامج يجـد ان النقيضين يجتمعان في آن واحد . فهناك مثلاً برامج عن سنة (٢٠٠٠) ثم نعود نشاهد برنامجاً من الصحراء . . . مع ما بينهما من تناقضات ، وهذه هي نقطة الرمال المتحركة في فكر الانسان ، فهو لا يدري على أي ارض يقف . . . هل يرجع للوراء أم يتوجه للمستقبل .

٢ ــ ما هو مركز الاهتمام في العمل التلفزيوني ؟ هل هو الطفل أم شيء آخر . . . . في امريكا يتخلل الاعلان التجاري البرامج كلها . . . وفي الاتحاد السوفياتي كل شيء موجه سياسياً ، من الكارتون والمسرحيات إلى غيرهـا . بالنسبـة للتلفزيون العربي ، القضية ليست محسومة ، فالتلفزيونات العربية لا تعيش على الاعلان التجاري . . . والبديل لذلك ان الدوافع السياسية تتحكم في العمل التلفزيوني الموجه للاطفال سواء كان واعياً أم غير واع .

أشار الاستاذ رضا إلى برنامج « افتح يا سمسم » وانا اعتقد ان هذا البرنامج من التجارب الكبرى التي مررت بها شخصياً ، ولم اعرف قيمة العمل التلفزيوني الا بعد عملي مع « افتح يا سمسم » . عند بدء العمل في البرنامج اتخذنا قراراً ان البرنامج يجب ان يكون اداة للتغيير . واذا كان هناك مجال للمحافظة فيجب ان يكون ذا طابع مستقبلي ، بمعنى اننا قلنا ان هؤلاء الاطفال هم رجال المستقبل وراشدوه . . . . ويجب ان يكون البرنامج عنصر تنمية بالنسبة لهم . ومن أمثلة التغيير اصرارنا على ان تكون اللغة الفصحى الميسرة هي لغة البرنامج ، ؟ رغم الصراع الداخلي في اللجان لانتاجه بلهجات ثلاث . حيث؟ ذلك سيكون أداة تقسيم جديدة . ثم وضعنا اهدافاً عليا : التغيير في السلوك الاجتماعي ، وتقوية روح الجماعة عند الاطفال ، يجب أن يكون هناك تغيير في حجم المدركات العقلية التي يستطيع الطفل استيعابها قبل ان يصل إلى المدرسة الابتدائية ، حيث تغنيه بدورها عن كثير من أوليات المعارف التي يأخذها الاطفال في السنوات الاولى . وفي الناحية الجمالية قلنا ينبغي ان ينشأ الطفل متذوقاً ، واردنا له ان ينال تربية دينية متميزة بمعنى ان يأخذ جوهر الدين وقيمه . وتجاوزنا التفاصيل الاخرى التي تحركها البرامج التاريخية والدينية التي نشاهدها في برامج التلفزيون .

بهذا (التوجه الجذري) ، وعندما حضرنا مؤتمر الدول التي تبنت هذا البرنامج في امستردام في مايو ١٩٧٨ جاءت الحلقتان الرائدتان لبرنامجنا في المرتبة الثانية؟ وكانت افكارهما بالاجماع محل ثناء كبير من الوفود الامريكية اللاتينية خاصة . وما قاد إلى هذا النجاح هو اولاً الاستقلال الذي عملت به المؤسسة في حياتها الاولى دون تدخل ، ثم اجراء التجارب لجميع الافكار في كل من القاهرة وتونس وعمان والكويت ، وهذا انار الطريق وجعلنا نتجنب العثرات .

وقد تعرض البرنامج ، رغم نجاحه لعدة عثرات . فهو لم يستعمل من قبل التلفزيونات العربية استعمالاً تربوياً كاملاً بحيث يعرض ايام العمل المدرسي

(سبتمبر ـ مايو) وتجري خلال الستة اشهر الاخرى عملية التطوير اللازمة للبرنامج . فقد كان مفروضاً ان يكون هناك ثبات في عملية العرض وهذا لم يتم وبذلك خسرنا تربوياً ومالياً ، لقد اضطربت التلفزيونات العربية في هذا المجال ، فالبعض قدم حلقتين كل اسبوع ، وبعضها عرض افتح يا سمسم مع برامج تسلية اخرى ، مما افقده قيمته التربوية . . . والذي اعرفه ان تلفزيون دمشق وحده هو الذي عرض (افتح يا سمسم) عرضاً جعل الفائدة التربوية منه متحققة . من ناحية اخرى ارى ان بعض الزحوف السياسية بدأت تدخل؟ للبرنامج ، حيث فرض علينا ان نمدد الحلقة العمرية التي يتوجه اليها البرنامج بدلا من ابقائها من (٣ ـ ٦) سنوات . . . وكان التقليل في المخصصات المالية كبيراً . فيما يتعلق بالمضمون التربوي يبدو لي ان التوجيه يكون نحو المستقبل ، بمعنى ان يؤخذ من الماضي جوهره الانساني لدعم المستقبل ، وهذا أفضل من بقاء التلفزيون كجهاز تشتيت للضمير الانساني بين الماضي والمستقبل .

الدكتور حسن الابراهيم :

شكراً للدكتور جواد على هذا العرض الجيد . وقد كان ضمن مدعوي اليوم الاستاذ ابراهيم اليوسف . ولسوء الحظ اضطر للسفر في مهمة . . . وانا متأكد من انه كان سيكون سعيداً جداً بعرض الدكتور جواد عن تطور هذا البرنامج .

السيدة ليلى احمد :

قال الاستاذ السنعوسي أن التلفزيون قد استطاع اثراء الطفل من خلال الابداع والتذوق ، وعلق احد الاخوة الدكاترة بأن علاقة الطفل علاقة انسانية بالتلفزيون . وفي بعض بلدان الغرب يعلن عن افلام أو برامج انها غير صالحة للاطفال . وهذه غالباً افلام جنس أو عنف . . . وفي رأيي ان خطر افلام الجنس والعنف واضح وبين . والتلفزيون الذي يصور ويبني علاقة انسانية يعود ويدمر مرة

ثانية نفسية الطفل من خلال برامج الاطفال التي تعج بها تلفزيوناتنا ـ مثل خوارق « جرانديزر » و « سوبرمان » ، وصورة الامريكي العادي الذي ينقذ الشعوب من الظلم ، عدا عن الشعور بالقزمية اتجاه الاوروبي ، وهذا الدمار النفسي اشد من افلام الجنس والعنف . كذلك من رأيي ان مشكلة التلفزيونات في العالم الثالث هي تبعيتها لوزارات الاعلام مع غياب التخطيط .

الآنسة ايمان الربيعان :

أنا اتساءل عن الرقابة . الرقابة موجودة ومعروفة للجميع ، نعرف اثر التلفزيون في النشء ، ولكننا لا نرى الرقابة في بعض البرامج المباشرة الموجهة للطفل ، وهناك مثلاً المصارعة الحرة . . . وانا اعرف ان هناك بعض النصوص ترفضها رقابة الكويت لعنف اسلوبها . . . فما بالك بالاشياء التي يراها الطفل ، مما يجعله يقلد ما يرى . . . وكذلك افلام الكرتون ذات تأثير نفسي احباطي على الطفل مثل مسلسل « نحول » الذي يولد خيبة أمل مستمرة لدى الطفل .

الدكتور حسن الابراهيم :

ذكرتني الآنسة ايمان بسؤال كنت اود طرحه على الاستاذ السنعوسي . . . الا وهو ما هي ميكانيكية اختيار أفلام الكرتون ، ومن يساهم بالاختيار ؟ وهي كلها آتية من امريكا ، اوروبا ، اليابان ، ولكل ميزات معينة .

السيد محمد السنعوسي :

ليس الوقت كافياً للرد على الاسئلة المطروحة . كذلك هناك وجهات نظر مختلفة . . . أولاً ان الورقة المقدمة الليلة تجيب على الكثير من التساؤلات . . . بالنسبة لدور الاعلام والتناقضات . . . هذه تعتبر جزءاً من التناقضات في المجتمع ، ولكن دور الاعلام يتوقف باختصار على المؤثرات في المجتمع ككل .

والمهم هو الابداع في الجانب العلمي الحر وليس المحدود برقابة ذاتية أو غيرها . في المجتمعات العربية ضغوط مختلفة على اجهزة الاعلام والحرية محدودة في التصور والعمل . علاوة على انها صناعة دقيقة جداً ومعقدة ومختلفة . وهذه كلها تحد من خروجنا من القالب التقليدي للصناعة ،حصل في مؤسسة الانتاج وتحصل احياناً نوع الـ Co - Production والاستعانة بخبرات مختلفة . بخصوص مشاهدة الطفل للتلفزيون ، الطفل يستفيد من التلفزيون دون شك ، ولكن اركز هنا على دور الوالدين في الموازنة بين المشاهدة المفيدة وغير المفيدة . التلفزيون لا يسيء للاطفال ، وانا اعتبر الوالدين مسؤولين عن تربية اولادهما . . . والبرامج التي للاطفال لم توضع كي يتسمر امامها الطفل دون رقابة الاهل . اما الرأي بان الاعلام يجب الا يدعم من الدولة فهذا خطأ كبير ولا يمكن ان يحصل كممارسة حقيقية وفعلية . لان المجتمع لا يستطيع ان يساهم في ذلك . ولكن على الدولة أن تفهم هذا الدور ، وتعطي للأجهزة نوعاً من الحرية المسئولة . من جهة اخرى يجب ان يكون التلفزيون مسلياً ، لانه يعوض نقص الكثير من المناخ والطبيعة في الكويت ، وهذه في رأيي عقدة الصناعة .

بالنسبة لميكانيكية اختيار افلام الكرتون . . . الفيلم الكرتوني يعرض في التلفزيونات العربية وغيرها لانه شيق . . الطفل عندنا لا يفقه من هذه الأفلام الا الصوت ، مع ان كثيراً من هذه الافلام لها رسالة رائعة للطفل ، ولكن لا يفهمها . ورغم تخصيص فترة للاطفال (من الساعة ٥ ـ ٨ مساء) في تلفزيون الكويت الا انني متأكد من ان فيلم الكرتون يجذب الطفل بشكل أكبر. اما اختيار هذه الافلام فيتم على ان الاولوية للمسلي منها والمشوق ، ثم نبحث في كل فيلم عن الاشياء التي لا توافق ثقافتنا وحضارتنا وتقاليدنا . . . . نحن نبالغ ونضخم الامور بالنسبة لاثر التلفزيون في الطفل بانه يخرب فقط . وهذا غير حقيقي ، واذا كانت عبارة (للكبار فقط) لا تظهر في الافلام والبرامج عندنا فهذا يعود إلى ان كل المعروض يختلف

تماماً عما يعرض في الدول الاخرى ، ثم الامر يتوقف على الاسرة . ولدينا مركز دراسات في وزارة الاعلام يقوم بدراسات واستفتاءات وهناك لجان تقوم بدراسة واختيار هذه الافلام .

الدكتـــور حســـن الابراهيـــم :

هل هذه اللجان مطعمة باساتذة من جامعة الكويت ؟

السيـــد محمـــد السنعوســـي :

ليس بالضرورة . . . واعتقد انه يكفي ان يكون الانسان قادراً على الاختيار المطلوب وله خبرة في هذا المجال وفي المجتمع .

الاستـــاذ رضـــا الفيلـــي :

لا اتصور ان يكون هناك مزاحمة بين الاسرة والتلفزيون بل المطلوب هو التكامل . وهناك جهاز تقصي في تلفزيون الكويت اعتقد انه الوحيد بين المحطات العربية الاخرى . . . . والمطلوب هو الاستفادة من التقصي في عملية التطوير . واعتقد ان تلفزيون الكويت يأخذ الاوقات الاكثر ملاءمة لعرض برامج الصغار وكـذلك بـرامج الكبـار . تطرق الـدكتور بستـان إلى التناقض داخـل المؤسسة الاعلامية ، انا اتصور ان راسمي السيـاسة التلفـزيونيـة وغيرهم في التلفـزيون يأخذون هذا الامر بكثير من القدسية ولا يسمح بتجريح قيمة اجتماعية فيما عدا الفلتات الصغيرة التي لا تتكرر .

تطرق الاستاذ انور النوري إلى قضية ماذا نريد من التلفـزيون ، وقضيـة تحويل التسلية لتسلية مفيدة ، وهي قضية مهمة ، واتصور ان هدف التلفزيون هو خلق الترفيه والتسلية ثم تحقيق ما نريد من ابداع وبناء ، ويمكن الوصول إلى صيغة ما في هذا المجال .

اثار الدكتور جواد قضية التغيير والمحافظة ، وانا اتصور ان التلفزيون يجب ان يكون اداة للتغيير . ولكن يجب أن نعرف ماذا نريد ان نغير .

تطرق الدكتور قاسم الصراف إلى قضية الدور التعويضي . . . وانا ارى ان التلفزيون في الدول الاخرى قد تخطى هذا الدور إلى الدور البنائي والتعليمي ، مثل تجربة الجامعة المفتوحة في بريطانيا وبعض مناطق امريكا . وهناك برنامج الافق في تلفزيون الكويت . واخيراً اشار الاخ السنعوسي إلى الرقابة واشاركه انه يجب الا يكون هناك حظر على الاشياء الايجابية . . . فاذا اتفقنا على ان التلفزيون هو للتغييرفكيف نطبق الرقابة .

الدكتـــور حســـن الابراهيـــم :

شكراً جزيلاً للاخ الاستاذ رضا الفيلي . . . في نهاية الندوة اكرر شكري للجميع والى اللقاء في ندوة اخرى .

النَدوة السادسَة

رجولَة الصّغار أم طفولَة الكبار

نيسان-إبريل ١٩٨٤

النـــــدوة السادســـــة ٣٠/٤/١٩٨٤

موضوع الندوة : رجولة الصغار أم طفولة الكبار :

المتحدث الرئيس :	الدكتور بدر العمر	مدير مركز التقويم والقياس جامعة الكويت
رئيس الجلسة :	د . حسن الابراهيم	رئيس الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية
المشاركون	١ ــ د . عبد الله الدنان	جامعة الكويت
	٢ ــ د . قاسم الصراف	جامعة الكويت
	٣ ــ د . محمد جواد رضا	جامعة الكويت
	٤ ــ د . محمد الحداد	جامعة الكويت
	٥ ــ د . محمد عودة	جامعة الكويت

ان هذه المحاضرة عبارة عن مجموعة من الآراء تتقاذفها افكار الباحث في موضوع يعتبر من اهم الموضوعات التي تتعلق بحياة الفرد وبمستقبل الاجيال . وهذا الموضوع هو موضوع التربية . واختيار هذا الموضوع جاء نتيجة شعور المحاضر بوجود خلل من نوع معين في نظامنا التربوي ، قد يؤدي هذا الخلل إلى خلق أنماط من الشخصية لا تكون لديها القدرة على البناء . ويشعر المحاضر بان نموذج الانسان الموجود في الوقت الحاضر ليس هو النموذج المطلوب لمعايشة ظروف هذا العصر . وهذا النموذج ما هو الا وليد هذا النوع من التربية . وفي حديثي إليكم اسمحوا لي أن اطرح بعض المصطلحات لتعيننا على بلورة الفكرة الاساسية من هذه المحاضرة .

الطفولـــــة :

الطفولة بحسب تعريف علماء النفس هي المرحلة العمرية التي تمتد ما بين ساعة الميلاد إلى دخول الطفل مرحلة المراهقة . وتنقسم هذه المرحلة في كثير من الاحيان إلى مجموعة مراحل (مرحلة الطفولة المبكرة ـ الوسطى ـ المتأخرة) ونتيجة لطول مرحلة الطفولة تتغير الخصائص الجسمية ، الشخصية ، العقلية ، الانفعالية والاجتماعية للطفل خلال مروره بهذه المرحلة . **واهم ما يميز مرحلة الطفولة كونها مرحلة اعتماد على الغير لتوفير جميع احتياجات هذه المرحلة .**

وتختلف المجتمعات من حيث تعاملها مع الطفولة ، وبناء عليه فقد تطول هذه المرحلة أو تقصر بحسب طبيعة المجتمعات . فنجد أن بعض المجتمعات تحمل

اطفالها المسئولية في وقت مبكر ومجتمعات اخرى (مثل مجتمعاتنا) تطلق عليهم مسميات تنفي عنهم صفة القدرة أو المعرفة فالمجتمعات الخليجية مثلاً تطلق عليهم لقب « الجهال » ومفردها « جاهل » وبالتالي فانها مرحلة انتفاء المسئولية عن التصرفات التي تصدر منهم .

الرجولـــــة :

ترتبط الرجولة بمرحلة الرشد بحسب تصنيف علماء النفس . وتتصف هذه المرحلة باكتمال النضج من حيث التفكير والانفعالات وما يرتبط بذلك من تصرفات . فهي مرحلة المحاسبة والقدرة على العطاء . وفي مجتمعاتنا تنشد هذه المرحلة غاية لذاتها ، حيث يوصف الفرد بأنه رجل .

والسبب الذي يدفعها للأقتصار على مفهوم الرجولة هو ليس الانتقاص من حق المرأة بل ان مجتمعاتنا في الواقع مجتمعات موجهة نحو مفهوم الذكورة . والدلائل على ذلك كثيرة منها عدم اتاحة الفرصة للمرأة ان تتعايش مع جميع حقوقها .

التربيـــــة :

ان المعنى الواسع للتربية هو انها العملية المستمرة التي نعد من خلالها الطفل لان يعيش حياة تتواءم مع قدراته وامكاناته مما ييسر له فرصة العيش والتوافق في مجتمعه . ولتحقيق هذا النوع من التربية يجب ان لا تكون عملية التربية نقلاً للتراث فقط ، كما يحلو للبعض ان يسميها ، وبنفس المنظور يجب ان لا تهمل خصائص المجتمع ، لكي لا يعيش الفرد في غربة عن مجتمعه . ويرتبط بالتربية ايضاً مفهوم الاستمرارية أي انها تبدأ مع ولادة الطفل حتى يصل إلى مرحلة متقدمة من العمر . وينطوي على ذلك تغير الاساليب والمؤسسات التي تتولى عملية التربية . فأما من حيث تغير الاساليب فذلك يعني ان لا نكون جامدين من حيث

اتباعنا للاساليب التربوية فالتغيرات التي ترتبط بنمو الفرد تستلزم اسلوبا مرنا لكي يستوعب تلك التغيرات . أما فيما يتعلق بالمؤسسات فنرى أن تربية الفرد واكتسابه لانماط سلوكية مختلفة هي وليدة مجموعة من المؤسسات (المنزل ـ المدرسة ـ الاصدقاء ـ المجتمع ـ العمل ـ الاعلام . . .) .

اذن لكي نربي يجب ان نفهم الطفل فهماً واضحاً ونفهم ايضاً نوعية التغيرات التي تطرأ عليه خلال فترة نموه وانتقاله من مرحلة إلى اخرى فنتعامل بشكل مرن مع تلك التغيرات ، فتكون تربيتنا بذلك من الداخل أي هي استغلال لما لدى الطفل من امكانات ومقومات .

لكن أين نكون نحن من ذلك التعريف ؟

أن الاجابة على هذاالسؤال هي في الواقع صلب موضوع هذه المحاضرة، فبدءاً من التعريف ، نجد ان التربية في مجتمعنا هي نوعان اما انها تربية تقوم اساساً على معايير الكبار أو تحقيق ذاتية الكبار من خلال الصغار ، أو انها تربية مشوشة بمجملها لكن ذلك لا يمنع من وجود قلة من المربين لا ينتمون إلى التصنيفين السابقين .

بالنسبة للتصنيف الاول نجد بالرغم من أن حقيقة التربية هي اساس بدأ بالفرد بحسب ما لديه من مقومات وامكانات وخصائص . الا اننا نجد اهمالاً وتجاهلاً واضحاً لتلك الحقائق ، وبالتالي فالتربية ليست الا مجرد استخدام لمعايير الكبار من صواب أو خطأ . والامر والنهي ، والصالح والغير صالح دون اعتبار لحقيقة المعيار الموجود لدى الطفل . والمعيار الموجود لدى الطفل هو أنه إلى أي مدى يؤدي سلوك معين لاشباع رغباته وينمي من مهارات التفكير والنمو الجسمي والخصائص الاخرى لديه . ونتيجة ذلك ستختفي مسألة الاثارة والاستثارة لتلك الخصائص . واذا استمرت التربية بهذا الشكل سيكون الفرد في النهاية كما نريده نحن وليس كما يريد هو أن يكون . وهذا الاسلوب التربوي يعتبر

مناسباً لو كانت مجتمعاتنا تتصف بالثبات لكن هذه المجتمعات في حقيقة الامر ليست وليدة نفسها ولا تنمو نمواً ذاتياً بل تخضع لمؤثرات خاصة وقادمة من ثقافات اخرى تبنتها تلك المجتمعات بصورة قسرية نتيجة لظروف التقدم والتحضر ووسائل الاتصال المختلفة .

وبغياب الاساس الصحيح للتربية كما سبق ان ذكرناه ، وعدم وجود الوعي الكافي بتلك الاسس ، فان احدالملاجيءالتي يلجأ اليها الاب سيكون استخدام معياره كفرد راشد ، ويعتقد ان له كل الحق في ذلك لان طفولته هو كانت صدى لمعايير من سبقوه . وما يفعله هو امتداد لذلك .

أما بالنسبة للتصنيف الاخر فهو ما نطلق عليه التربية العشوائية . والتربية العشوائية هي التربية التي تفتقر إلى وضوح المعيار وانتفاء الاسلوب . وما يدور في ذهن المربي في هذا النوع من التربية هو أن الطفل في هذه المرحلة لا يحتاج إلى تربية مقصودة فهو يعيش ضمن مناخ تربوي معين ومن ثم سيكتسب كثيراً من الانماط السلوكية . ففي التغذية مثلاً ، ألاكل موجود وعليه أن يأكل من هذا الموجود . وان هذا الطفل سيكبر لا محال وبعد ان يكبر سنبدأ عملية المحاسبة والتوجيه . لان ما يفعله الان ما هو الا انعكاساً لطفولته فهو « جاهل » أو « لا يدرك » أو « لا يستطيع » . لكن في حقيقة الامر ان الطفل قادر ومتمكن في كل مرحلة من مراحل حياته ، لكنه قادر في ضوء امكانات المرحلة التي يعيشها .

وهذان النوعان من التربية موجودان سواء في المنزل أو المؤسسات التربوية الاخرى وسيكون حديثنا الان تدليلاً على ذلك .

في المنزل مثلاً يستقبل الوالدان الطفل فتبدأ معه الطقوس التربوية من طرق التغذيةوالعلاج والملبس ، ويمكن القول ان مشكلة التغذية قد تم حل جزء كبير منها لتوفير التوعية الصحية المناسبة حول غذاء الطفل . لكن لننظر إلى بعض الجوانب

الأخرى . نشتري له سريراً باغلى الاثمان مع علمنا بأن الطفل لن يستخدم هذا السرير طول حياته بل سيكبر ويصبح في حاجة إلى شـراء سريـر آخر . وبنفس المنطوق نتعامل مع ملابس الطفل ، حيث نبدأ بشراء الملابس التي تسعدنا نحن وتبهجنا نحن وتجعل ابننا انيقاً دون ان نكلف انفسنا العناء في البحث والتعرف على مادة هذه الملابس . ويستمر هذا النمط من السلوك إلى ان يشب الطفل ويكبر . ويمكن أن نضيف هنا بأننا نفرح عندما نرى الطفل يضحك ويضايقنا كثيراً بكاؤه وخصوصاً اثناء الليل ، فكل ما يتعلق بالطفل يأتي من تقييمنا نحن له وكأننا توحدنا مع الطفل في حياة واحدة .

وعندما يبدأ الطفل في الاستجابة للبيئة بحركاته والفاظه . كأن يحبو للوصول إلى قطعة من الاثاث الثمين نجري للمسك به وقد نتمادى ونضعه في « الحباسة » Play-Ben مما يحد من سلوك الاستكشاف لديه . وعندما نتعامل معه بصورة لفظية عادةً ما نستخدم لغته هو بغض النظر عن محاولاته لاستخدام لغتنا .

وعندما يشب الطفل ويصبح في حاجة إلى الخروج من المنزل نقول له « اليوم سوف نأخذك إلى الحديقة مثلاً » ، وليس متى تريد أن تذهب إلى الحديقة أو على الاقل ما رأيك بالذهاب إلى الحديقة .

ولنسأل أنفسنا بعض الاسئلة :

كم من المرات جلسنا وانبطحنا أرضاً مع الطفل ؟

كم من المرات سألنا الطفل لان يختار بين الاحمر والاخضر ؟

كم من المرات سألناه عما اذا كان يفضل طبقا معينا على الغذاء أو العشاء ؟

كم من المرات سألناه لماذا يفضل هذه اللعبة بالذات ؟

كم من المرات سألناه في أي زاوية من الغرفة يريد أن نضع سريره ؟

ويمكن ان نضع قائمة طويلة من الاسئلة لكن كانت تلك بعضها التي قد تبين لنا كم نحن بعيدين عن ابنائنا.

واذا تركنا المنزل ودخلنا مدرسة الطفل لا نجد ان التربية فيها أوفر حظاً ، فبغض النظر عن رياض الاطفال نجد ان التعليم الالزامي على درجة كبيرة من الجمود فنفس التلاميذ يدرسون نفس المواد بنفس الوقت مع نفس المدرس لنفس المنهج . وكأن اطفالنا صورة واحدة من حيث القدرات والاهتمامات .

ان الخبرات التربوية التي تقدمها المدرسة جاءت ايضاً بناء على ما يعتقده الكبار انه صالح للصغار ، وهنا لب المشكلة . وسبب المشكلة هو اعتقاد الكبار بصلاحية خبرات تربوية معينة للصغار وهـذا الاعتقاد قائـم عـلى اساس علمي مدروس . فلا توجد دراسة علمية واحدة توضح خصائص الطفل من حيث قدراته ودرجة استيعابه ، من حيث الكم والكيف ، واهتماماته . ونتيجة ذلك سيفقد المنهج عنصر التشويق بالنسبة للطفل وما يفعله في المدرسة ليس نتيجة رغبة ذاتية بل واجب يومي . واذا اضفنا إلى ذلك كله الترتيبـات الفيزيقيـة للفصول وطـريقة الدوام ، نجد ان التربية ما هي الا عمل عسكري .

اذن ، شخصية الطفل مفقودة في المدرسة كما هي مفقودة في البيت ولا يوجد مجال للطفل لان يتعود صنع قرار معين لنفسه . فكل شيء معد له حتى الـزي المدرسي .

اما في مجال الاعلام والترفيه فلا يوجد جديد . ان كل ما يقدم للطفل من برامج هي في الواقع بعيدة عن الطفل وتصلح لاطفال في مجتمعات أخرى . واذا وجدنا بعض الاقبال من قبل الاطفال على هذه البرامج فذلك نتيجة انها الشيء الوحيد المتوفر لهم . وهذا يؤدي إلى صعوبة تفاعل الطفل مع تلك البرامج نتيجة لبعد شخصياتها وادواتها ومناظرها ولهجتها عن واقع الطفل الذي يعيشه .

واذا كان الحال كذلك بالنسبة لما يشاهده الطفل فان ما يقرأه الطفل اسوأ حالاً ، حيث ان كتاب الطفل مفقود ، ومجلة الطفل قليلة الوجود وكثير ممن يكتبون فيهما غير اختصاصيين . وبغض النظر عن هذا وذاك فان الحديث كثير عن قضية الترفيه عن الطفل مع أن مجال الترفيه من اهم المجالات للطفل في عمره المبكر . فاذا التفتنا يميناً وشمالاً لا نجد الا بعض الحدائق المبعثرة هنا وهناك في مناطق مختلفة ، ويجب أن لا ننكر على القائمين عليها مجهوداتهم في هذا المجال . لكن المشكلة ان ذهاب الطفل إلى تلك الحدائق فيه نوع من العناء والمشقة ، نتيجة اما لبعدها عن منزل الطفل أو لعدم توفر من يصحب الطفل ويشاركه في عملية الترفيه . لذلك يلجأ كثير من الآباء إلى شراء ما يحتاجونه من ادوات اللعب ووضعها في حديقة المنزل مما يحد من مجال بيئة الطفل .

واذا كنا نتحدث عن الترفيه فلابد ان نتحدث عن انشاء المدينة الترفيهية.لقد انشئت المدينة الترفيهية على غرار « مدينة ديزني » في الولايات المتحدة ويجدر بنا أن نذكر ان تلك المدينة ارتبطت بشخصية محببة لدى الاطفال ويتعايشون معها الا وهي شخصية « ميكي ماوس » . فاصبحت هذه الشخصية جزءاً من ثقافة الطفل الامريكي ، وعندما يزور الطفل « مدينة ديزني » فانه لن يشعر بغرابة بل سيستمتع بمشاهدة نماذج لميكي ماوس أو يشتري بعض الادوات التي عليها صور الميكي ماوس أو بعض الشخصيات المرتبطة به .

اما بالنسبة لعلاقة المدينة الترفيهية بالطفل في الكويت فانها علاقة غير قوية وانها مكان للعب فقط . فلا توجد لدى الاطفال في الكويت شخصية خيالية يتوحدون معها . ولو ان هناك محاولات جادة لذلك مثل شخصية « نعمان » لذلك كان يجب ان تكون شخصية المدينة الترفيهية نابعة من ما يعايشه الطفل في الواقع لنضمن تكوين واستمرارية شخصية المجتمع التي يكون الطفل جزءاً منها .

بعد هذا العرض الذي حاولنا ان نوضح فيه أن التربية ما هي الا غرض

لشخصيات الراشدين في هؤلاء الصغار دون مراعاة لخصائصهم الذاتيـة ، ماذا ستكون النتيجة ؟

بعد استبعاد مسألة الحتمية والسببية في السلوك تبقى امـامنا احتمـالات . وهذه الاحتمالات متعلقة ببناء شخصية الافراد ، بعد غياب فردية الطفل وعدم مشاركته في اتخاذ قرار مناسب وعدم تحمله ولو جزءاً بسيطاً من المسئولية ، فنجد ان الاحتمال الاول ظهور جيل يتصف بالاتكالية وعدم القدرة على اتخاذ القرار وسوف ينسحب ذلك على المراحل المتقدمة من حياة الانسان . وبالتالي سيكون نصيبهم الضياع اذا لم يؤخذ بأيديهم .

وعلى الطرف الاخر يقع الاحتمال النقيض وهو أن الفرد سيشعر في لحظة من اللحظات انه هو مسؤول عن نفسه وادارة شؤون حياته ويترتب على ذلك تخليص نفسه في المقام الاول من الوصاية المفروضة عليه ، وقد يتجلى ذلك بصورة ثورة وتمرد على كل القيم والاعراف الاجتماعية . وفي كلتا الحالتين لا تعتبر هذه هي النتائج المرجوة من التربية ، حيث ان هدفنا الاسمى في التربية هو مساعـدة ان يتخطى الطفل المرحلة التي يكون فيها مستفيداً من جميع امكاناته في تلك المرحلة .

ويتساءل كثير من الاباء والامهات في حيرة عما حدث للطفل ، عندما يظهر سلوك الثورة في فترة المراهقة . وهل ارتكبوا خطأ معيناً أو قصروا بحق الطفل . فقد بذلا كل ما بوسعهما لتوفير حاجاته ما الامر اذن ؟ الامر أيها السيدات والسادة انكما نسيتما الطفل طول فترة حياته ونقصد بالنسيان هنا انكما لم تتدرجا في طريقة تربيتكما للطفل تبعاً للتغيرات التي تحدث له ، واعتقدتم بأن الطفل سوف يظل تحت جناحكم طول حياته .

مـا العمـل أذن ؟

العمل هو فهم الطفولة والطفل . فالـطفل عبـارة عن مجموعـة مكونـات

مترابطة . اذن يجب علينا ان نفهم ما لديه من قدرات واستعدادات وميول وتكون تربيتنا في حدود تلك القدرات والاستعدادات والميول . وان نتغير نحن مع تغير تلك القدرات والاستعدادات والميول . وبهذه الصورة فقط يمكن للطفل أن ينمو ويشب في ضوء فرديته . اذن يجب أن لا نعمل للطفل بل نعمل من خلال الطفل ، لكي يصبح الطفل طفلاً في مرحلة الطفولة ورجلاً في مرحلة الرجولة . فنحن لا نريد اطفالاً رجالاً ولا رجالاً اطفالاً لان ذلك مخالف للقوانين الطبيعية والخلق .

مناقشات

د . حســـن الابراهيـــم :

شكراً للمحاضر الاخ الدكتور بدر العمر وقد ازال الغموض الذي اكتنف عنوان الندوة واعتقد ان الباحث قد ركز ضمن ما ركز عليه على امور كثيرة لها علاقة بلب النظام التربوي . فالنظام التربوي عندنا يعني من خلل وجمود . وتميل تربية الاطفال إلى عدم الاخذ في الاعتبار مستقبلهم وتطلعاتهم .

د . عبـدالله الدنـان :

لقد ذكرني الاخ المحاضر بالسلطوية . . . وهذه قد عانيناها ومارسناها عند اختيار شخصية « نعمان » في برنـامج افتـح يا سمسم . . . لقـد رفضنـا نحن القائمن على البرنامج يومها هذه الشخصيـة كما رسمـوها لنـا ووضعنا فيهـا كل العيوب . وعندها قالوا لنا ان نعمان لم يعمل لكم ، بل انه للصغار وقد توصلنا لشكله هذا بناء على دراسات مسبقة . اروه للاطفـال ومن ثم احكموا عليـه ، وابلغونا بالنتائج . وما حدث فعلاً ان الاطفال الذين عملوا بالبرنامج احبوه جداً وكان مقبولاً جداً لديهم .

هذا يؤكد لنا الا نكون سلطويين في تعاملنا مع الاطفال لنبحث عما يريدون لا عما نريدهم ان يطلبوه . فمثلاً كنا نتوقع في البرنامج ذاته الا يفهم الاطفال اللغة الفصحى . . . فكان العكس ما حدث . اريد ان اقول لندع الاطفال يمارسون

الاختيار حسب اذواقهم لا ان نتهمهم بانهم لا يعرفون تحديد ما يريدون . لنكن ديمقراطيين مع الاطفال ، ولابد ان هناك اساليب توصلنا لاتخاذ القرار الامثل والفعلي .

د . قاسم الصراف :

ارى ان الاخ المحاضر قد اثار نقاطاً عديدة ، ولي بعض الملحوظات في هذا المجال :ـ

١ ــ **النقطة الاولى** : ذكر المحاضر تكييف الاطفال في الندوة . . . ولكن لماذا لا نتكلم عن تكييف التربية ؟ اذا تصرف الطفل أو تكلم ، واذا لم يتكيف حكمنا عليه بانه سيء . . . . وفي اعتقادي انه يجب ان نكيف تربيتنا نحن حسب ما يرى الطفل ونرى انه مناسب له .

٢ ــ **النقطة الثانية** : ذكر د . بدر التربية العشوائية ، واتساءل هنا اليست هذه التربية جزءاً من التراث والثقافة ؟ فهناك اشياء كثيرة في ثقافتنا مستوردة ، وكذلك بالنسبة للطفل نحن نستورد الالعاب ، والكتب واشياء كثيرة تخصه . علينا ان نحاول الاعتماد على واقعنا وتراثنا الاصيل .

٣ ــ **النقطة الثالثة** : بالنسبة للديمقراطية في التعامل مع الطفل ، نحن في هذا المجال لا نعرف من الديمقراطية الا اسمها . . . واقعنا يفتقر إلى الديمقراطية في التعامل مع الاطفال .

٤ ــ اخيراً كلنا نتساءل عن المعايير الدقيقة لتربية الاطفال والتعامل معهم ، وفي رأيي انه ليست هناك معايير دقيقة ومطلقة هنا . بل هناك تأثير متبادل بيننا وبين الطفل تؤثر فيه وهو يؤثر فينا . والصراحة ان كثيراً من الآباء والامهات يخضعون تربية اطفالهم لخبراتهم السابقة غالباً،وهم يريدون ان يكون ابناؤهم امتداداً لهم وهذا خاطىء بالفعل .

د . محمـــد عـــودة :

لدي بعض الملحوظات بشأن اشياء اثارتها المحاضرة في ذهني :

١ ــ **مصطلحات الطفولة والرجولة** : هل يمكن طرح معايير لتقسيم دورة حياة الكائن الانساني ؟ نحن غالباً ما نأخـذ الثقافـة الغربيـة كمعيار وطبعـاً من الافضل ان نبحث عن الاصول الثقافية عندنا ويمكن منها ان نعمل تصـور واساس المراحل حياة الكائن الانساني وهناك يمكن ان يصبح للطفولة معاني اخرى غير تلك المعروفة في الثقافة الغربية فيمكن ان نقسم الدورة كما يلي :ـ

+ اقل من سبع سنوات . (مرحلة الطفولة) .

+ بعد سن السابعة (مرحلة الصبا) .

+ ثم مرحلة المراهقة (وهي كلمة غربية لم اجد لها مرادفاً عربياً) .

هل يمكننا اعادة النظر في مراحل النمو . . . وبهذا التقسيم السـابق تصبح عملية الاعتماد على الغير لدى الطفل لها معاني جديدة .

٢ ــ **معيارية العمل التربوي** : اعتقد انه في جونا العام ليس هناك معيار ايضاً في العمل التربوي . . . وهنا اسأل هل المطلوب هو المحافظة على النموذج الحالي المعمول به في العمل التربوي ام ان هناك نموذجاً امثل وواقعي نريد وصوله ؟ واذا كنا ننشد نموبذجاً جديداً امقل فهذا يحتاج لمزيد من التفكير . واعتقد اننا قد نكون بحاجة لنوع من التوفيق للوصول إلى النموذج هذا .

٣ ــ **التربية في المدارس** : كيف يستطيع المربي او المسؤول في المدرسة ان يتعامل مع الافراد ؟ وما هو اسلوبه.نحن نعتبر ان هناك متوسطاً أو اتجاهاً عاماً لمعظم التلاميذ أو الاطفال يدورون حوله . ونريد ان نعرف ما هو اسلوب التربية ،

هل نربيهم تربية فردية كما في النظام الرأسمالي ام تربية جماعية كما في النظام الاشتراكي . . . ان طرفي المعادلة صعب الامساك باحدهما ، ولكن المهم هو التوفيق بينهما .

د . حســـن الابراهيـــم :

نشكر للدكتور عودة توضيحه لمدى المسئولية الملقاة على كاهل التربويين لدينا وحقاً انه يجب الارتكاز على تراثنا لا على الغير اذا اردنا ان نعرف .

د . محمـــد جـــواد رضـــا :

في اعتقادي ان المحاضر قد حقق هدفه في اثارة العديد من التساؤلات ولكن هناك سؤالاً لا يزال غير محسوم ، فانا ما زلت لا اعرف ما الذي يجب ان نأخذ به ، هل هو طفولة الكبار أم رجولة الصغار . . . ولعل من المفيد ان لا نجيب على هذا السؤال بل نتركه يحرك في الذهن اسئلة اخرى تحتاج لاجابات قد تطابق الواقع . وبالرغم من التعاطف مع حقوق الاطفال في النمو بقدر طاقاتهم الا ان العمل التربوي يبقى عملاً غائياً (له غاية) ، فهو اذن محكوم بما يسعى له . فالتربية في النهاية هي ايصال هذا الكائن الصغير إلى مجتمع الراشدين . والاختلاف بين الثقافات هو في الاسلوب الذي يجب ان يتبع لبلوغ هذه الغاية . والمجتمعات لها ثلاث وسائل لتحقيق هذه الغاية هي :

- القهـــــر .
- الاقنـــــاع .
- التلقيـــــن .

ويقع الخلاف في الطريقة بين المجتمعات والثقافات . فكل مجتمع له نموذج معياري للرشد . . . وبالنسبة للمجتمع الاسلامي فالقاعدة هي التي قررها القرآن

حيث يقول « لكم في رسول الله اسوة حسنة » . . . أي أن شخصية الرسول الاعظم هي المثل الاعلى الذي نجتهد للاقتراب منه والتي نربي النشء عليها كنموذج معياري .

وبالنسبة للدين المسيحي يعتبر المسيح هو النموذج ، وفي المجتمع العلماني نجد شخصيات محددة هي النموذج مثل ابراهام لنكولن ولينين وغيرهما .

د . حسن الابراهيم :

نشكر الدكتور جواد على التعقيب على الموضوع المطروح ، وانا اعتقد ان الدكتور بدر لم يكن يريد الوصول إلى نتيجة ، بل اراد ان نفتح آفاقاً جديدة لابحاث مستقبلية في موضوع التربية والطفولة في وطننا .

د . بدر العمر :

تعليقي عبارة عن شكر للاضافات التي تفضل بها الاخوان واعتقد ان التعليقات قدمت الجوهر الاساسي لهذه المحاضرة . ما اريد اضافته هنا هو ان كون التربية تصل إلى هذا الحد من الغائية اي معاملة الطفل بمعيار الكبار ومع معرفتنا بالنتيجة سوف تصل اليها الامور وهي نتيجة مترتبة على غياب فكرة دور الفرد في المجتمع . فلابد ان نعّود الطفل منذ الصغر على الرغبة أو على القدرة على اتخاذ القرار المناسب لنفسه لادارة شئون الحياة . . . لقد طرحت قضية التأثر والتأثير والواقع أن لدينا فكرة التأثير وليست هناك فكرة التأثر ، فكلما حاول الطفل الخروج عن معيار الراشدين نؤدبه بطريقة أو بأخرى . وفي ضوء اعادة تقسيم النمو فهذا جميل جداً ولكن يجب ان نكون واعين للخصائص الموجودة لدى الطفل في كل مرحلة . ولكي نخلق الرجال في المجتمع يجب ان تكون تربيتنا ادوات انماء لافراد المجتمع وليس لاحتوائهم ، فاذا وصلنا بالطفل إلى كيف يفكر وكيف يتخذ القرار فنحن بألف خير .

د . حســـن الابراهيـــم :

شكراً للدكتور بدر واشكركم جميعاً لتلبية الدعوة والمساهمة في هذه الندوة والى اللقاء في الموسم الثقافي القادم .

الفهرس

مقدمة ٣

الندوة الأولى :

الطفولة والتنشئة في علم النفس الاجتماعي ١١

الندوة الثانية :

شخصية الفرد والتنشئة العائلية ٦٥

الندوة الثالثة :

الطفل العربي المعاصر ومشكلة الاغتراب الثقافي ٩٣

الندوة الرابعة :

طفل المرأة العاملة ١٢٩

الندوة الخامسة :

التلفزيون والأطفال ١٦٣

الندوة السادسة :

رجولة الصغار أم طفولة الكبار ٢٠٣